



مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 98 – NINTH YEAR – MAY 1985.

العدد (٩٨) ـ شعبان ١٤٠٥هـ ـ السنة التاسعة ـ أيار (مايو) ١٩٨٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 98 - NINTH YEAR - MAY 1985. — العدد (٩٨) ـ شعبان ١٤٠٥هـ ـ السنة التاسعة ـ أيار (مايو) ١٩٨٥م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE

P.O.BOX 3

RIYADH 11411-Saudi Arabia

Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)

الرياض ١١٤١١ ، المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧

تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

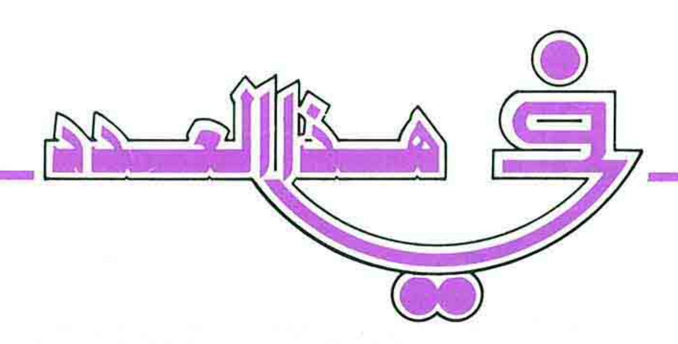
● أسعار الاشتراكات السنوية :

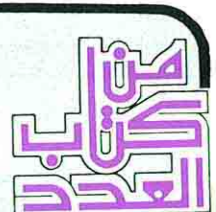
للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)

ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠









د . أحمد بدر

★ من مواليد مصر عام ١٩٢٩م .

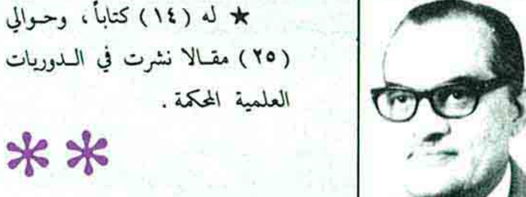
★ دكتوراه في علم المعلومات (المعلومات العلمية والتكنولوجية) .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل أستاذاً بجامعتي الكويت والقاهرة .

★ يعمل حالياً أستاذ المكتبات والمعلومات ــ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

★ له (١٤) كتاباً ، وحوالي (٢٥) مقالا نشرت في الدوريات العلمية المحكمة .



**



د . محيي الدين المبروك

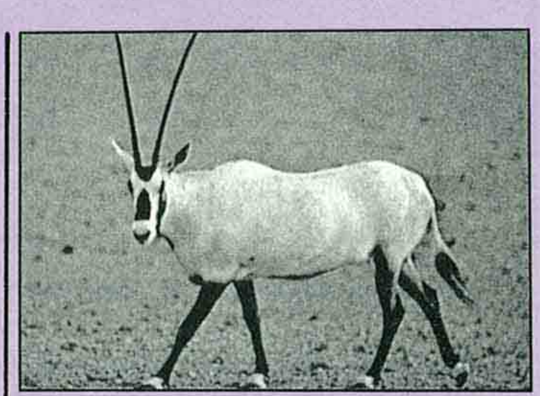
★ من مواليد «نابل» في تونس عام ١٩٣٣م .

★ دكتوراه في القانون العام ــ جامعة باريس .

★ يجيد اللغة الفرنسية .

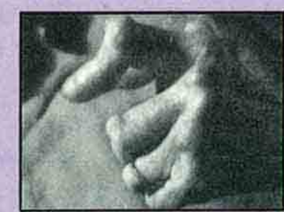
★ عمل أستاذاً مساعداً بكلية الحقوق في باريس ، ثم في تونس .

★ يعمل حالياً محامياً لدى محكمة التعقيب ، ومديراً لقسم القانون بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية .

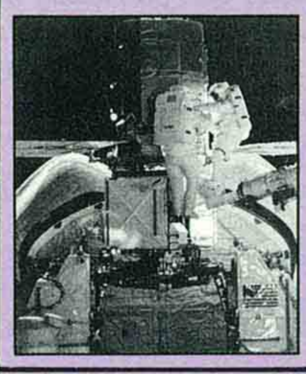


●● قصة الحيوان في المملكة العربية السعودية، تعتبر تجسيداً كاملاً، أو «بانوراما»، لقصة تاريخية، تمتد جذورها إلى عشرات الملايين من السنين، وتحكي قصة الجو والأرض والحيوان، على هذا الجزء من المعمورة. طالع ص (١٠٤).



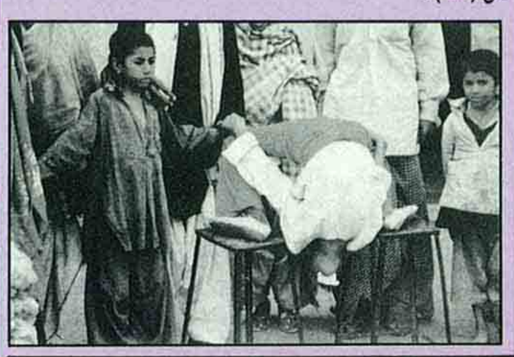


●● استطاع رواد مكوك الفضاء «شالنجر» خلال سبعة أيام من شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨٤م، أن يحققوا أعظم إنجاز فضائي خلال هذا القرن.. حين قاموا بسحب القمر الصناعي «سولار ماكس» المعطّل في الفضاء منذ عام ١٩٨٠م، إلى حجرة الحمولة، وأصلحوه ثم أعادوه إلى الفضاء!. طالع ص (٩١).



●● «الروماتويد المفصلي» يصيب، فضلاً عن المفاصل، بعض أجهزة الجسم الأخرى، فقد يؤثر على العين والرئة والقلب والأعصاب الطرفية والأوعية الدموية والجلد، ويسبب الأنيميا. وهو غير معروفة أسبابه إلى الآن!. طالع ص (١١٣).

●● فجر آسيا، أو «الكالاندار» مجموعات رُحّل من الصناع، والحائكين، وصانعي الخزف، ومرقّصي الأفاعي.. سحرة ومشعوذون، وأهل ألعاب خفية، وبهلوانيون، يدهشون الناس بفنونهم، ويجلبون لهم المتعة، لقاء أجور زهيدة. طالع ص (٢٩).



●● هل يبدو غريباً أن «للكوارث» موسوعة خاصة بها؟.

هذه الموسوعة تغطي أحداثاً جساماً: حرائق، زلازل، براكين، فيضانات.. تاريخها، ظروفها، ضحاياها، خسائرها. كل ما يدور في خلدك من تساؤلات عن الحوادث، تجده في الموسوعة. طالع ص (١٢٦).



★ له إلى جانب أطروحة الدكتوراه كتاب في القانون الإداري التونسي، وله عدة دراسات قانونية نشرت في مختلف المنشورات القانونية الفرنسية والتونسية.



جهاد عبد الجبار الكبيسي

★ من مواليد «الرمادي» بالعراق عام ١٩٤٤م.

★ ليسانس في اللغة العربية وآدابها.



★ ماجستير في الأدب الحديث، ويعد حالياً للدكتوراه في الرواية العربية بالقاهرة.

★ قام بإعداد تحقيقات صحفية وإذاعية مع كبار الأدباء والمفكرين.

★ نشرت أعماله في غالبية صحف ومجلات الوطن العربي.

**

عبد الرحمن حمد السنيدي

★ من مواليد مدينة «شقراء» في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٠هـ.

★ ليسانس في اللغة العربية وآدابها.

★ عمل في حقل التدريس بالمملكة وأفغانستان، ثم عمل رئيساً لقسم الامتحانات بإدارة تعليم الوشم.



★ يعمل حالياً مختصاً مراجعاً بمكتبة شقراء العامة.

★ له بعض الأبحاث، ويمارس الكتابة في الصحافة.

**



التكنولوجيا الفكرية .. والأمية الجديدة

قرأت ـ فيما قرأت ـ قبل فترة مقالة لكاتب نشرتها إحدى الصحف اليومية ـ لا أذكر اسمها ـ أبدى فيها تخوفه من المستقبل الذي سوف تأخذ فيه الأمية صورة جديدة لم تألفها البشرية .

فإذا كانت الأمية في الماضي تعني الجهل بالقراءة والكتابة ، فإن الأمية الجديدة القادمة تعني شيئاً آخر .. فقد يكون الإنسان قادراً على القراءة والكتابة ، وتلقى تعليمه في المدارس وربما الجامعات ، ومع ذلك فإنه سوف يكون أمياً في المستقبل .. ذلك لأن هذا المستقبل سوف يكون محكوماً بالتكنولوجيا الفكرية ، والحاسبات الإلكترونية .. وأن العصر الصناعي الذي نعيشه ، وهو عصر « تكنولوجيا الآلات » كما يطلق عليه سوف يكون متخلفاً وفقيراً في مواجهة عصر « التكنولوجيا الفكرية » الذي سوف تكون فيه « المستويات الاجتماعية الدنيا الجديدة هي تلك التي لا تملك المهارات الضرورية للتعامل مع التكنولوجيا الجديدة » .

وقد تنبهت بعض الدول المتقدمة للعصر القادم ، وبدأت تعد العدة له حتى تتواءم مع روح العصر ، وتبقى كما كانت وكما هي عليه الآن دولا متقدمة .

فالولايات المتحدة الأمريكية ـ مثلاً ـ خصصت ٥٢٪ من إجمالي دخلها القومي لمواجهة عصر التحدي القادم .. فقد زاد عدد المتخصصين في الحاسبات الآلية والمبرمجين ومحللي النظم والعاملين في مجال تجهيز المعلومات من ٦٠٧,٠٠٠ عام ١٩٧٤ م ، إلى ١,٠٣٢,٠٠٠ (أي بزيادة قدرها ٧٠٪) ، ويتوقع كما تشير تقارير وزارة العمل الأمريكية أن يصل هذا العدد عام ١٩٨٥ م ، إلى أكثر من ١,٧٥٤,٠٠٠ .

وهذا يعني أن الجيل الحاضر الذي يسيطر اليوم على أدوات العمل في التكنولوجيا الآلية سوف يكون في المستقبل في عصر التكنولوجيا الفكرية القائم على المعلومات والحاسبات الآلية .. جيلاً متخلفاً مثله مثل الجيل الذي عاش عصر الزراعة قبل سيطرة عصر الصناعة والتكنولوجيا الآلية .

وإذا كانت الولايات المتحدة تستعد اليوم لمواجهة عصر التكنولوجيا الفكرية ، أو عصر المعلومات والحاسبات الآلية ، فإن اليابان بدورها ـ وهي من أبرز الدول الصناعية ـ تخوض معركة جادة لمواجهة عصر التحدي القادم .

والسؤال .. كيف ستواجه الدول النامية والفقيرة هذا التحدي في الوقت الذي لم تستطع أن تحل مشاكلها مع العصر الحالي .. عصر التكنولوجيا الآلية ؟ .

ما موقع الدول المتخلفة حالياً على خارطة عصر التكنولوجيا الفكرية والحاسبات الآلية ؟ .

وهل يعني هذا أن العصر القادم ينذر باستعمار جديد يبقي على تخلف الدول المتخلفة .. ويعطي للدول المتقدمة فرصاً جديدة في السيطرة على مقدرات دول العالم الثالث ، والتحكم في مصائرها أمام عجزها في مواجهة التحدي الجديد ؟ .

وعلى أي صورة سوف يكون عليه التعليم .. وما مصير وسائل التعليم والخبرة الحالية بعد الاستغناء عنها ؟ .

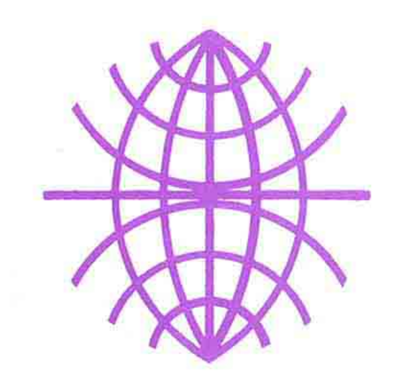
وهل ستصبح الأدوات الموجودة حالياً أدوات متخلفة عاجزة عن مواكبة عصر التكنولوجيا الفكرية ؟ .

هل يعني أن الدول النامية التي تسعى وتتطلع حالياً للتحرر من سيطرة الآلة الغربية ، والخبرة المستوردة سوف تواجه صدمة جديدة لم تكن في الحسبان ؟ .

كثيرة هي الأسئلة التي يواجهنا بها عصر التكنولوجيا الفكرية ، أو عصر الحاسبات الآلية القادم .. فهل نفتح عيوننا وعقولنا ونشمر عن سواعدنا لتوظيف مقدراتنا بصورة تجعلنا قادرين على مواجهة التحدي الجديد .. أم أننا سوف نبقى رهناء خلافاتنا الصغيرة ، ونشغل أنفسنا بهذه الخلافات في غفلة مما يدور حولنا في الوقت الذي يسعى العالم إلى تطوير نفسه ومواجهة التحديات الجديدة بحيث لا نصحو إلا على طرقات استعمار جديد ، وعصر متفوق .

إن الأمة المتفوقة هي الأمة القادرة على سيطرة معطيات العصر الحاضر واستثمارها بكل جدارة مع مواجهة التحديات القادمة بنفس القدرة والجدارة .. والله المستعان .





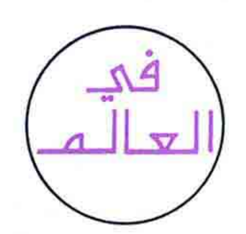


** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- أسماء الفائزين بجائزة الدولة التقديرية في الأدب.
- وفاة أديب سعودي.
- مجمع ثقافي في مصر.
- مؤتمر للكمبيوتر ، ومعرض للحاسب الآلي، ومؤتمر علمي للطب
- معارض عديدة للكتاب والخرائط والفنون.
- كشوف أثرية في سورية.

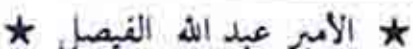


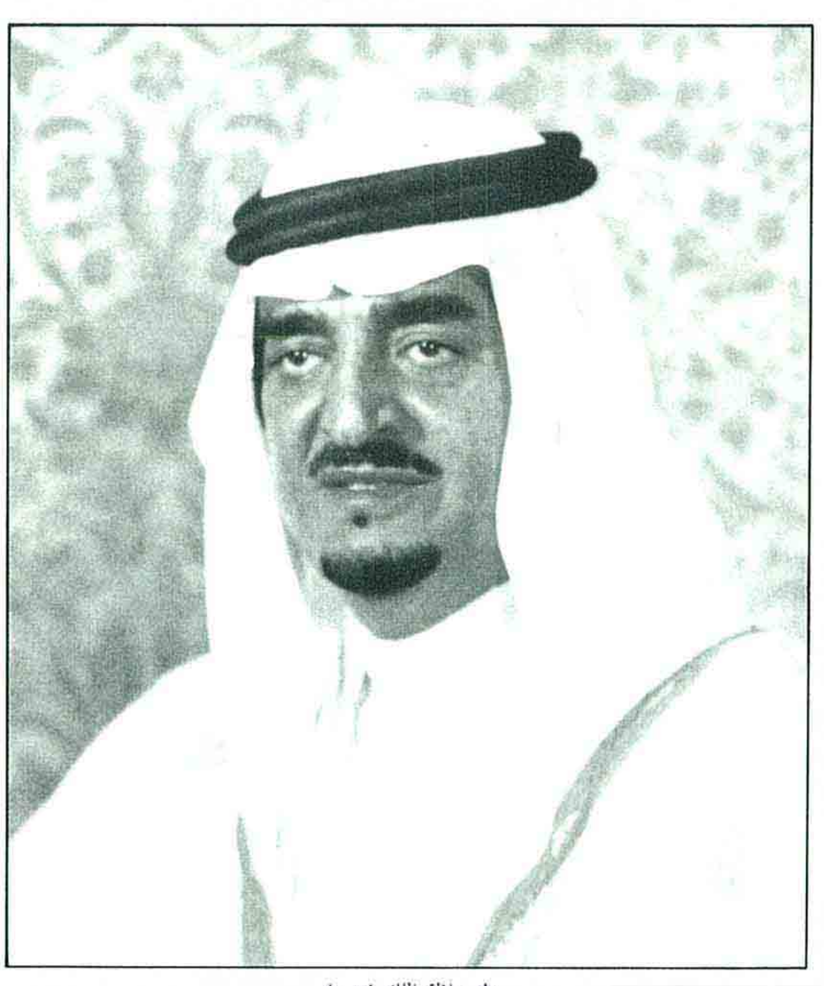
- إنشاء مركز الملك فيصل الثقافي في السنغال.
- ترشيح سعوديّين أعضاء في الكلية الملكية بلندن.
- معرض تراث كويتي في أميريكا.
- يوم للشعر المغربي في باريس.
- معرض عن القسطنطينية في لندن.



السعودية :




★ الأمير عبد الله الفيصل ★


★ جلالة الملك فهد ★

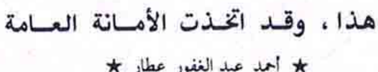
أسماء الفائزين بجائزة الدولة التقديرية

صدرت موافقة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بمنح جائزة الدولة التقديرية في الأدب لهذا العام (١٤٠٥ هـ) لثلاثة من كبار شعرائنا وأدبائنا الذين أثروا الحياة الأدبية بعطاءاتهم الكبيرة.

وقد أعلن أسماء الفائزين بالجائزة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، ورئيس لجنة الجائزة وهم :

- صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبد الله الفيصل بن عبد العزيز.
- الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار.
- الأستاذ طاهر عبد الرحمن زمخشري.

هذا، وقد اتخذت الأمانة العامة


★ أحمد عبد الغفور عطار ★



للجائزة كافة الترتيبات اللازمة لإقامة

★ طاهر زمخشري ★



كلمة

الموهبة .. هل هي علم أم فن أم قدرة؟

فكرة أن العمل الأدبي تعبير عن صاحبه أو عن المجتمع الذي نشأ فيه من المفاهيم التي ما زالت تسيطر على النقد عندنا .

فمن المسائل المسلّم بها اليوم ، أن العمل الأدبي ـ كأي عمل فني ـ مخلوق جديد لم يكن موجوداً من قبل ، وأن عملية الخلق تعتمد على عنصرين أساسيين هما ثقافة الفنان الفنية وموهبته .. والموهبة لا تعني قدرة الفنان على التعبير عن نفسه ، فأي واحد منا يستطيع أن يعبِّر عن نفسه ، ولكن ليس كل واحد منا فنان .

على عكس الموهبة التي هي قدرة الفنان لا على التعبير عن نفسه بل على الهروب منها ... على التخلص من نفسه ... لكي يتقمص ، أو يصبح الشخصيات والصور والمواقف التي يخلقها ، ولو كان العمل الفني مجرد تعبير عن شخصية الفنان .. عن الواقع .. عن فكرة من الأفكار لما أصبح عملاً فنياً على الإطلاق .

وليس معنى هذا أن العمل الفني لا علاقة له بالفكرة أو بالمشاعر أو بالواقع .. على العكس .

كل ما يمر به الفنان في الحياة له علاقة أكيدة بإنتاجه الفني ، ولكن ما نوع هذه العلاقة؟ .

كل منا له مشاعر وأفكار وتجارب في الحياة لا نهاية لها .. لكن ما **الفرق بين الإنسان العادي والفنان؟** .

هل الفرق أن الفنان له مشاعر مرهفة ، والإنسان العادي مشاعره غير مرهفة؟ . أبداً . فالإنسان العادي تكون مشاعره مرهفة أكثر بكثير من مشاعر الفنان ... ومع ذلك فهذا لا يجعل منه فناناً .. والإنسان العادي يمكن أن يمر بتجارب كثيرة ويتأثر بها ، وتعيش في مشاعره شهوراً بأكملها ... ونفس التجارب ـ إن كانت هناك تجارب متشابهة ـ يمكن أن تمر بالفنان ، ويتأثر بها ، أقل بكثير مما يتأثر بها غيره . إذن .. ما هو الفرق؟ .

الفرق هو أن الفنان قادر على أن يخلق من التجارب التي يمر بها شيئاً له كيان مختلف عن التجارب التي كانت الأصل في العمل الفني ... أما الإنسان العادي فتظل تجارب الحياة قائمة في شعوره ... قد ينساها وقد لا ينساها ، ولكن المهم أنه غير قادر على أن يخلق منها شيئاً يختلف عنها . وعلى سبيل المثال مسرحية **«أنطون تشيكوف»** المعروفة باسم **(الطائر البحري)** ، كان الأصل فيها حادثة بسيطة للغاية .

كان لتشيكوف صديق ثري يعيش في ضيعته مع صديقة له ... وفي يوم ما تشاجرا وحاولت الصديقة الانتحار ، وأرسل الصديق إلى تشيكوف يطلب مساعدته كطبيب ... وذهب تشيكوف إلى ضيعة صديقه وأنقذ حياة صديقته ، وأثناء إقامته هناك رأى طائراً بحرياً كان صديقه قد اصطاده .. فربط بين الطائر البحري الذي قتله الصديق وبين الفتاة التي حاولت الانتحار بسبب نفس الصديق .

والذي حدث هنا أن هذه التجربة البسيطة التي مر بها تشيكوف جعلته يخلق منها شيئاً مختلفاً تماماً عنها ... عالماً كبيراً جديداً لم يكن لوجوده من قبل وهو «مسرحية الطائر البحري» ، فلأن تشيكوف فنان استطاع عقله المبدع أن يؤلف بين عدة تجارب ـ بذرتها هذه التجربة البسيطة التي مر بها في ضيعة صديقه ـ وأن يجعل من كل هذه التجارب شيئاً جديداً له كيانه المستقل وهو مسرحية «الطائر البحري» .

من هنا كانت كلمة **«تأليف»** في اللغة العربية أقدر من مثيلاتها في اللغات الأخرى على التعبير عن عملية الإبداع الفني التي هي في النهاية وببساطة تامة عملية **«توليف»** .

والتجارب عندما تتآلف في عقل الفنان لتشكل عملاً فنياً يكون إحساسنا بها مختلفاً ، تماماً عن إحساسنا بها في الحياة ، وكل منها منفصل عن الآخر .. أو حتى إذا تصورنا أننا سنمر بها كلها مجتمعة ، فالتجربة في محيط الحياة غيرها في محيط الفن ، فعلى سبيل المثال كلنا يعرف **«الورد»** ، ونشعر بمشاعر معينة عندما نراه في الطبيعة ... ولكن الورد في أغنية ، أو في قصيدة شعر ، يصبح غير الورد الذي نعرفه ، يصبح شيئاً آخر .

د . السيد مصطفى السيد عليوه



★ الأمير فيصل بن فهد ★

لهذا العام

حفل توزيع الجوائز على الفائزين .

والمعروف أن هذه هي المرة الثانية التي تمنح فيها الجائزة ، حيث سبق أن منحت في العام السابق لثلاثة من الروّاد هم : (أحمد السباعي ـ رحمه الله ـ ، حمد الجاسر ، عبد الله بن خميس) .

والجائزة تمنح لثلاثة أشخاص كل عام ، وتتكون من شهادة تقدير وميدالية ومكافأة مادية تدفع سنوياً مدى حياة الفائز وقدرها مائة ألف ريال .

وهذه نبذة موجزة عن كل واحد من الفائزين الثلاثة لهذا العام :

●● الأمير الشاعر عبد الله الفيصل بن عبد العزيز :

★ ولد في مدينة **الرياض** عام ١٣٤١ هـ ..



تولى تنشئته جده **الملك عبد العزيز** مؤسس المملكة العربية السعودية . . وتلقى تعليمه بمدارس **الحجاز** .

★ عُيِّن نائباً لنائب جلالة الملك في الحجاز ، **ثم وزيراً للصحة والداخلية معاً** ، ثم استقل بوزارة الداخلية .

★ وفي عام ١٣٧٨ هـ ، تفرغ لأعماله التجارية ، إلى جانب انكبابه على القراءة والاطلاع ، وبالتالي أصبح مجلسه منتدى لروّاد الأدب والصحافة .

★ يتولى الآن رئاسة مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية .

★ هو شاعر ، صدر له ديوان « وحي الحرمان » ، ولاقت قصائده الشعرية صدى واسعاً في أوساط الأدب العربي ، وكتب عنها العديد من النقّاد أمثال : طه حسين ، وعمر أبو ريشة ، ومارون عبود وغيرهم . كما شدت ببعضها أصوات الغناء العربي الكبيرة مثل قصائده « ثورة الشك » ، و « سمراء » ، و « من أجل عينيك » ، و « يا مالكاً قلبي » .

★ لم يكن التقدير لشعره عربياً فقط ، فقد منح « الجائزة الدولية الكبرى للشعر الأجنبي » ، وذلك عن مجموعته الشعرية « ديوان الحب » الذي أصدرها عام ١٤٠٢ هـ ، والذي قام بنقلها إلى الفرنسية الكاتب اللبناني جواد صيداوي والشاعر الفرنسي « أتاناز فانتشيف دوتراسي » هذه الجائزة التي تمنحها مؤسسة « سولانزار الثقافية الفرنسية » .

★ وقد نال إضافة إلى ذلك « درجة الدكتوراه في الإنسانية » ، وذلك بقرار من مجلس أمناء « الأكاديمية للعلوم والثقافة » المتفرعة عن « مؤتمر الشعراء العالميين » الذي انعقد في مدينة « سان فرانسيسكو » في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما نال أيضاً « وسام مدينة باريس » في حفل كبير حيث قلّده إياه عمدة المدينة جاك شيراك ، ذلك الوسام الذي لا يمنح إلا مرة أو مرتين كل عام لرؤساء الدول ، أو رؤساء الحكومات ، أو لرجال الفكر والإنجازات العلمية .

●● الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار :

★ ولد في **مكة المكرمة** في الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٤ هـ .

★ نال الابتدائية من مدارس الحكومة ، وتخرّج من المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٥ هـ ، وبعث إلى مصر سنة ١٣٥٦ هـ ، ليكمل دراسته في كلية دار العلوم .

★ درس في كلية الآداب بجامعة القاهرة مستمعاً ، ولكنه لم يكمل دراسته وعاد إلى المملكة .

★ لم يعمل إلا ثلاث سنوات قضاها بالأمن العام ، ثم استقال سنة ١٣٥٩ هـ ، وتفرغ للأدب والعلم والبحث والدراسة حتى اليوم .

★ في سنة ١٣٧٩ هـ ، منح رخصة إصدار جريدة « عكاظ » التي تحولت إلى مؤسسة في سنة ١٣٨٣ هـ .

★ في سنة ١٣٨٦ هـ ، منح رخصة إصدار مجلة اسمها « كلمة الحق » تعنى بشؤون الإسلام ثم توقفت .

★ له من المؤلفات ما يزيد على الخمسين مؤلفاً ما بين تحقيق وتأليف ومشاركة وترجمة ، منها مثلاً :

* مقدمة تهذيب اللغة .
* آداب المتعلمين .
* تهذيب الصحاح .
* مقصورة ابن دريد .
* شرح مقصورة ابن دريد .
* كتابي .
* محمد بن عبد الوهاب ــ سيرة وحياة .
* الهوى والشباب ــ ديوان شعر .
* الخرج والشرائع .
* أريد أن أرى الله ــ مجموعة قصص .
* صقر الجزيرة ، سبعة أجزاء .
* الهجرة ــ مسرحية في هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
* الهجرة ــ بحوث في هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

الزاوية الطبية

أمراض العظام

لا يخرج الهيكل العظمي عن كونه مجموعة من الروافع ، فهل سينجح الطب في التغلب على الأعداء العديدة لهذا البنيان ويستخدم الإنسان عظامه كروافع تحركها قوة العضلات ليؤدي بها ما يشاء من حركات .

وهناك عدة أمراض تصيب جهاز الحركة في الجسم منها ما هو معدي ، ومنها ما هو ورمي أو انحلالي . . وقد تمكن الطب من تحقيق خطوات واسعة في سبيل الكشف عنها أو علاجها .

وتتكوّن المفاصل من سطحين غضروفيين يواجه كل منها الآخر ، وتساعد ملاستها على انزلاق الأطراف العظمية بمساعدة الغشاء الزلالي . والتهاب هذا الغشاء هو الذي يميّز حالات **الالتهاب المفصلي** . فالغشاء يحتقن ويفرز كمية أكبر أو أقل من السائل في المفصل ، وعندئذ يحدث احمرار في الموضع مع سخونة وتورم وآلام ، وتلك هي أعراض التهاب المفصل . كما توجد نفس الأعراض في حالة **الروماتيزم المفصلي** الحاد .

والنقرس نوع من الالتهاب المفصلي يصيب الأشخاص الذين يأكلون بشراهة حيث يصاب إبهام القدم بآلام لا تحتمل ويتورم ويتحول لونه إلى أحمر قان ، ويساعد عقار **اللحلاح** في الحالات الشديدة لتسكين الألم .

وأمراض العظام فيما عدا الكسور والخلع نجد فيها نفس التطور المصاحب لأمراض المفاصل ، فالالتهاب العظمي النقي ينتج عن عدوى تصيب العظام عن طريق الدم ويتسبب فيها المكورات العنودية ، وهي كثيرة لدى

* الإسلام والشيوعية .
* حرب الأكاذيب .
* الفصحى والعامية .
* الإسلام طريقنا إلى الحياة .
* الزحف على لغة القرآن .
* الماسونية .
* عروبة فلسطين والقدس .

★ أحد الأعضاء في المجمع العلمي العراقي ، وعضو شرف في رابطة الأدب الحديث ، ورئيس تحرير شرف لأكبر جريدة في الصين الوطنية (تايون) .

★ حضر عدة مؤتمرات ، ونال شهادة ريادة في الأدب من جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وميدالية فضية وأخرى ذهبية .

•• الشاعر طاهر زمخشري (بابا طاهر) :

★ من مواليد **مكة المكرمة** عام ١٣٣٢ هـ .

★ تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح .

★ عمل أستاذاً بمدرسة دار الأيتام بالمدينة المنورة ، ومن ثم تقلّب في عدة وظائف حكومية بالمطبعة الحكومية ، وأمانة الرياض ، والجمارك ، والإذاعة والصحافة حيث أصدر أول مجلة أطفال سعودية باسم « الروضة » .

★ كتب الشعر في فترة مبكرة من حياته ، كما كتب القصة القصيرة والطويلة ، وله دراسات اجتماعية وأدبية .

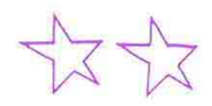
أما عن مؤلفاته الشعرية فله أكثر من (١٧) ديواناً شعرياً هي :

* أحلام الربيع .
* همسات .
* أغاريد الصحراء .
* أنفاس الربيع .
* على الضفاف .
* عودة الغريب .
* ألحان مغترب .
* أصداء الرابية .
* من الخيام .
* حبيبتي على القمر .
* لبيك .
* الأفق الأخضر .
* الشراع الرفاف .
* حقيبة الذكريات .
* رباعيات صبا نجد .
* معازف الأشجان .
* نافذة على القمر .
* عبير الذكريات .
* مع الأصيل .

★ له غير دواوينه الشعرية دراسات مثل « ليالي ابن الرومي » و « أقوال مبعثرة » .

★ نال عدة أوسمة عن شعره ، وله عدة قصائد مغناة .

هذا ، ومن المتوقع أن يقام حفل توزيع الجائزة الذي سيشرفه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز في الثامن من هذا الشهر (شعبان) .



•• وفاة عبد الوهاب آشي ••

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب السعودي والشاعر الأستاذ «عبد الوهاب إبراهيم آشي» عن عمر ناهز الخامسة والثمانين عاماً قضاه في خدمة الفكر والكلمة والوطن ، حيث ولد رحمه الله عام ١٣٢٣ هـ ، بمكة المكرمة ، وتخرّج من مدرسة الفلاح ، ثم اشتغل بالتدريس زمناً طويلاً ، حيث تخرّج على يديه عدد من الأدباء والأساتذة ورجال الفكر .

وبعد التدريس عمل في أعمال متعددة منها مساعداً لرئيس ديوان المحاسبة العامة بوزارة المالية ، ورئيساً لديوان التحريرات ، ومفتشاً عاماً لوزارة المالية ، فمديراً عاماً بها .

وله كثير من المشاركات الأدبية والفكرية ، فقد شارك في كثير من اللجان الفكرية والثقافية والتربوية والتعليمية ، وشارك في الصحافة وتطويرها ، فقد عمل رئيساً لتحرير جريدة « صوت الحجاز » ، وقد كتب في مختلف مجالات فنون الأدب شعراً ونقداً ومقالة ودراسات أدبية ونقد اجتماعي ، كما شارك في تأسيس نادي مكة المكرمة

الأطفال ، وأعراضها عبارة عن آلام شديدة وارتفاع في الحرارة ، في حين أن الفحص يكون سلبياً وصور الأشعة طبيعية والجرثومة المسببة للمرض يمكن اكتشافها في الدم . ويقتضي الأمر التجبيس واستعمال المضادات التي تساعد على عدم تطور الحالة إلى التهاب عظمي نخاعي مزمن أو أورام خبيثة .

وينتج مرض **خلخلة العظام** asteoporosis من تحلل التكوين الملحي للهيكل بواسطة **التخلخل البروتيني للعظام** وهو عادة ما يصيب النساء . وإن كان يحدث أيضاً في بعض الأمراض التي تصيب **الغدد الصماء مثل مرض كوشينج** Cushing وصورة الأشعة تبيّن شفافية غير طبيعية تكسب العظم مظهراً أشبه بمظهر الخشب الذي نخره السوس أو الكسور وكذلك تركيب الفقرات وهي ليست نادرة الحدوث .

ويلاحظ تناقص الكثافة العظمية أيضاً في حالات **مرض الكساح** rickets وهو مرض يصيب الأطفال ، وينشأ عادة عن نقص **فيتامين « د »** الذي يزيده نقص أشعة الشمس في المدن الملوثة الهواء بالأدخنة .

وتصاحب هذا المرض تشوهات متباينة كتوقف نمو كعب القدم ، واتساع القفص الصدري في أسفله ، وتكوّر الأضلاع ، وانثناء عظمة الساق إلى الداخل . وللوقاية من هذا المرض يجب ملاحظة تعريض الأطفال لشمس معتدلة ، وتغذيتهم بمواد غنية بمادة الكالسيوم ، والعمل بصفة خاصة على إمدادهم بالقدر الكافي من فيتامين (د) . وهناك بعض التشوهات العظمية التي توجد منذ الولادة مثل الأصابع الزائدة .

تلك هي أمراض العظام والمفاصل الشهيرة أو بعضها التي تنجح في علاجها الوسائل العلاجية القديمة بقدر ما تنجح أحدث الوسائل العلمية .

د . بهاء لطفي قابيل
منيا القمح ـ مصر



الثقافي ، وكان في حياته دائم الحضور لمختلف المناسبات الفكرية والثقافية ، فقد حضر أول مؤتمر للأدباء السعوديين الذي عقد في مكة المكرمة تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز ، وحضر أول مهرجان لمنح جائزة الدولة التقديرية للأدب في الرياض .

وبالإضافة إلى كتاباته المتعددة المنشورة في الصحف ، فإن له بعض الأعمال المطبوعة منها مثلاً :

★ ديوان « أشواق . . وأشواق » .

★ ديوان شعر يحمل أعماله الشعرية الكاملة بعنوان « أعمال الآشي الشعرية الكاملة » وهو تحت الطبع ، وسيصدر عن نادي مكة المكرمة الثقافي .

★ نشرت بعض لمحاته الشعرية والفكرية في كتاب (وحي الصحراء) لمؤلفيه عبد الله بلخير ومحمد سعيد عبد المقصود .

★ له دراسة مستفيضة عن شوقي وحافظ والبارودي .

★ له ملحمة عن الحركة الفكرية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

★ وآخر ما كتب ، قصيدة كانت عن « أوضاع العالم العربي » في أكثر من (٢٥٠) بيتاً ، تحدث فيها عن الماضي والواقع والمؤمل من المستقبل .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

حلقة دراسية عن التراث

عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض **حلقة دراسية** عن **تحقيق التراث** ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض** ، استمرت شهراً كاملاً ،



★ عبد الوهاب آشي ★

وذلك خلال الفترة من الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة إلى الثالث عشر من شهر رجب ١٤٠٥ هـ ، حضرها العديد من المهتمين بالتراث ، ونوقشت فيها عدة موضوعات أهمها :

★ تحقيق التراث ومناهجه .

★ قضايا تراثية .

★ المراجع العامة وكيفية الإفادة منها في التحقيق .

★ مصادر المعلومات عن المخطوطات .

★ دور مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات في جمع وحفظ المحفوظات التراثية .

★ مناهج علماء المسلمين في تحقيق النصوص .

★ أهمية التعاون والتنسيق بين أقسام المخطوطات في العالم العربي .

★ أدب تحقيق التراث .

مناهج العربية في ندوة

عقدت في الرياض ندوة حول « **مناهج تعليم اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي في الوطن العربي** » ، وذلك خلال الفترة من ٩ إلى ١١ رجب ١٤٠٥ هـ ، تحت إشراف وتنظيم **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** بالتعاون مع **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** .

نوقشت في الندوة عدة موضوعات منها :

★ **نتائج دراسات أعدتها المنظمة حول** مناهج تعليم اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي في الوطن العربي .

★ **بعض أوراق العمل** التي تتناول الأسس النفسية والتربوية والاجتماعية لبناء مناهج تعليم اللغة العربية ، والأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج تعليم اللغة العربية ، وأسس مناهج الأدب والنصوص .

هذا ، وقد حضرها العديد من المهتمين والمدعوين من المنظمة والجامعات العربية في الوطن العربي .

معرض للحاسب الآلي

نظمت جامعة البترول والمعادن بالظهران خلال شهر رجب ١٤٠٥ هـ ، **المعرض الرابع للحاسب الآلي** ، حيث استمر أسبوعاً ، واشترك فيه أكثر من عشرين شركة وطنية وعالمية .

ضم المعرض نماذج من أحدث الأنظمة الجديدة والمطورة في عالم الحاسبات الآلية ، إلى جانب الأجهزة التي تسد حاجات العمل الأكاديمي والبحث العلمي .

والجدير بالذكر أن المعرض قد ركز على عرض الكمبيوتر الشخصي الذي يعتبر من أحدث النماذج المستخدمة والمطورة .

معرض لخرائط الجزيرة العربية

أقيم بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود بالرياض ـ معرض لخرائط الجزيرة العربية ، نظمه قسم الجغرافيا بالكلية بالتعاون مع **المركز الثقافي البريطاني** .

ضم المعرض خرائط نادرة للجزيرة العربية ، فكان فرصة للاطلاع عليها من قبل المهتمين والطلاب المتخصصين في هذا المجال .

هذا ، وقد أقيم المعرض خلال شهر رجب الماضي واستمر أسبوعاً كاملاً .

تدريس الطب الإسلامي

يقوم **قسم الطب الإسلامي التابع لمركز الملك فهد للبحوث الطبية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** بإجراء دراسات لإعداد منهج لتدريس الطب الإسلامي ليكون ضمن مقررات (كلية الطب) بالجامعة .

والهدف من هذه الدراسة :

★ المساهمة في وضع الأسس والقواعد الإسلامية للطب .

★ إدخال المفاهيم الإسلامية في مناهج التعليم الطبي والرعاية الصحية .

★ كما سيهدف القسم من وراء هذه الدراسة إلى إعداد ودعم الأبحاث والدراسات التي يقوم بها المختصون في مجال الطب الإسلامي والعمل على نشرها ودعم مكتبة الطب الإسلامي وتزويدها بالمراجع .

وقد وضع تصور كامل للمنهج الذي سيدرس في كلية الطب حيث تضمن :

★ تطوير فكر المسلم لإيجاد مدرسة طبية إسلامية متميِّزة ذات عطاء مبتكر .

★ تخريج الطبيب المسلم الذي يسترشد بالإسلام في جميع جوانب الحياة .

★ تنمية معرفة الطبيب بتراثه الإسلامي في الطب لتعزيز انتمائه لهذا الدين .

وسوف تتضمن مواد هذا المنهج المدخل للطب الإسلامي ، وتاريخ الطب الإسلامي ، وآداب المهنة ، والمواضيع الطبية في القرآن الكريم والسنَّة .

ندوة عن الصحافة السعودية

عقدت في رحاب كلية الآداب بجامعة الملك سعود ندوة عن **الصحافة السعودية** حيث شارك فيها كل من :

★ **تركي السديري** ــ رئيس تحرير صحيفة (الرياض) .

★ **هاشم عبده هاشم** ــ رئيس تحرير صحيفة (عكاظ) .

وقد أدار الندوة **أسامة السباعي** المحاضر بقسم الإعلام بالكلية ، ونوقشت فيها عدة أمور تتعلق بالصحافة كمادة إعلامية حضرها العديد من المهتمين والمختصين .

معرض عن البيئة في المملكة

أقيم في الرياض معرض تشكيلي للفنانة الباكستانية « موبينا عارف » ، حيث عرضت أكثر من **ثلاثين لوحة تشكيلية** معظمها بالألوان الزيتية ، وبعضها بالألوان المائية ، والبعض الآخر بالألوان الأكريليك ، استطاعت من خلالها التعبير عن مظاهر الجمال في **البيئة**



● « التبرج وأثره في ضياع المجتمعات » ، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن إبراهيم الفارس بالرياض .

● « الطابع الاقتصادي في اللغة » ، محاضرة ألقاها الدكتور تمام حسان بنادي جدة الأدبي .

● « من خصائص الفكر العربي » ، محاضرة ألقاها الدكتور زكي نجيب محمود بدار الثقافة ــ ابن خلدون بتونس .

● « آفاق القصة السعودية القصيرة » ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد صالح الشنطي بنادي الطائف الأدبي .

● « الثالوث البيئي في مدينة جدة » ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد البر القين بجدة .

● « الأمن الثقافي » ، محاضرة ألقاها الوزير الدكتور سعيد بلبشير بالرباط .

● « واجبات الضباط الأمنية ومسؤولياتهم الميدانية » ، محاضرة ألقاها اللواء محمد بن نصيف الحربي بالرياض .

● « مرحلة الشباب أهم مراحل العمر ... والحذر من تفويتها » ، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بالرياض .

● « دور إقبال في حركة الشعر والأدب » ، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي بالمدينة المنورة .

● « الإسلام بين حاضره ومستقبله » ، محاضرة ألقاها الدكتور حسن الترابي بأبو ظبي .

● « الجهل في الأحكام الشرعية .. وأثرها على المجتمع » ، محاضرة ألقاها الدكتور حمزة حسين الفعر بالطائف .

● « نظرات في القرآن الكريم » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد الغزالي بالجزائر .

● « القصص القرآني » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد الغزالي بالجزائر .

● « البعث والجزاء وآيات التشريع » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد الغزالي بالجزائر .

● « أبنية بغداد في الماضي والحاضر والمستقبل » ، محاضرة ألقاها الدكتور إحسان فتحي ببغداد .

● « مفهوم الحرية في الإسلام » ، محاضرة ألقاها الدكتور حلمي عبد المنعم بمكة المكرمة .

● « كيف تتقن اللغة الأجنبية » ، محاضرة ألقاها الدكتور إبراهيم حمد القعيد بجامعة الملك سعود بالرياض .

● « الجلوكوما ذات الضغط المنخفض » ، محاضرة ألقاها الدكتور محمود حلمي بكر بالدمام .

● « السلوك الأمثل في اتباع المشاة لتعليمات المرور » ، محاضرة ألقاها المقدم عبد الله الرقيبة بعمان .

❋ ❋ ❋



السعودية بأسلوب يميل أحياناً إلى التعبيرية حيث الخطوط الواضحة والأشكال المحددة .

الجدير بالذكر أن المعرض قد أقيم خلال شهر مارس (آذار) ١٩٨٥م ، الماضي . . والفنانة الباكستانية تخرّجت من **كلية الفنون بلاهور** ومن **كلية جوهان كاس للفنون بلندن** ، كما درست المناظر الطبيعية والتشخيصية في **معهد كامدين للفن** ، وهي تقيم بالمملكة منذ عام ١٩٨٢م .

الطبعة الثانية من مؤلفات العمير

عن **دار العمير الثقافية بجدة** ، صدرت **الطبعة الثانية** لعدد من أعمال صاحبها الأديب السعودي المعروف الأستاذ **علي محمد العمير** بعد أن نفدت الطبعة الأولى من الأسواق . . وهذه الكتب هي :

★ حصاد الكتب (عرض وتحليل ونقد) .

★ مناوشات أدبية .

★ سنابل الشعر (دراسات ومطالعات) .

★ على الماشي (مقالات قصيرة متنوعة) .

سورية

كشوف أثرية

في مدينة (الرقة) الواقعة في الشمال الشرقي من سورية ، **تم اكتشاف معالم لعدة قصور ضخمة ومراصد ومنشآت** في أطلال مدينة (الرشيد) ، وتعود هذه الآثار المكتشفة إلى أكثر عصور العباسيين تألقاً وازدهاراً ـ عصر الرشيد ـ . . وقد تحقق هذا الاكتشاف بجهود **دائرة الآثار السورية** ، بالتعاون مع **معهد الآثار الألماني** .

الجزائر

ندوات في جامعة قسنطينة

عقدت في رحاب **جامعة قسنطينة** خلال شهر مارس (آذار) الماضي ثلاث ندوات هي :

★ تطورات القضية الفلسطينية .

★ وحدة المغرب العربي .

★ المصادر المستعملة في كتابة التاريخ .

حضر هذه الندوات العديد من المهتمين والمختصين في البحوث التاريخية .

العراق

مؤتمر علمي للطب

عقد في رحاب جامعة بغداد المؤتمر العلمي الثاني للطب ، وذلك خلال شهر رجب الماضي ، حضره العديد من المهتمين الذين ناقشوا أكثر من ١٢٠ بحثاً في موضوعات الطب المختلفة تناولت :

★ الطب والجراحة .

★ الأشعة والأمراض السرطانية .

★ دراسات حول الطرق الحديثة في جراحة الأنف والأذن والحنجرة .

وبمناسبة عقد المؤتمر أقيمت ثلاث ندوات عن :

★ زرع الكلية .

★ الإسهال عند الأطفال حديثي الولادة .

★ حوادث الطرق .

الكويت

معرض للتشكيليين العرب

افتتح في الكويت في شهر رجب الماضي **معرض للفنانين التشكيليين العرب** وهو المعرض التاسع .

دُعي إليه عدد من الفنانين التشكيليين العرب ، وعرضت فيه لوحات متعددة الاتجاهات ، وسوف تمنح في نهاية المعرض جائزة للفائز الأول تحمل اسم (**الشراع الذهبي**) .

الأردن

تاريخ الشام في ندوة

عقدت في مدينة (عمّان) الندوة الثانية **للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام** ، تحت عنوان «**بلاد الشام في صدر الإسلام**» .

شارك في الندوة (٧٠) عالماً متخصصاً في تاريخ المنطقة ، وقد رأسها **ولي عهد الأردن الأمير حسن** .

نوقشت فيها عدة موضوعات منها :

★ حول الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام .

★ المراسلات والاتصالات النبوية مع بعض القبائل العربية في بلاد الشام .

★ تكوين الجيوش الإسلامية وتمويلها وطرق سيرها .

★ موقف سكان بلاد الشام من الفتح الإسلامي والإدارة العربية والإسلامية للمنطقة .

★ أنظمة الضرائب فيها .

★ الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية .

إلى غير ذلك من الموضوعات .

المغرب

ندوة عن النقد والإبداع

عقدت بمدينة الدار البيضاء ، ندوة حول «**النقد والإبداع**» ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **اتحاد الكتّاب والأدباء العرب** .

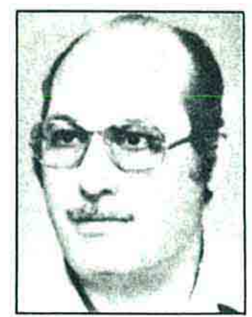
شارك فيها عشرون باحثاً وناقداً ، وتركز النقاش فيها حول عدة محاور أبرزها (جدلية الإبداع) .

وتعد هذه ثالث ندوة يحتضنها المغرب ، فقد سبق له ونظم ندوة حول «**الرواية العربية**» عام ١٩٧٩م ، وندوة حول «**القصة القصيرة**» عام ١٩٨٠م . أما هذه الندوة فقد عقدت خلال شهر مارس (آذار) الماضي .

مصر

مجمع ثقافي بالإسكندرية

تم في مدينة (الإسكندرية) إنشاء أكبر



★ عامر العقّاد ★

مجمع للمتاحف والمعارض التشكيلية والمراسم والندوات وغيرها، وقد ضم المجمع ثلاثة متاحف هي :

★ متحف للفنان **محمود سعيد** احتوى على أعماله منذ بدايته الفنية مع توضيح لأسلوبه الذي عرف به، وأيضاً مرسمه بكل محتوياته.

★ متحف الأخوين **سيف وأدهم وانلي**، احتوى على أعمالهما الفنية من البداية وحتى آخر الأعمال التي تركها الفنانان.

★ متحف للفن المصري المعاصر، وقد احتوى لوحات بداية هذا القرن وحتى الوقت الحالي.

وفاة العقّاد

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب عامر أحمد محمود العقّاد، وذلك عن (٤٩) عاماً، حيث ولد رحمه الله عام ١٩٣٦ م.

والعقّاد ينحدر من عائلة أدبية خرج منها الأديب العربي الراحل عباس محمود العقّاد عم عامر العقّاد، حيث تلقّى علومه على يد عمه، إذ لازمه لمدة عشر سنوات حتى تاريخ وفاته عام ١٩٦٤ م، فتلقّى عنه علوم الأدب (التراجم والسير)، والنقد الأدبي وأصوله، وهو أحد دارسي كلية الحقوق عام ١٩٥٨ م.

له العديد من المؤلفات منها :

★ لمحات من حياة العقّاد.

★ آخر كلمات العقّاد.

★ معارك العقّاد السياسية.

★ معارك العقّاد الأدبية.

★ مع عاهل الجزيرة.

★ أحمد أمين ـ حياته وأدبه.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رسائل جامعية

●● «تحقيق كتاب غاية الوصول في شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد محمد بن عبد الله الصالح.

●● «عصر أكبر سلطان الدولة المغلية الإسلامية في الهند»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها الطالب نصر بن أحمد نور أحمد.

●● «شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ـ القسم الثاني ـ دراسة وتحقيقاً»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد يحيى بشير مصري.

●● «الإدارات المسؤولة عن التعليم العام للبنات في منطقة الطائف التعليمية ـ تنظيماتها ومدى كفاءتها في العملية التعليمية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدمت بها السيدة حميدة عبد الله فلمبان.

●● «تحقيق ودراسة كتاب ـ النكت ـ في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة ـ لأبي إسحاق الشيرازي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد زكريا عبد الرزاق المصري.

●● «الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد خلف دبلان الوذيناني.

●● «المجتمع الإسلامي المعاصر ـ أسباب ضعفه، ووسائل علاجه»، موضوع رسالة دكتوراه في الثقافة الإسلامية نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد عبد الله سليمان المشوخي.

●● «مدينة البويرة ... وإقليمها»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالسربون، تقدمْ بها السيد فضل الأيوبي.

●● «المنتخب من زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد للحافظ ابن حجر ـ تحقيق ودراسة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عبد الله مراد السلفي.

●● «بنو عامر بن صعصعة ودورهم حتى سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة بغداد، تقدم بها السيد إسماعيل حسن العجلان.

●● «طرق استخدام الأرض في وادي بني كبير في الباحة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بآداب جامعة الملك سعود، تقدم بها السيد عبد الله سعد الغامدي.

●● «الشعر في حاضرة اليمامة حتى نهاية العصر الأموي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد عبد الرحمن الدياسي.

●●



★ جلالة المغفور له الملك فيصل ★

السنغال :

مركز الملك فيصل الثقافي

افتتح خلال شهر رجب الماضي في مدينة «دكار» **مركز الملك فيصل الثقافي والاجتماعي** ليقوم بدوره في خدمة الإسلام والثقافة والحضارة في هذا البلد الإفريقي .. وقد حضر الافتتاح عدد من المسؤولين السعوديين والسنغاليين .

الجدير بالذكر أن هناك عدداً من الدول ساهمت في إنشاء هذا المركز ، وقد ساهمت المملكة العربية السعودية بالجزء الأكبر من التكاليف .

بريطانيا :

سعوديان في الكلية الملكية

تقديراً للجهود المتميّزة في مجال تخصصها منحت **الكلية الملكية في لندن العضوية وشهادة الزمالة لكل من الدكتورين السعوديين :**

★ الدكتور فهد العبد الجبار .

★ الدكتور عبد العزيز المشاري .

يعمل الأول مشرفاً على أعمال وإدارة مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث ومديره التنفيذي بالرياض .

ويعمل الثاني عميداً **لكلية الطب المساعد التابعة لجامعة الملك سعود بالرياض ،** ورئيساً لقسم النساء والولادة في **مستشفى الملك عبد العزيز الجامعي بالرياض .**

هذا ، وتعد الكلية الملكية البريطانية من أهم المؤسسات الطبية في العالم ، وتضم في عضويتها نخبة من أشهر الأطباء في جميع أنحاء العالم ، وفي مختلف التخصصات .

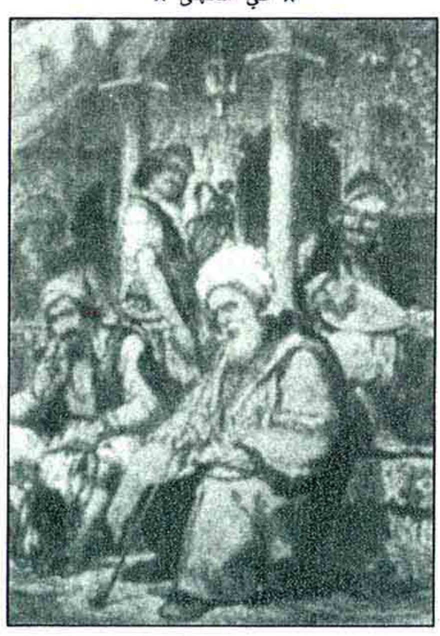
معرض للرسوم المائية

أقيم في متحف « فيكتوريا والبرت » .. بلندن ولأول مرة معرض **للرسوم المائية** وذلك تحت عنوان « أناس وأماكن من القسطنطينية » ، واللوحات المعروضة هي من أعمال الرسام « **أمادو كونت بروزيوسي** » (١٨١٦ ــ ١٨٨٢ م) .

وتعد اللوحات المعروضة سجلاً لآخر المشاهد والعادات والمظاهر الشرقية النقية لمدينة **القسطنطينية** التي كانت آنذاك عاصمة الإمبراطورية الإسلامية ، كما رسم في لوحاته العمارة الأصيلة مثل المساجد ، والمنائر ، والنافورات ، ومناظر الخليج الذهبي ، والبيوت الخشبية المزخرفة على ضفاف **البوسفور .**

كان الفنان الراحل قد سجل هذه المشاهد في لوحاته (المعروضة حديثاً في أواخر شهر مارس (آذار) الماضي) قبل غزو الثقافة الأوروبية تلك المدينة وغيرها من المدن الخاضعة لها ، التي عايشها قرابة نصف قرن خاصة في القسطنطينية مما جعله يتعرف على كل تفاصيل الحياة اليومية فيها .

★ في المقهى ★



أحدث الكتب

● **« طعم الحياة »** ، تأليف **الكاتبة الأسترالية جولي ستافورد** ، صدر في **لندن .**

أمريكا :

معرض كويتي للتراث

أقيم في العاصمة الأمريكية «واشنطن» **معرض للتراث الكويتي** ، عرضت فيه أعمال السدو كقطع فنية تقليدية تدل على مهارة يدوية مميزة .. وقد أقيم المعرض بدعوة وتنظيم **المؤسسة العربية الأمريكية للثقافة في واشنطن .**

روسيا :

متحف للفن الشعبي

أقيم مؤخراً في مدينة «كيرون آباد» الواقعة في إقليم أذربيجان « **متحف للسجاد والفن الشعبي التطبيقي** » ، اشتمل على منسوجات من السجاد القديم النادر الذي يعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، بالإضافة إلى الأواني النحاسية والخزفية القديمة ، ومنتجات من الفخار والسيراميك .

فرنسا :

يوم الشعر المغربي

عقد في باريس يوم الشعر المغربي ، نوقشت فيه عدة موضوعات ، حضره من تونس عبد العزيز قاسم ، ومنصف الوهابي ، ومحمد فوزي ، وعبد الله مالك جاسمي ، كان ذلك في



★ د. سعيد شيبان ★

مركز جورج بومبيدو بباريس، وتمت المناقشة فيه باللغتين العربية والفرنسية.

طبيب جزائري وجائزة طبية

تقديراً لخدماته في مجال الطب في المغرب العربي، فقد حصل (**الدكتور سعيد شيبان**) وهو أستاذ لطب العيون في **جامعة الجزائر، ورئيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب** على **جائزة الطب المغربية**، التي تمنح من **باريس** والتي جرى تأسيسها العام الماضي ١٩٨٤م.

الجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها الجائزة منذ تأسيسها.

أحدث الكتب

● «**أغنيات**»، **ديوان شعر للشاعر هنري ميشو**، صدر في **باريس**.

● «**مختارات من الشعر الأيرلندي والاسكتلندي**»، صدر في **باريس** متضمناً القصائد التي كتبها الشعراء في القرن العشرين الميلادي.

النمسا :

أحدث الكتب

● «**أسلوب العمارة المتوارث عن مصر الفرعونية**»، تأليف **الأثري ويتلهم أرنجز**، صدر في **فيينا**.



أخبار الغد

●● مؤتمر للكمبيوتر الوطني ●●

سيعقد خلال الفترة من ١٧ ـ ٢٣ من شهر محرم ١٤٠٦هـ، القادم المؤتمر الوطني الثامن تحت عنوان «**الكمبيوتر في الإدارة ـ والصناعة**»، وذلك تحت إشراف **وتنظيم شركة أرامكو بالظهران**.

الجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي ترعى فيها مؤسسة صناعية هذا المؤتمر، وذلك بعد أن كان ينعقد سابقاً برعاية مؤسسات علمية في المملكة.

ستناقش في هذا المؤتمر الذي سيشترك فيه مجموعة من الباحثين عدة أبحاث تقدم بأي من اللغتين العربية أو الإنجليزية لعل من أهمها :

★ إدارة الكمبيوتر واستخدامه.

★ الفنون التخطيطية بالكمبيوتر للتشغيل الآلي للمكاتب.

★ مكننة أعمال المكاتب.

★ الكمبيوتر في التعلم المركزي والأنظمة الموزعة في الكمبيوتر في العمليات الصناعية.

كما سيشتمل إضافة إلى الأبحاث على دورات عمل لبحث المسائل الرئيسة التالية :

★ صناعة الكمبيوتر في المملكة العربية السعودية.

★ مكننة الصناعة.

★ الاهتمام الوطني بتعميم الوعي عن الكمبيوتر.

★ متطلبات إيصال البيانات داخل المملكة.

وقد عد يوم الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٠٥هـ، الماضي آخر موعد لتسلم خلاصات البحوث.

●● كتب جديدة ●●

● «**قصائد من الجبل**»، **ديوان شعر** لعدد من الشعراء سيصدر عن **نادي أبها الأدبي**.

● «**من آداب الحسبة في الإسلام**»، **تأليف عبد الله العلي النعيم**، سيصدر في **الرياض**.

● «**إرشاد الهادي**»، تأليف **سعد الدين التفتازاني**، تحقيق **الدكتور عبد الكريم جواد الزبيدي**، سيصدر قريباً عن **إحدى دور النشر المحلية**.

● «**مفردات اللغة العربية في اللغة الإسبانية**»، دراسة من إعداد **ظافر عبد الرؤوف**، ستصدر في **القاهرة**.

● «**شعر العماني الراجز ـ دراسة وتحقيق**»، إعداد **الدكتور حنا جميل**، سيصدر في **الأردن**.

● «**أعلام الفكر والأدب في الأردن**»، إعداد **محمد أبو صوفة**، سيصدر في **عمان**.

● «**الدرة المضيئة في الوصايا الحكيمية**»، تأليف **أبو بكر تقي الدين الشيباني**، تحقيق **صلاح الدين خليل**، سيصدر في **دمشق**.



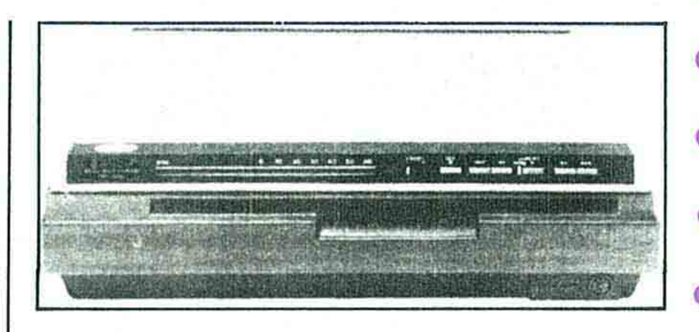
و



ترسانة الطواحين الهوائية

حدث تعاون غير متوقع بين صناعة الطيران وصناعة بناء السفن لإنتاج أجنحة (ريش) مروحة طاحونة هوائية ارتفاعها ٨٥ متراً ، مهمتها توليد الكهرباء في « غوتلند » بألمانيا الاتحادية . تتعرض هذه الأجنحة لظروف مماثلة لأجنحة طائرة ضخمة ، لذا فقد تم تصميمها من قبل مصانع الطائرات الألمانية MBB /VFW . لكن أبعاد الأجنحة تقارب تلك الضرورية لسفينة صغيرة ، لذا فقد تم صنعها من الصفيح الفولاذي في ترسانة بناء السفن في « بريمن » حسب المبادئ المتبعة في ترسانة بناء السفن .

ورغم أن مولدات الكهرباء الهوائية ليست إلا صورة حديثة عن الطواحين الهوائية ، إلا أن تسخير خبرات صناعة الطائرات والسفن تزيد من فعاليتها وتمد من عمرها .



الفيديو ديسك

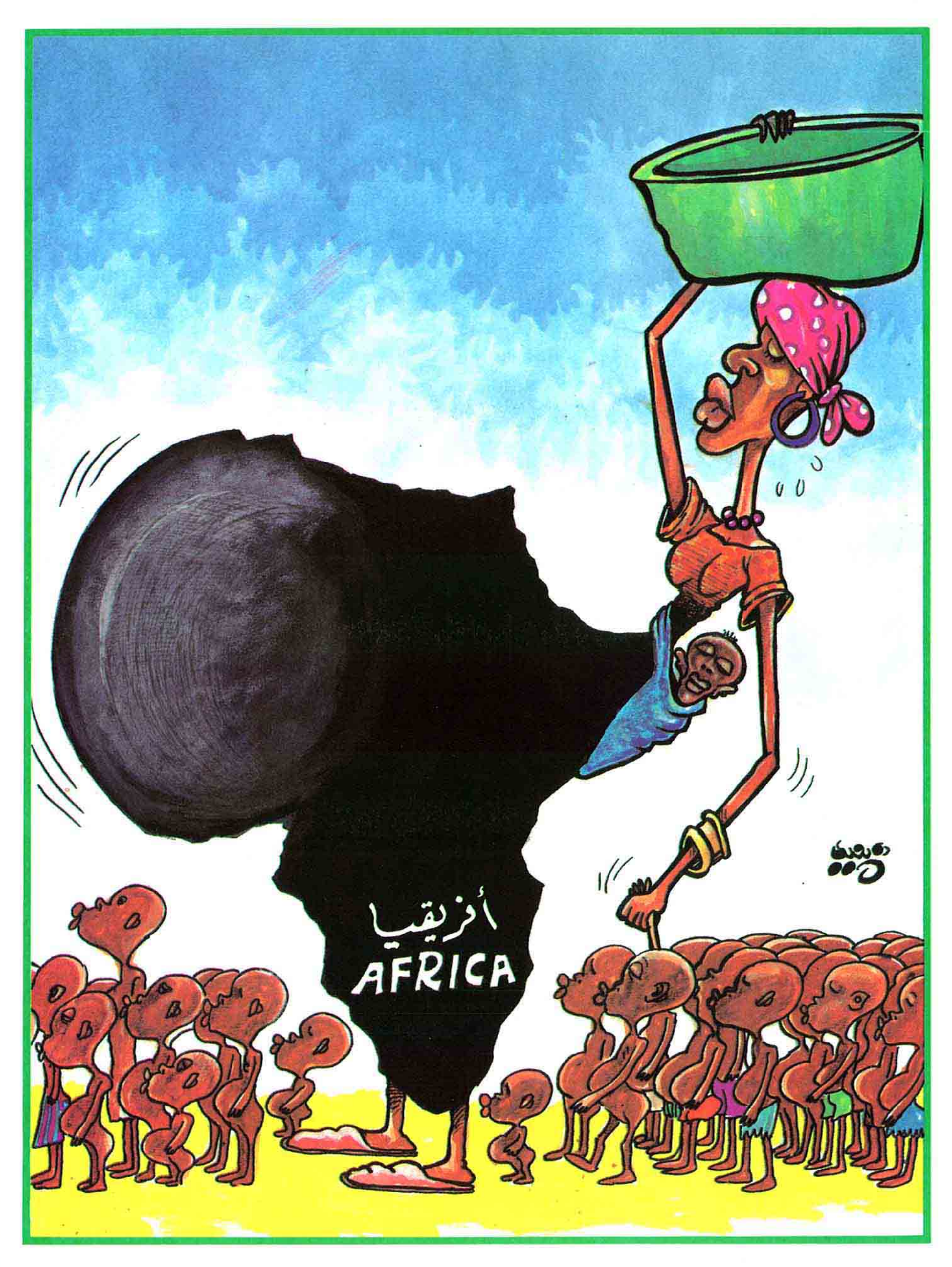
بعد أن انتشرت موجة الفيديو – باستعمال الأشرطة – في العالم ، فقد اتجه العلماء نحو اكتشاف « **الفيديو الأسطوانة** » أو ما يعرف باسم « الفيديو ديسك » . والصورة تبين جهاز الفيديو الذي يستوعب أسطوانة مدتها ساعتان . والزر المبين على واجهة الجهاز يتحكم في تحريك الفيلم إلى الأمام والخلف ، أو لتثبيت الصورة ، كما يمكن كذلك ، التحكم في العرض عن بعد .

سر الانفجار في سيبيريا

في عام ١٩٠٨م ، وقع حادث غامض تماماً في أحد أطراف **سيبيريا** البعيدة . كان انفجاراً هائلاً يعادل ١٠ ملايين طن من مادة (ت . ن . ت) شديدة الانفجار . . **أدى إلى تشويه جزء كبير من الغابات وسمع صداه في كثير من أنحاء العالم** . إلا أن هذا الانفجار لم يترك أية حفرة مكانه .

وقد وضعت استفسارات عديدة لهذا الانفجار : **التقاء المادة مع المادة المضادة ، ثقوب سوداء ، مركبات من الفضاء** . إلا أن الحسابات التي أجراها علماء **معهد كاليفورنيا التكنولوجي** ، بواسطة الحاسب الإلكتروني ، أظهرت أن أسباب الانفجار قد تكون نتيجة اصطدام نيزك بالأرض . إن مثل هذه الأجسام تنفجر في الغلاف الجوي للأرض قبل أن تصل إلى السطح بكثير .




أفريقيا
AFRICA

●● «خيالة عرب» Arab Horsmen : ●●



فيكتور بيير هوجيه ● المدرسة الفرنسية ● رسم بالزيت على قماش ● ١٨٣٥/ ١٩٠٢م ●

★ قبة قور أمير بسمرقند ★



بقلم: د. محيي الدين المبروك

للكثير منا رغبة في التعرف على أحوال المسلمين في شتى أصقاع العالم، وبالأخص في الأقطار النائية التي تزيد في بعدها عنا الدعايات السياسية الهادفة إلى إيهامنا بأن حدود دار الإسلام قريبة منا.

وأهل أوزبكستان الذين أتابع بكل اهتمام حياتهم يعيشون حياة الإسلام في مساحة تساوي مساحة بريطانيا العظمى وبلجيكا وهولندا والنمسا وسويسرا معاً (ما يقرب من نصف مليون كيلومتر مربع).

وما أوزبكستان إلا إحدى العينات التي تجسم قوة التوحيد في الإسلام الذي ضم أمماً كثيرة ومختلفة.. وبقدر ما يختلف أوزبكستان عن القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي بقدر ما ينسجم أوزبكستان في مجموعة الجمهوريات الإسلامية. وهي جمهوريات تركمانيا وتاجيكستان وقرغيزيا وكازاخستان وأذربيجان...

ولجمهورية أوزبكستان ثقافتها التي تنبع من ماض مجيد ، كما أن لها لغتها . . ويشعر الأوزبكي شعوراً متزايداً بخاصيات ذاتيته وأصالته ، كما أن له ذاكرة تاريخ جيدة . وأهالي أوزبكستان لم يستطع أحد إبعادهم عن الأصول الأولى للإسلام الذي بقي على نقاوته الأصلية وعلى بساطته الأولى .

والمسلمون في الاتحاد السوفيتي تتزايد نسبتهم السكانية بصورة مستمرة . . ففي جمهورية أوزبكستان كان عدد السكان عام ١٩٧٠م ، يساوي ١١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة من بينها ٧,٧٢٥,٠٠٠ أوزبكي الذين تكون نسبتهم ٦٥,٥٪ أما بالنسبة إلى عام ١٩٦٩م ، فقد كانت النسبة ٦٢,١٪ ٥,٠٣٨,٠٠٠/٨,١٠٠,٠٠٠ مما يبيّن أن العنصر الأوزبكي الإسلامي وهو العنصر الأصلي يزداد ، وهذا هو الوضع السائد في بقية الجمهوريات الإسلامية الشرقية خلافاً لما هو عليه الحال في غرب الاتحاد السوفيتي (غير المسلم) .

ولنضرب مثلاً لذلك ، فإن نسبة الروس في الجمهورية الروسية ، كانت عام ١٩٥٠م ، تساوي ٨٣,٣٪ (٩٧,٨٦٤,٠٠٠ / ١١٧,٥٣٤,٠٠٠) ، فانخفضت في عام ١٩٧٠م ، إلى ٨٢,٨٪ ١٠٧,٧٤٨,٠٠٠/١٣٠,٠٧٩,٠٠٠[1] .

فازدياد نسبة المسلمين وعددهم يلاحظ في المستويين الاتحادي (الفيدرالي) والقومي الداخلي . . وذلك الازدياد يقابله انخفاض في نسبة غير المسلمين على نفس المستويين السالفي الذكر فنسبة ازدياد الأوزبكيين في جمهوريتهم تساوي ٣,٤٪ في حين أن انخفاض نسبة الروس في جمهورياتهم يساوي ٠,٥٪ .

أما نسبة الروس في أوزبكستان ، وهم أقلية بالطبع ، فهي في انخفاض مستمر إذ هي كانت تساوي ١٣,٥٪ في عام ١٩٥٩م ، وأصبحت تساوي ١٢,٥٪ في عام ١٩٧٠م ، (الفارق ١,٠ ــ) بينما نسبة الأوزبيك ازدادت بمقدار ٣,٤٪ كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وتفيد بعض التوقعات أن عدد سكان **آسيا الوسطى** سيضرب في ٣ بالنسبة للمدة الفاصلة بين ١٩٧٠ و ٢٠٠٠م ، ولهذا النمو السكاني وقعه الاقتصادي والسياسي بلا شك . وهذا التزايد الديموغرافي سيصبح مستقبلاً وثبة ديموغرافية خاصة إذا اعتبرنا التوازن العددي بين النساء والرجال وسن أغلبية الأهالي (سن الإنجاب والخصوبة) في الجمهوريات الإسلامية .

ومن خاصيات أوزبكستان الإيجابية عدم وجود نزوح من الريف في اتجاه المدن ، والعكس هو ما يحصل حيث يتم النزوح من المدن نحو الريف . . وهذا الوضع الطريف يساعد على النهوض بالريف ، وفعلاً فإن الفلاحة في أوزبكستان مزدهرة جداً .

وتدر أوزبكستان كميات هائلة من قطن وغلال وخضر والعديد من المنتوجات الحيوانية . . وتأتي أوزبكستان في المرتبة الثالثة عالمياً بعد الولايات المتحدة والصين فيما يختص بإنتاج القطن ، أما العاصمة (طشقند) فهي تنسج مئات ملايين الأمتار من الأقمشة المتنوعة والممتازة في السنة الواحدة .

ولأوزبكستان مصدر آخر علاوة عن الذهب الأبيض (**القطن**) إذ يوجد بها الذهب الأسود (**النفط**) وكذلك الغاز الطبيعي الذي اكتشفت أحواضه الهائلة في أعماق أرض بخارى العتيقة . . ومنها ينطلق خط أنابيب الغاز بخارى ــ الأورال الكبير طيلة آلاف الكيلومترات .

وفي ميدان التصنيع أذكر على سبيل المثال لا الحصر صنع أوزبكستان لآلات النسيج التي تبعث حتى لموسكو وكذلك صنع الحفارات . وأثناء الحرب العالمية الثانية سدد أوزبكستان للاتحاد السوفيتي كميات لا تحصى ولا تعد من الأغذية والملابس والأسلحة .

وإنه لمن البديهي أن بلداً معطاءً كأوزبكستان لا يعرف مشكلة الاكتفاء الذاتي في الميدان الغذائي مثلاً التي تتخبط فيها بلدان عديدة .

ويطبق أهالي أوزبكستان تعاليم الإسلام في بيوتهم ، وخاصة في بعض المناسبات كالولادة أو الختان أو عقد قران أو وفاة (وهنا يجدر الإشارة إلى وجود مقابر خاصة بالمسلمين) ، وإن كانت تعاليم الدين لا تدرس في مدارس الدولة الملحدة ، إلا أن الأهالي يدرسونها بطريقة انفرادية وشخصية في أول مدرسة وهي الأسرة المسلمة .

فالتعليم الديني موكول إلى العائلة بواسطة أعضائها أو عن طريق مدرس خاص ، فالإعداد الديني هو أساساً إعداد بيتي ، وكثيراً ما يقوم رجال الدين بالشعائر الدينية في البيوت ذلك لأن الإسلام لا يقتصر على المساجد بل هو أيضاً في البيوت والبيوت لا تحصى ولا تعد .

والرجل الأوزبكي هو أولا مسلم له وعي ديني يجعله يشعر بأنه ينتمي إلى العالم الإسلامي ، لذا يستحيل صهره في بوتقة حضارة غير إسلامية مهما كانت الظروف .

أعلام أوزبكستان

لقد ساهمت منطقة آسيا الوسطى التي تسمى اليوم أوزبكستان مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإسلامية والعالمية . . فهذه المنطقة التي كانت تعرف ببلاد « **ما وراء النهر** » (أي نهر سردارية) أنجبت عباقرة أفذاذاً في شتى الميادين : حديث ، تفسير ، فقه ، طب ، فلك ، رياضيات ، طبيعة ، جغرافية ، تاريخ ، فلسفة . . .

(أ) في ميدان الحديث : أنجبت إمام المحدثين أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٤ ــ ٢٥٦ هـ) المولود ببخارى والمدفون قرب سمرقند (بقرية خرتنك المكان المعروف حالياً بسوفخورزباي أريق ــ أو حجة إسماعيل ــ البعيد عن سمرقند بمسافة ٢٠ كلم تقريباً) ودرس **الإمام البخاري** الأحاديث في **الجامع الذي بناه قتيبة بن مسلم في بخارى** . . وكانت لإمام المحدثين شهرة فائقة تخرج منها أمير بخارى الذي طلب من الإمام قطع صلته بطلبته والتفرغ كامل الوقت لتعليم أبنائه بالقصر الأميري ، لكن إمام المحدثين رفض ذلك ملاحظاً العلم (يؤتى إليه ولا يأتي) فما كان من الأمير إلا أن أخرج الإمام من بخارى فتوجه إلى **سمرقند** وبقربها أدركته المنية ليلة عيد الفطر عام ٢٥٦ هـ .

خطأ ، والضريح يقع داخل مسجد به كروم وحوله حقول قطن لا يحدها البصر .

(ب) وأنجبت أوزبكستان محدثاً آخر هو صاحب أحد الصحاح الستة **أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي** المولود عام ٢٠٩ هـ ، **في مدينة «ترمذ»** ومن مؤلفاته (كتاب السنن ـ كتاب التاريخ ـ كتاب الشمائل النبوية ـ كتاب الزهد ـ كتاب الأسماء والكنى) .

(جـ) أما **قرية زمخشر بخوارزم** فقد أنجبت العالم الديني والأديب **أبا القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري** المولود سنة ٤٦٧ هـ ، المتحمس للمذهب الكلامي وإلى دراسة اللغة العربية بعمق مؤكداً في مقدمات كتبه قيمة اللغة العربية كأداة حضارية .

وألّف هذا العالم أكثر من خمسين كتاباً ضاع نصفها ، ومن بين كتب التفسير المعتمدة تأليفه المعنون بتفسير (**الكشاف**) ، كما أن الزمخشري يعد من بين جغرافيي القرن السادس بالمشرق ، وكثيراً ما سافر هذا الجغرافي وإن كانت إحدى ساقيه خشبية كما أنه مكث كثيراً بمكة المكرمة ، وألّف الزمخشري معجماً جغرافياً عنوانه (**كتاب الجبال والأماكن والمياه**) ضابطاً الأعلام الجغرافية الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكان ذلك بتشجيع من شريف مكة المكرمة ، وعلاوة عن معرفته الدقيقة بأماكن جزيرة العرب كان الزمخشري عارفاً بمواضع فلسطين والشام والعراق ومصر لكنه كان قليل الاهتمام بأماكن بلاد ما وراء النهر[٢] .

(د) ومن أعلام أوزبكستان ذلك الطبيب الحكيم **أبو علي بن سينا** المولود سنة ٣٧٠ هـ ، **بقرية «أفشنة» بالقرب من بخارى** ، وشاءت الأقدار أن يعالج الطبيب ابن سينا **الحاكم الساماني نوح بن المنصور** الذي جازاه بالترخيص له في العمل بمكتبته الملكية التي كانت لها المرتبة الثانية بعد **مكتبة شيراز** فانكب الطبيب الفتي على المطالعة حتى صار الرئيس ابن سينا صاحب أشهر تأليف



★ قباب شردور بالقرب من بخارى ★

أما المؤلفات المشهورة للإمام البخاري فهي (الجامع الصحيح ـ الأدب المفرد ـ أسماء الصحابة ـ أفعال العباد ـ بدء المخلوقات ـ بر الوالدين ـ الثقات والضعفاء ـ تاريخ بخارى ـ القراءة خلف الإمام في الصلاة ـ كتاب الهبة) . وفي سنة ١٩٧٤ م ، أعيدت طباعة « الجامع الصحيح » بفضل الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان . . وهناك من يظن أن ضريح الإمام البخاري يقع في بخارى ، ـ ومن بينهم ابن بطوطة ـ لكن ذلك

طبي في العالم وهو (**القانون في الطب**) المؤلف بخوارزم.

(هـ) ولم ينجب أوزبكستان أشهر طبيب في تاريخ البشرية فقط بل أنجب كذلك أكبر رياضي في العالم وهو **محمد بن موسى الخوارزمي مكتشف الأرقام العربية الخوارزمية** (1 - 2 - 3) وتمثل الأرقام العربية الخوارزمية النظام الثاني لكتابة الأرقام بعد النظام الأول وهو **نظام الأرقام العربية الغبارية** (١ ، ٢ ، ٣) . . والتي لم يكن أصلها هندياً كما يدعي بعضهم خطأً . . . ورسم الخوارزمي أرقامه (العربية الخوارزمية) اعتماداً على عدد الزوايا 1 2 3 (والصفر دائرة O خالية من كل زاوية) .

كما أن الخوارزمي هو مبتدع علم الجبر وله المؤلف الشهير (**حساب الجبر والمقابلة**) ، وانتقل اسم هذا العلم (الجبر) العربي إلى الغرب الذي يستعمل سواه Algebre ، كما أن الخوارزمي **ابتكر علم حساب خوارزمي رمزه خو ، المعروف في الغرب بلفظ** Logarithme رمزه log .

حقاً إن تلك العلوم تطورت منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، نوعاً ما ، لكن أساسها لم يتغير .

(و) ولم تنجب أرض خوارزم محمد بن موسى الخوارزمي فحسب بل أنجبت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، علماً آخر من أعلام العلم العالمي تدين له البشرية ، هو **أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني** صاحب المؤلفات الشهيرة مثل (**الآثار الباقية عن القرون الخالية**) ، و (**تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**) ، و (**كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**) ، و (**كتاب الصيدنة**) .

وقد بيَّن البيروني أن العربية هي اللغة الوحيدة الجديرة بأن تكون لغة علم فكتب : « وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت إلى الأفئدة وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع إلافها وأشكالها وأقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير الميزاب والوزافة في العراب ثم متنقلة إلى العربية والفارسية فأنا في كل واحدة دخل ولها متكلف والهجو بالعربية أحب إليَّ من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية » .

فالبيروني هو أول من دافع عن العربية وأقرها كلغة علم وما كتبه عنها لم يكتبه أحد في عصرنا من دعاة التعريب . ومما يؤسف له أن اللغة الأوزبكية أصبحت تكتب بالحروف السيريلية منذ عام ١٩٣٨ م ، بعد أن كانت تكتب بالحروف العربية كما كتبت بالأحرف اللاتينية بداية من عام ١٩٢٨ م ، إلى سنة ١٩٣٨ م .

(ز) وفي نفس القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كان بأوزبكستان الفيلسوف **أبا نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي** نسبة إلى مدينة « **فاراب** » . ويكفي أن لقب الفارابي بالمعلم الثاني بعد **أرسطو** ، ويدل هذا اللقب على أن الحضارة الإسلامية اعترفت لما كان للحضارات الأخرى من فضل على البشرية ، وهذا الموقف قلّما اتخذته الحضارة الغربية إزاء التمدن الإسلامي .

(حـ) وآخر علم من أعلام أوزبكستان يجب ذكره هو **ألوغ بيك** الذي يعد الشخصية العلمية والسياسية معاً بأوزبكستان (٧٩٦ ـ ٨٥٣ هـ = ١٣٩٣ ـ ١٤٤٩ م) ، وكان حفيد **تيمورلنك** الجبار ، وبعاصمة ملكه شيد هذا السلطان والعالم مرصداً فلكياً على غرار أبلخانات إيران عام ٨٣٢ هـ ، ١٤٢٨ م . وتأليف هذا السلطان معروف باسم (زيج ألغ بك محمد بن شاه روخ) بن تيمور أو « زيج كوركاني » أو « زيج جديد سلطاني » .

ولم يكن ألوغ بيك فلكياً فقط ، بل كان رياضياً ، كما أنه انكب على دراسة القرآن الكريم وجوَّده بالقراءات السبع . وأكد الأكاديمي الروسي والمستعرب **كراتشكوفسكي** أن عمل ألوغ بيك يمثل الكلمة الأخيرة في فلك العصور الوسطى بل الدرجة القصوى التي بلغها علم الفلك قبل اختراع **المنظار (التلسكوب)** .

وبمقارنة تاريخ صدور زيج بيك بسمرقند (١٤٢٨ م) بتاريخ احتلال المغول للعراق وإيران وسورية وتحطيم بغداد من طرف (**هولاكو**) حفيد (**جنكيز خان**) ١٢٥٨ م ، يتبين استمرار النهضة العلمية الإسلامية بأوزبكستان (١٧٠) عاماً بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية وقتل الخليفة ودخول العالم العربي فيما يسمى بعصور الانحطاط ، فكانت سمرقند مركزاً للحضارة الإسلامية التي لم نذكر إلا القليل من أعلامها الأفذاذ .

معالم أوزبكستان

إن آثار الإسلام التاريخية في أوزبكستان يصعب إحصاؤها ، وقد زرت الكثير من المساجد والمدارس والمكتبات ، وهناك من المعالم التاريخية ما لم أشاهده لكثرتها ، ولتلك المنشآت المعمارية قيمة فنية فائقة ، فهي قباب زرقاء مرفوعة عالية تغطي قاعات فسيحة ، ومآذن جمالها متناهي ، وبوابات ضخمة لا تزال محل درس المؤسسات والبعثات الثقافية ، ولتلك البناءات تكسيات إما بالطوب الأحمر وإما بالفخارات وعلى الفخارات المطلية زخارف في بعض الأحيان منقوشة فيها رسوم هندسية ونباتية وكتابية .

مدينة سمرقند

وأول مدينة زرتها هي « سمرقند » عاصمة دولة تيمور وقد أعاد هذا الأخير بناء سمرقند وتخطيطها . . ولعل أعظم ما يرتبط به اسم تيمور بسمرقند يتمثل في **مجموعة (شاه زنده)** المبنية على سفح جبل حيث كانت



★ جامع كلان ومئذنته ببخارى ★

توجد **مدينة (أفراسياب)** التي أصبحت أثراً بعد عين . والداخل إليها يعبر مدخل ظليل ، ثم يجد على يساره مسجدين أولهما صيفي وثانيهما شتائي ، ويختص المسجد الصيفي بأعمدته الخشبية المنقوشة خاصة في أسفلها ، ويتوغل الزائر في (شاه زنده) بصعود مدرج طويل عريض يمكنه من تقلص سفح الجبل ، وبجانبي ذلك المدرج الذي يصعده الزائر ببطء لعلو درجاته مجموعة من المباني .

هذا ، ويصعب على الزائر الدخول إلى كل بناية لكثرتها ، ومن بين تلك الأماكن بشاه زنده مسجد ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم « **محمد قثم بن العباس** » ناشر الدين الحنيف في سمرقند وبلاد ما وراء النهر ، ومن حين لآخر يمكن للزائر أن يتوقف في بعض الباحات قبل استئناف تقلص المدرج من جديد كما تستوقف الزائر بوابات أثرية وإذا دخل المبنى فله أن ينعم بجمال فسيفساء بعض القباب .

ومن معالم سمرقند **مسجد (بي بي خانم)** بباحته الشاسعة ومأذنتيه (القرنين ١٤ و ١٥ م) وقام ببناء هذا المسجد تيمور ، أما ألوغ بيك فقد أدخل للمسجد قاعدة رخامية ضخمة للقرآن الكريم وزنها عشرات الأطنان .

وبجوار المسجد يوجد **سوق كبير** تباع فيه بالأخص منتوجات الفلاحين الخاصة ، والتجوال في أركان هذا السوق الممتد الأطراف يمكّن الزائر من معاينة تنوع أوزبكستان الفلاحية وكثرة غلالها وخضرها ، وقد لمست بالسوق حسن المعاملات البشرية وذلك بالرغم من العائق اللغوي .

وعلاوة على المدرسة التي أسسها ألوغ بيك بسمرقند فإنه أنشأ كذلك المكتبات في أماكن عديدة ، وكانت له مكتبة خاصة به فيها نفائس المخطوطات من بينها **كتاب « صور الكواكب الثمانية والأربعين » لمؤلفه أبي الحسن عبد الرحمن بن عمر الرازي المعروف بالصوفي المتوفي عام ٣٧٦ هـ ـ ٩٨٦ م ..** وتوجد هذه المخطوطة الأساسية التي كانت بمكتبة ألوغ بيك الخاصة **بالمكتبة القومية بباريس** تحت عدد عربي ٥٠٣٦ . وفي وسط مدينة سمرقند يوجد **ميدان ريغيستان** وبه ثلاث مدارس (ألوغ بيك ، شيردار وطلا كاري) . أما ضاحية سمرقند فهي تمتاز بوجود **مرصد ألوغ بيك الفلكي** المبني على غرار **مرصد مراغة** القريب من بغداد ، وجهز ألوغ بيك مرصده بجميع آلات الرصد المعروفة في زمانه بما فيها الربع الفلكي المبني . وبهذا تمكن ألوغ بيك من بعث جو علمي بسمرقند يعيد ذلك الجو الذي يوجد بالعراق ، والتف حول السلطان الفلكي عدد كبير من العلماء . واليوم أقيم على أنقاض المرصد معرض للبحوث الفلكية التي

حققها ألوغ بيك ومن عمل معه لتقدم العلم في ربوع آسيا الوسطى .

وإن كانت كل مدرسة تشكل بمفردها متحفاً بسمرقند فإن هناك مدينة أخرى بأوزبكستان هي بنفسها متحف ، وهي **مدينة «بخارى»** .

مدينة بخارى

وثاني مدينة زرتها هي **بخارى** ، ولئن كانت المدارس في معظمها قطعاً من التاريخ في أوزبكستان ، فإن ببخارى مدرسة تتطلع إلى المستقبل وهي **«مدرسة مير عرب»** ــ لقب الشيخ عبد الله اليمني ــ فهذه المدرسة المشيدة في أوائل القرن ١٦ م ، بعد ما أقفرت عادت لها الحياة ، إذ هي تضم معهداً دينياً تدخله نخبة من الطلبة بعد الانتهاء من التعليم الثانوي ، وتكرس نفسها لخدمة الدين الحنيف ليصبح الطالب إماماً مثلاً ، يواصل تعلمه بمدرسة (مير عرب) طيلة سبعة أعوام ، ويتسنى له بعدها مواصلة التعلم بالأزهر الشريف أو القرويين ، وتتحمل نفقات التعلم المجاني الإدارة الدينية للمسلمين ، ومع شديد الأسف لم أتمكن من الاطلاع على الحياة الطلابية بتلك المدرسة وحضور بعض الدروس والمطالعة بمكتبتها .

وأمام مدرسة مير عرب يوجد **جامع كلان** (القرن ١٦ م) ، ومأذنته الشهيرة الخارجة عنه . أما المعالم الأخرى فهي على سبيل المثال لا الحصر : **مسجد بلند** (القرن ١٦ م) ، **مسجد غازكاه** (القرن ١٦ م) ، مجموعة قوش وبها **مدرسة مادر عبد الله خان** (القرن ١٦ م) ذات الباب الخشبي البديع النقش ، مجموعة لب حوض وبها **مسجد ندر ديوان بيكي** (القرن ١٦ م) ، **مدرسة عبد العزيز خان** الواقعة أمام مدرسة ألوغ بيك وبها حفر على الغانتش بتلوين (القرن ١٧ م) .

ومن تحف بخارى **«سوق زركران»** ومجموعة قبابه التي لا مثيل لها من حيث الشكل والبساطة .

تلك هي جل المعالم الكائنة ببخارى . .

وبالقرب من هذه المدينة العتيقة يلاحظ من بعيد **بناية (شردور)** بقبابها الأربع .

وبجامع خواجة زين الدين صلينا الجمعة ، وأصغينا إلى الخطبة وكانت بعضها بالعربية والبعض الآخر باللغة الأوزبكية ، وقد امتلأ الجامع بالمصلين ، ولم أظفر فيه بمكان أصلي فيه إلا بتعب لكثرة المصلين .

وبقدر ما حافظت بخارى على طابعها العتيق بقدر ما أصبحت «طشقند» عاصمة أوزبكستان الحالية مدينة حديثة ، خاصة بعد الزلزال الذي ضربها عام ١٩٦٦ م ، مما استوجب إعادة بناء الكثير من أحيائها .

مدينة طشقند

وطشقند هي آخر مدينة زرتها **وكان اسمها القديم (شاش)** ، وبها توجد الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان ، وقد حظيت بمقابلة نائب رئيس تلك الإدارة ورئيس تحرير المجلة الإسلامية المعروفة (**المسلمون في الشرق السوفييتي**) التي تصدر منذ عام ١٩٦٨ م ، واسمه السيد **عبد الغني عبد الله** . . وتنشر المجلة باللغات الأوزبكية والفارسية والعربية والإنكليزية والفرنسية . وبنفس الشارع الذي تقع فيه الإدارة الدينية السالفة الذكر (شارع حمزة عدد ١٠٣٢) يوجد **جامع طلا شيخ** ، وبه مكتبة هامة جداً . وتشكل الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان مركزاً دينياً موحداً بالنسبة للمسلمين القاطنين في أوزبكستان وتركمانيا وتاجيكستان وقرغزيا وكازاخستان وذلك منذ مؤتمر عام انعقد سنة ١٩٤٣ م . وفي كل خمسة أعوام ينعقد مؤتمر المسلمين وبين مؤتمر وآخر ، فالسلطة العليا للمسلمين تمارسها رئاسة الإدارة الدينية المنتخبة في المؤتمر وتتكون من ٩ ــ ١١ عضواً . وللإدارة الدينية إصدار الفتاوى عند الاقتضاء ، وتعيين أئمة الجوامع والمساجد ، والموافقة على برنامج التعليم الديني ، وطباعة المؤلفات .

وبجانب تلك الإدارة توجد الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وسبيريا ومقرها **مدينة «أوفا» عاصمة جمهورية باشكيريا** ذات الحكم الذاتي . والإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس (بالنسبة لشمال القفقاس وداغستان ومقرها مدينة «يوينا كسك» في داغستان) ، والإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس بالنسبة إلى أذربيجان وأرمينيا وجورجيا (ومقرها باكو عاصمة أذربيجان) .

وبالقرب من جامع طلا شيخ يقع المعهد الأعلى للإمام البخاري ، وبه يتخصص من أتم دراسته بمدرسة مير عرب ببخارى . وبطشقند مخطوطة مصحف الخليفة عثمان بن عفان . . ومن المتفق عليه أن هذا المصحف وجد بسمرقند في القرون الأولى للإسلام دون تحديد التاريخ ، لكن اختلف في كيفية وصوله إلى سمرقند فهل حمل تيمور المصحف إلى هذه المدينة بعد احتلال دمشق ؟ أم هل أهدي من طرف الملك الظاهر لمصر لأحد خانات التتار ؟ .

على كل ، فبعد الاستيلاء على سمرقند سنة ١٨٦٨ م ، على الحاكم العام القيصري لتركستان (وهو اسم إقليم آسيا الوسطى آنذاك) أن المصحف العثماني محتفظ به بمسجد سمرقند خواجة أحرار فعمد الحاكم إلى انتزاعه من رجال الدين (مقابل مائة روبل . . .) . .

وبالرغم من احتجاجات المسلمين بآسيا الوسطى فقد احتفظ بالمصحف **بالمكتبة العامة بعاصمة الإمبراطورية القيصرية بطرسبورغ** . وإثر سقوط القيصرية حاولت ثلة من الجنود المسلمين (فوج بريوبرا جينسكي) إرجاع المصحف إلى مسلمي آسيا الوسطى لكن بدون نتيجة ، وأطلق عليهم الرصاص . وبعد ثورة ١٩١٧ م ، اتخذ **لينين** قراره السياسي المشهور القاضي بإرجاع المصحف إلى جماهير المسلمين بآسيا الوسطى ، وهذا تعريب الرسالة الموجهة إلى مفوضية الشعب لشؤون التعليم من طرف رئيس الحكومة السوفييتية :

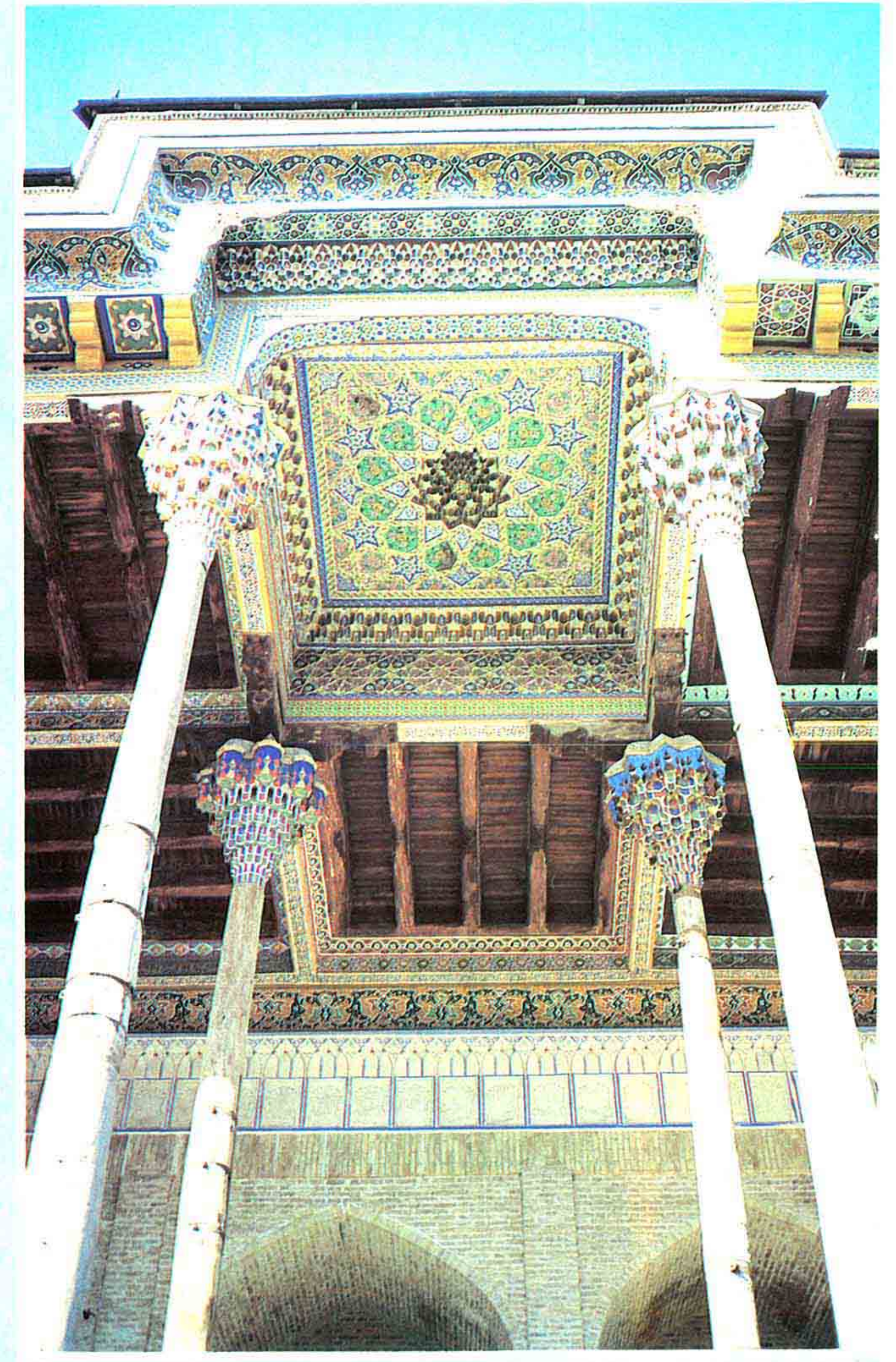
« إلى أناتولي فاسيلييفيتش لوناتشارسكي مفوض الشعب لشؤون التعليم ٩ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩١٧ م ، بتروغراد . تلقى مجلس مفوضي الشعب التماساً من مؤتمر الدائرة

ف . أوليانوف (لينين)
رئيس مجلس مفوضي الشعب
بونج برويفيتش مدير شؤون المجلس
ن . غوربونوف السكرتير

وإثر ذلك القرار نقل المصحف الشريف من «بطرسبورغ» إلى مدينة «أوفا» عن طريق القطار وكانت الجماهير الغفيرة تنتظره بفارغ الصبر على الرصيف . وبالرغم من أن مدينة أوفا يقطنها الكثير من المسلمين وبها مقر الإدارة الدينية المركزية للمسلمين منذ ما يقرب من القرنين فقد طالبت **جريدة (إظهار الحق)** الصادرة في طشقند عام ١٩١٨م، بإرجاع المصحف إلى سمرقند (إذ إن مسنده الحجري لم يزل قائماً فيها) . وصدر نفس الطلب عن **(جمعية المسلمين)** بطشقند . ثم في عام ١٩٢٢م، تكرر الطلب من قبل **اللجنة التركستانية لشؤون المتاحف وحماية الآثار التاريخية والفنون والبنايات الأثرية**، لما كان من اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي سنة ١٩٢٣م، إلا أن قررت إرجاع المصحف الشريف من أوفا إلى تركستان (آسيا الوسطى حالياً) . وبعد ما احتفظ بالمصحف طيلة خمس سنوات بأوفا سلّم فيما بعد إلى وفد الجمعية الإسلامية في طشقند ومقاطعة سرداريا المكون من رئيسها ومن المفتي السيد ظهير الدين أعلم، والسيد محمد خوجة،

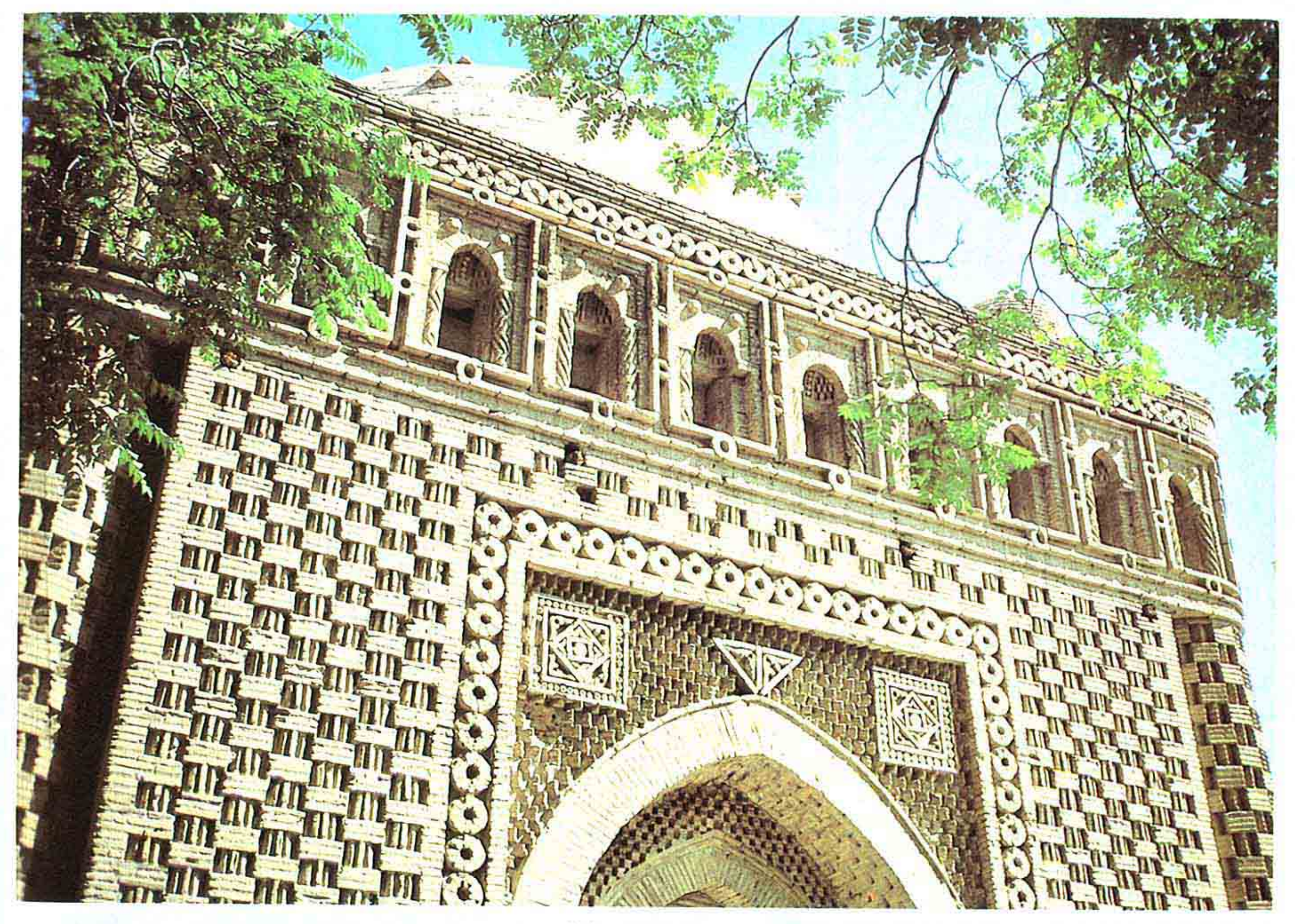
والسيد قاسم حجايف ممثل لجنة المعالم الأثرية، وإلى من تم ذكرهم التحق بالأخص السادة القاضي رضاء الدين بن فخر الدين وعبد الله سليمان وعبد الرحمن زادة، وإذا بعربة قطار خاصة تنقل مع من ذكر المصحف الشريف إلى طشقند .

وبعد احتفال أقيم بمحطة القطار بطشقند حمل المصحف الشريف على الرؤوس إلى جامع خوجة أحرار، وطيلة عام كامل تواصل جماهير المسلمين لمشاهدته، ثم حُمل المصحف إلى **متحف التاريخ**، وبعد ذلك في عام ١٩٤١م، نقل إلى **متحف تاريخ شعوب أوزبكستان**، ولما انعقد المؤتمر الإسلامي عام



★ واجهة مسجد في بخارى ★

الإسلامية في مقاطعة بتروغراد القومية، يطالب المؤتمر المذكور بإعادة (مصحف عثمان الشريف) الموجود حالياً في المكتبة العامة التابعة للدولة، وذلك تلبية لأماني كافة مسلمي روسيا . وكلف المؤتمر **عثمان هداية الله توقومبتوف** رئيس مجلس الشورى العسكري عامة روسيا **وكريم محمد شون سعيدوف** بتنفيذ هذا القرار، وقرر مجلس مفوضي الشعب إعطاء (مصحف عثمان الشريف) الموجود في المكتبة العامة التابعة للدولة إلى المؤتمر الإسلامي في المقاطعة دون إبطاء، ونظراً لذلك يطلب منك إصدار أمر مناسب» .



★ نموذج للزخارف الإسلامية في أوزبكستان ★

١٩٤٣م ، وضع المصحف الشريف مؤقتاً بالإدارة الدينية[٣] .

وكما سبقت الإشارة فإن بطشقند نفائس المخطوطات بمكتبة جامع طلا شيخ **وبمعهد الاستشراق** الذي يحمل اسم أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني التابع لأكاديمية العلوم في أوزبكستان والذي يحتوي على أكثر من (٢٥) ألف مخطوطة . وبتداول تلك المؤلفات يتبيّن القسط الوافر الذي أرسته أوزبكستان في الحضارة الإسلامية . . فقد وجد الدين الحنيف في بلاد ما وراء النهر لبنة طيبة نماها فرعته وحدث التفاعل الحضاري ، وإذ بالإسلام يفجر طاقات كمينة وجدها في هذه الأصقاع التي بدورها عززت قوة الإسلام .

ولما دخل العالم العربي عصور الانحطاط انتقل مشعل الحضارة الإسلامية إلى بلاد ما وراء النهر ، وكما لاحظه العلامة كراتشكوفسكي في تأليفه الضخم المشار إليه أعلاه (**في طلب العلم رحل الناس من الأندلس إلى بخارى**) ، ص (١٩) . وبعد ما أصبحت بخارى مركز علم كسمرقند أخذ الإشعاع العلمي ينتقل من الجنوب نحو الشمال ثم من الشرق إلى الغرب .

ويذكر نفس العلامة في خصوص سمرقند ، كان من أكبر معاوني ألوغ بيك في مرصده ومن واضعي الزيج **علي بن محمد القوشجي** (توفي عام ٨٧٩هـ = ١٤٧٤م) الذي اضطر إلى مغادرة سمرقند ووجد الملاذ بعد تجوال طويل لدى السلطان العثماني **محمد الفاتح** بالقسطنطينية حيث أصبح المسؤول الأول عن انتشار المعارف الفلكية والجغرافية في الدولة العثمانية (ص ١١٦ ـ ١١٧) ، وهكذا انتقل ركب الحضارة من الجنوب إلى الشمال ، ومن الشرق إلى الغرب ماراً بآسيا الوسطى ، لكن الركب آخذ في طريق العودة إلى ديار الإسلام والمسلمين رعاة حضارة الإيمان والإنسانية والعدل إن شاء الله .

الهوامش

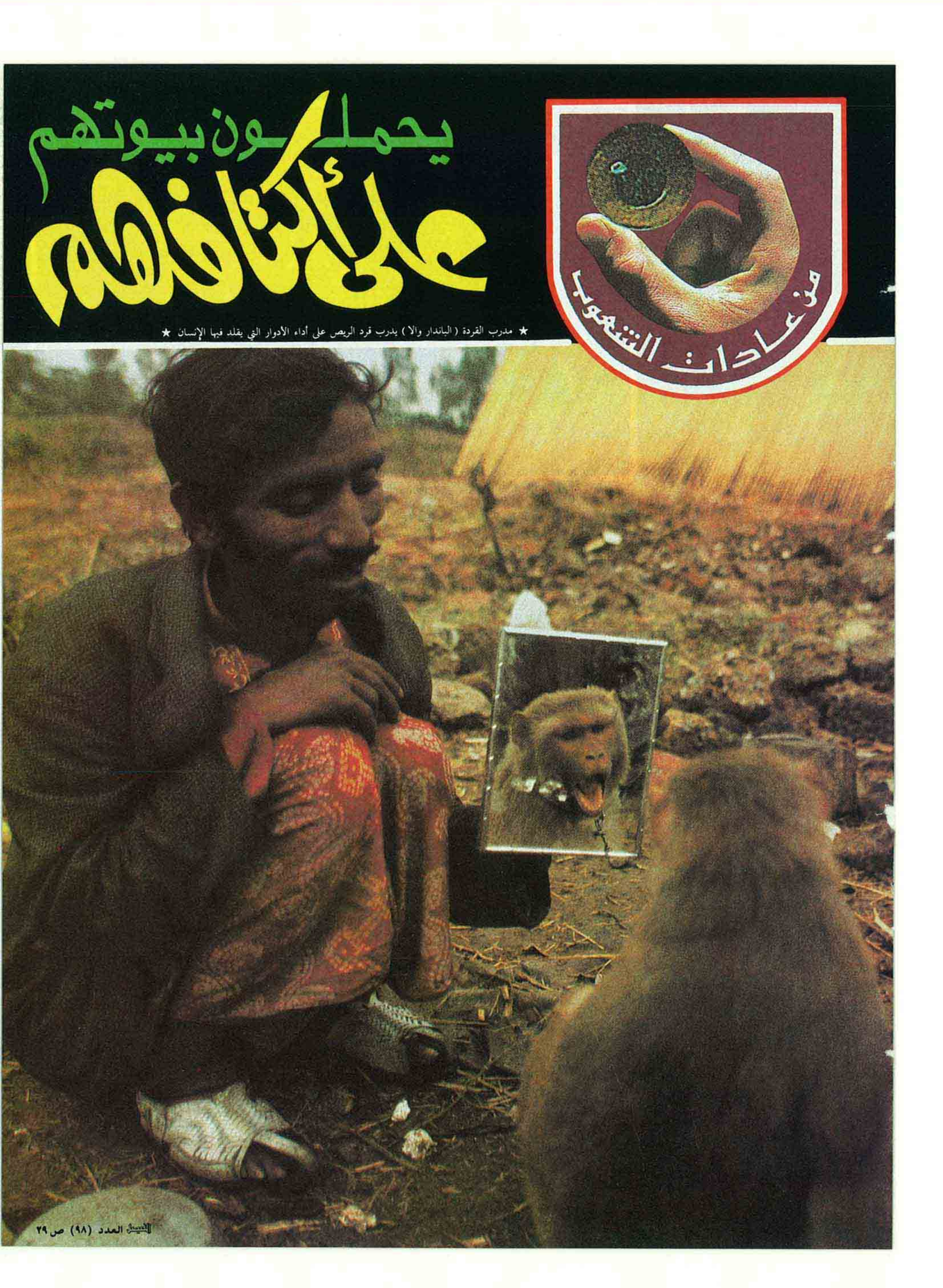
(١) هذه الأرقام والمعلومات مأخوذة من كتاب المؤلفة الفرنسية :
Hélène Garrère d'Encausse, ''L'Empire éclaté; Flammarion – Paris. 1978.

(٢) أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص ٣١٧ وما بعدها ، (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم) ونشر جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٦٣م .

(٣) جميع هذه التفاصيل مأخوذة من (الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفييتي) ، للمفتي ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ، ص ٧٤ وما تبعها ، طشقند عام ١٤٠٠هـ .

يحملون بيوتهم على أكتافهم

من عادات الشعوب



★ مدرب القردة (الباندار والا) يدرب قرد الريص على أداء الأدوار التي يقلد فيها الإنسان ★



★ ينقل القردة على دراجته ★

الكالاندار Qalandar (وتلفظ بالإنكليزية Colonder) هم غجر آسيا الذين يشاركون في النسب غجر Romany (Gypsies) أوروبا وأمريكا، وهم مجموعات رحّل من الصنّاع والحائكين وصانعي الخزف ومرقصي الأفاعي سحرة ومشعوذون وأهل ألعاب خفية وحيل وخفة يد وبهلوانيون وشعراء ومدربو حيوانات متجولون يُدهشون بفنونهم التي يعرضونها جماهير الأرياف والمدن في هذه المناطق الشاسعة الكثيفة السكان ويجلبون لهم المتعة والتسلية لقاء أجور زهيدة.

❋ ❋ ❋

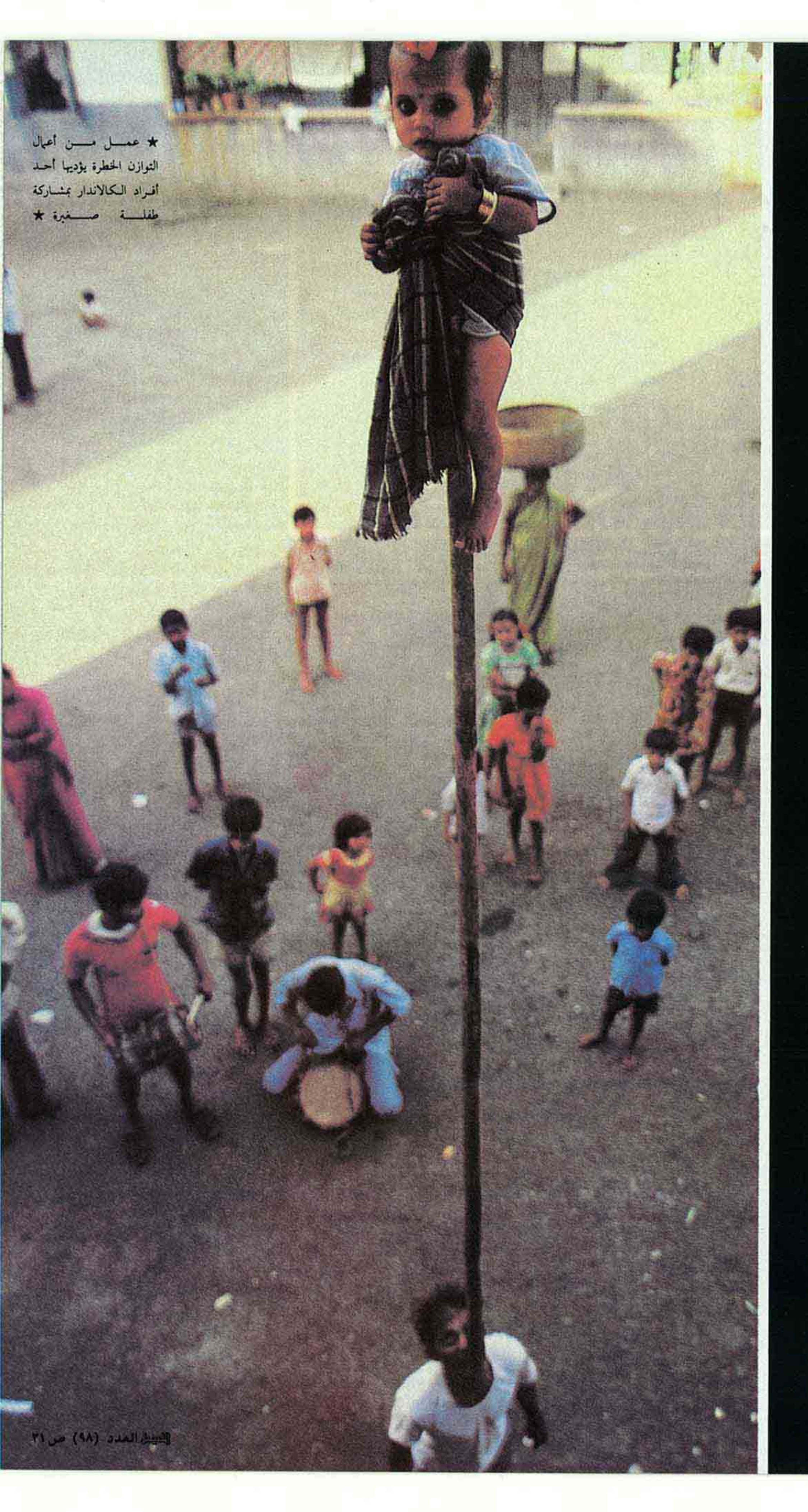
تبدأ رحلتهم السنوية عبر **ممر خيبر** الطريق الرئيسي الكبير المشهور في شبه القارة الهندية حيث يتوغلون في ريف ومدن هذه البلاد المنخفضة الواسعة التي كانت مهداً لحضارات قديمة عدّة، من حضارة ما قبل التاريخ (سون soan) إلى حضارة مدينة **وادي الهندوس** إلى **حضارة** (**فيديك** Vedic) إلى إمبراطورية **المغول** ثم السيادة البريطانية، وتحوي هذه البلاد أجناساً عرقية متعددة وحضارات مختلفة وديانات كثيرة خلال تركيبة اجتماعية معقدة لشعوب جنوب آسيا.

ومن آلاف السنين والكالاندار يواصلون انتشارهم الواسع بين هذه المناطق والقطاعات ذات الثقافات المتنوعة وارتبطوا برباط وثيق مع هذه المجتمعات الريفية والمدنية التي تنتظرهم كل عام في مواسم الحصاد لترفّه عن نفسها بقليل من التسلية والمتعة التي تفتقدها طوال العام.

ويكسب الكالاندار معيشتهم من تقديم النِّمر (الأدوار) في حفلات أشبه بحفلات السيرك المتنقّل التي تقام في العراء في ساحات الأرياف والمدن بمشاركة بعض الحيوانات المدرّبة كالقرود والدببة والكلاب والثعابين، وهم سحرة ماهرون ويجيدون تقديم الألعاب الخطرة وألعاب خفّة اليد، والألعاب البهلوانية التي تتطلّب رشاقة في الجسم وفن، كما أنهم يجيدون تقليد معظم شخصيات المجتمع، والحالات الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع ويقدّمونها في قوالب نقدية تثير الضحك والمتعة، إضافة إلى أنّهم قد ورثوا مواهب تناقلوها جيلاً بعد جيل تركتهم على دراية ومعرفة بمختلف أحوال وشجون هذه البيئات والمجتمعات الريفية والمدنية التي يحطّون بين ظهرانيها، وهذا يقتضي منهم تنوعاً في تقديم الخدمات التي تتناسب والأحوال المعاشية

★ خيام الكالاندار المكونة من بطانيات خيطت مع بعضها البعض ★





★ عمل من أعمال التوازن الخطرة يؤديها أحد أفراد الكالاندار بمشاركة طفلة صغيرة ★

والمزاج النفسي لشعوب هذه المجتمعات ، وتقديم النمر والأدوار التي تحكي ظروفهم وأحوالهم ويتجاوبون معها ، وأهل القرى في الأرياف ينتظرون زيارة المسلّون الكالاندار كل عام في نهاية مواسم الحصاد ، والكثير منهم يسمع الحكايات عنهم قبل أن يراهم ، وكل قرية تنتظرهم بفارغ الصبر بعد أن تعلم بقدومهم قبل فترة حين تُسمع من على بعد جلبتهم العالية التي تبشر بحضورهم القريب والتي تصدر عن الطبول ذات الرنين العالي ومزامير القرب المصنوعة من جلد الماعز التي يعزف عليها الصبية الصغار .

ويصل موكب الكالاندار إلى أبواب القرية تتقدّمه الكلاب الراقصة والماعز المزخرف المعلّق برقابها الأجراس النحاسية وراقصو البهلوانيات ومدرّبو القردة والدببة مع قردتهم ودببهم ثم بقية الأفراد ، وفي الخلف تسير الحمير التي تحمل أمتعتهم ، وما إن تُسمع هذه الجلبة والأصوات المتقطّعة التي تصدر عن الطبول ومزامير القرب والنغمات المتنافرة من الأجراس حتى تثير الفضول وحبّ الاستطلاع عند الصبية والشبان والكبار على السواء ، ويهرع الأطفال إلى ذويهم ليسمحوا لهم بمشاهدة الكالاندار وليأخذوا منهم المال اللازم ليغروا به أفراد الكالاندار لعرض المزيد من الأعمال السحرية والبهلوانية التي تدهشهم وتمتّعهم وذلك بعد أن يتحلّقوا في مجموعات صغيرة منفصلة من الشبان ، حيث يقوم واحد منهم بجمع المال ليقدّمه لأفراد الكالاندار ليقوموا

بتقديم النّمر الإضافية من أعمال السحر والتلاعب وخفة اليد والأعمال البطولية الخطرة ، ودائماً يصاحب الطبل والمزمار الألعاب البهلوانية وألعاب الحيوانات .. وبعد انتهاء العمل يعود أفراد الكالاندار إلى تجمّع الخيم الذي ينصبونه دائماً في الأراضي الخالية أو في الحقول .. ثم ينتقلون إلى قرية أخرى ليقدّموا فنونهم .

والكالاندار يعيشون في مجتمع مغلق تزدريه الشعوب الأخرى وتشكّك فيه ، وهم يدركون أن لهم موقعهم الغامض في التركيبة الاجتماعية الواسعة التي تشملها هذه البلاد الشاسعة ، وعندما لا تصاحبهم حيواناتهم لا يكونون هذا الشيء الغريب في المظهر الخارجي ، ونادراً ما يميزون عن بقية أفراد الفئات الفقيرة أو الطبقات الاجتماعية المغلقة في أي مجتمع ، وهم بتجوالهم الكثير بين الأرياف وفي المراكز المدنية يراقبون نشاطات المجتمعات هذه ويتفهّمونها ، ثم يستخدمون هذه المعرفة للدخول إلى أغوار النفس البشرية وكشف مخبّآتها ودهائها ، ويستطيع أيّ مراقب متفهّم أن يلحظ هذه الأمور وهو يرى الأدوار التي يقدّمها أفراد الكالاندار لنماذج من شخصيات المجتمعات المختلفة التي يعايشونها ولمواقف وأحوال خاصة تتم في هذه المجتمعات لا يفهمها إلا من عايشها (كالخلافات الزوجية والأسرية وتصرُّفات الموظفين مع المواطنين والكهنة وغيرها) ، وبالعكس فإن أفراد المجتمعات الأخرى غالباً لا يعرفون شيئاً عن مجتمع الكالاندار وثقافته



★ مدرب الدببة (البهالو والا) وبصحبته دبه ★

وأحواله ، والكالاندار يدركون أن هذه المجتمعات المقيمة تعتبرهم طفيليين عليهم وأنهم يُعتبرون طبقة المنبوذين في التركيبة الاجتماعية لشعوب الهندوبورما .

وفي باكستان يصنّف الكالاندار مع سكّان الأرياف البدو في طبقة تسمّى (**الكهانابادوش** Khanabad-osh) ، وهذا مصطلح فارسي يعني حرفياً (الذي يحمل بيته على كتفه) ، وهم يشكّلون مع الشعوب الأخرى التي تشابههم كالغجر في أوروبا وأميركا (عمال مدن الملاهي المتنقلة) والبدو الريفيين غير الرعاة أوبرا رعوية خير تشبيه لها هي القواقع والحلزونات والسلاحف التي تحمل بيوتها على أكتافها أو ظهورها ، والتعبير هذا أطلق عليهم للسخرية .

وأفراد طبقة (الكهانابادوش) يصنّفون عادة إلى ثلاث فئات منفصلة :

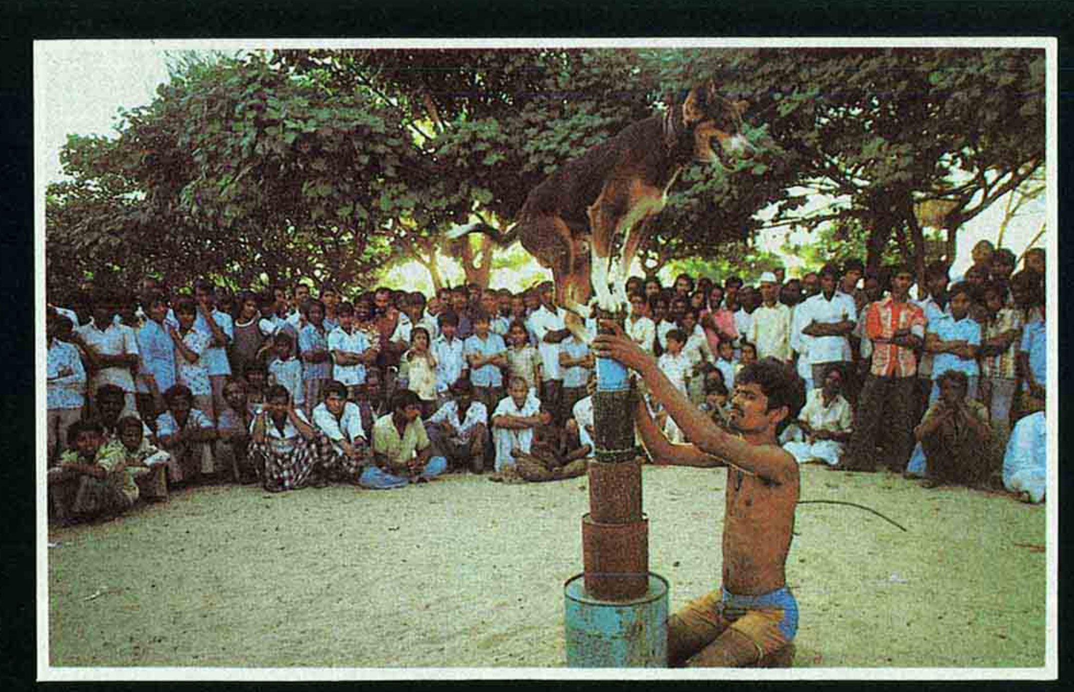
(١) فئة (**الشوباني** Chaupani) .

(٢) فئة (**الكافيلا باونداه** qafila powindah) ، وهم التجار .

(٣) فئة (**البارياتان** paryatan) ، وهم أصحاب المهن الغريبة والمسلّون والكناسون والبائعون المتجوّلون ، والشعب المقيم في المدن غالباً يكوّن أسراً مع فئة أو فئتين منهم ، والكالاندار مجموعة من (١٥) مجموعة منفصلة تضمّها فئة (البارياتان) وتتزاوج مع أفرادها ، ويعتبر الكالاندار أنفسهم أصحاب مهارات ومواهب متنوّعة وأنهم وحدهم الذين يستطيعون ترويض وتدريب الدببة والقردة ، وأسرة من كل ستّ أسر منهم تمتلك وتدرّب الدببة ، والدب الأسود الكشميري هو الأعم عندهم ، وهو دب كبير الحجم ونادر في جنوب آسيا ، بينما الدب البنّي الآسيوي غالي الثمن وتدريبه صعب ، والقليل جداً من الكالاندار الذي يقدّم نمره مع هذا الحيوان الشرس ، وكلا النوعين عموماً يكون تدريبه صعباً وتكيّفه مع هذه الأجواء الحارّة والطرق الوعرة أصعب ، ولذا تكون الدببة غالباً سريعة الغضب والهيجان وميّالة لمهاجمة الحيوانات الأخرى والإنسان ، وضربة من دب أو هبّة قد تقتل الـ(بهالو والا) – مدرّب الدببة – أو أي إنسان آخر ، وتتراوح الإصابات من الدببة بين كسر العنق والجروح الخطرة والنزيف المميت ، وجميع مدرّبي الدببة يتألمون من جروح جسدية مختلفة ، وحوالي (١٠٪) منهم يموتون من جروحهم كل عام ، ولا بدّ من هذه المخاطرات من قبل مدرّبي الدببة لأن كل جديد في تأدية نمر الدببة يثير جمهور المشاهدين ، وبالتالي يزيد الأرباح ، ولأن الدببة مكلّفة وخطرة فمعظم أفراد الكالاندار يقتني ويدرّب قردة الريص

النساء لهم الكلمة الأخيرة. ومن المعالم المدهشة لمجتمع الكالاندار غياب التمييز والفارق بين عوالم الكبار وعوالم الصغار، والفروق الفردية تتمايز باختلاف مستويات الخبرة والمهارات، والأطفال لهم دخول مادّية منذ الصغر، يبدؤون بالتسوّل ثم يشاركون في تمر الحيوانات أو الأدوار الهزلية، ومنهم من يمتلك المهارات العالية ليقدّم أعمال الحيل أو الأعمال البهلوانية الخطرة، ويعتقد كبار الكالاندار ذوي الخبرة أن الأطفال يتعلمون أفضل من خلال التقليد والتمارين ومعايشة الحياة العملية لأعضاء المخيّم، ولذا فإنهم يحملون صغارهم منذ الولادة ويطوفون بهم خلال المعسكر ليطّلعوا على مختلف نشاطاته.

ويقول كبار الكالاندار: إن هذا يرقّي الإدراك الحسّي والتطوّر الحركي عندهم وينمّي ملكاتهم الحسّية والحركية ويطوّر مهاراتهم وقدراتهم، ومنذ أن يبلغ عمر الطفل الستّة أو السبعة شهور يُوضع الطعام واللعب بعيداً عنه وخارج متناول يده لتشجيعه على الزحف، وترفع الأمهات الحلويات واللعب والأشياء التي يهواها الطفل فوق رأسه تماماً فيضطر الطفل لرفع رأسه باتجاهها أو تضع له الأشياء الثقيلة نوعاً ما فوق رأسه لتقوي عضلات الرقبة وتمكّن الرأس من الدوران في كل اتجاه بتلازم وتناسق عمل الأيدي والعيون، وعندما يبدأ الطفل ليقف يحمله الأب أو الأم أو أحد أفراد المعسكر تحت ذراعه ويغنّي له



★ الكلب المدرب (وفي أغلب الأحيان يكون من الماعز) يتسلق قمة عالية مكونة من سلسلة من الصناديق تبدأ بالأكبر فالأصغر ★

(Macaques) rhesus ـ قرد هندي صغير الذيل ـ وهم يشترونها والدببة وهي صغيرة من الشعوب التي تقطن الجبال ثم يدرّبونها على التقليد الساخر للإنسان وبعض وظائفه العامة، كأن يتصرف مثل رجل بوليس أو كمثل حرّاس القرى أو يقلد المشادات الزوجية والحموات وهكذا، وتلبس القردة لباساً مزخرفاً مصنوعاً من ثياب الأطفال، والقردة والدببة تلبس أطواق ملوّنة في رقابها وأجراس وقبعات على رؤوسها ونظّارات على عيونها وزخرفات أخرى، كما أن مدرّبي القردة يستخدمون الكلاب المدرّبة والماعز لتقديم بعض الألعاب البهلوانية، ويدرّب كبار الكالاندار الصغار على المهارات الأساسية منذ الطفولة المبكّرة ويجهّزونهم بعد أن يؤدّوا تدريبات صعبة أمام الجمهور أو ضمن حدود المعسكر، والكالاندار يكرّس معظم وقته للتدريب والتمارين، وهذا يعزّز المهارات الأساسية عنده ويزيده خبرة تضاف إلى معارفه الثقافية والحياتية التي ينقلها للأجيال التي تخلفه، ولأنهم يدخلون سنوياً مناطق ذات لغات وثقافات مختلفة، فهم يؤكّدون بأنهم يملكون معرفة كاملة بهذه الثقافات وأنهم شعب مرن قابل للتكيّف مع هذه المجتمعات وأنهم باستطاعتهم تقديم الأداء الذي يناسب ظروف وبيئة كل مجتمع، وأن هذا التكيّف الحضاري شيء حيوي وهام بالنسبة لبقائهم.

وعبر بلاد جنوب غربي آسيا يرى الناظر بوضوح خيمهم المكونة من الثياب القديمة والبطّانيات التي خيطت مع بعض لتشكّل غطاءً واحداً والتي تتميز بوضوح عن بيوت السكّان المقيمين المبنيّة من القرميد والوحل، وكل خيمة تسمّى بـ (بكي **puki**) وتسكنها عائلة واحدة ولا تشابه بشكلها خيمة أخرى، **والخيمة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في مجتمع الكالاندار وتضم الزوج والزوجة والأولاد غير المتزوجين** (وهو تركيب مشابه لتركيب أي أسرة مقيمة)، وهي ملكية مشتركة بينما جميع الممتلكات الأخرى بما فيها الحيوانات لها ملكية فردية خاصة، ويسهم جميع أفراد الخيمة في حياتها الاقتصادية، والانتفاع من موارد الخيمة يرجع إلى قرار يشارك فيه جميع أعضاء الخيمة، وحتى الشباب اليافعين لهم الحق في المشاركة في النقاش الذي سيقرّر كيفية استخدام هذه الموارد. والكالاندار يعتقدون بأن **النساء** أوسع حيلة ودهاء من الرجال، لأن الرجال برأيهم (يتبّعون شهواتهم ومعدتهم)، وتنفيذاً لهذه الفكرة فهم يعطون مكسبهم اليومي للأم التي تدّخره لهم أو تعيد توزيعه بينهم، وإن كان معظم أفراد الخيمة (وخاصة الشباب) ينفقون بعض إيراداتهم سرّاً على أنفسهم، **وعادة**

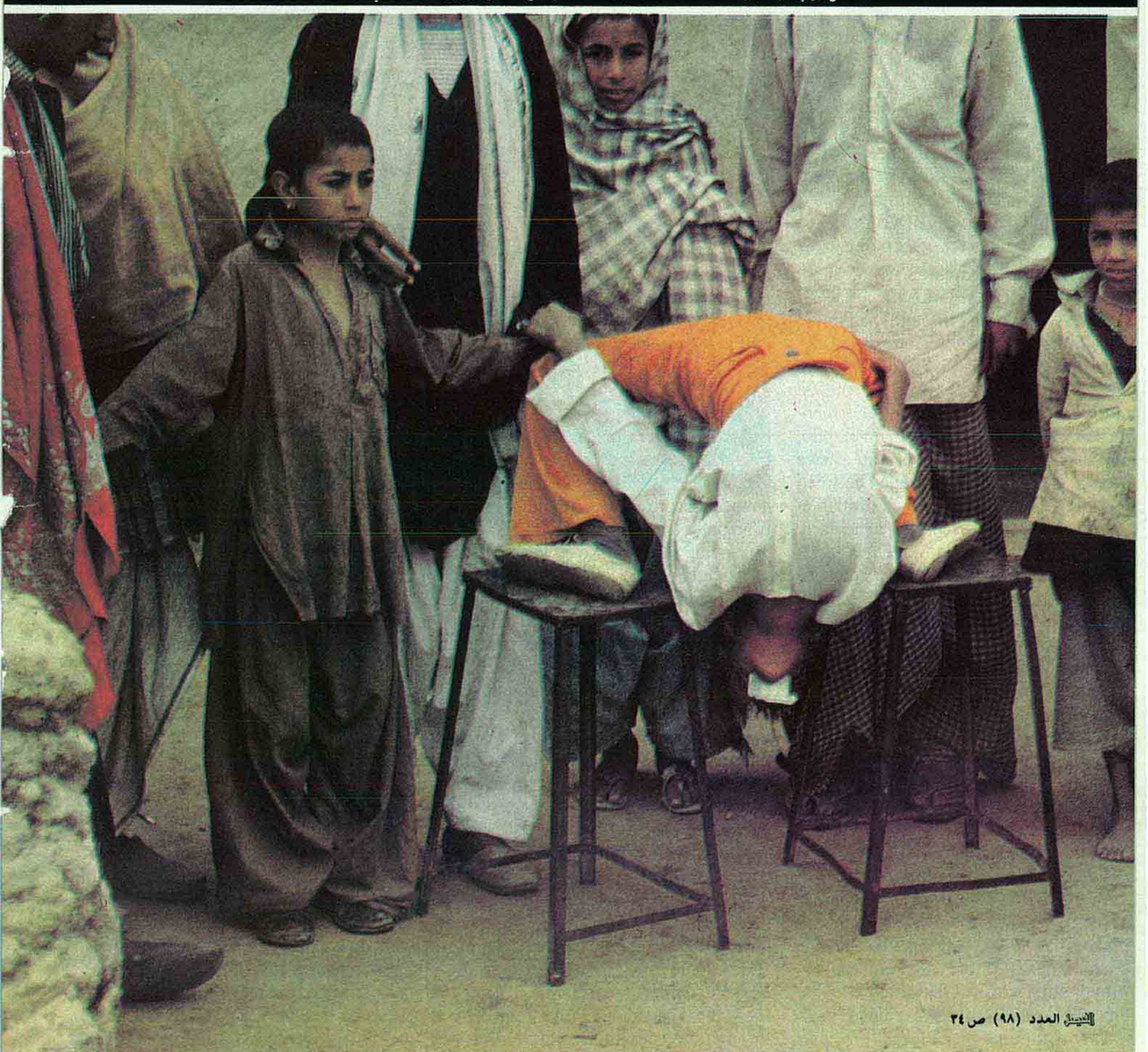
ويهزّه ويأرجحه من طرف إلى طرف في تمارين مستمرة ، وذلك لتعزيز الشعور لديه بتواتر الإيقاع وتمكينه من التوازن في الفراغ .

والآباء والأقارب والكبار في السن كلهم يشاركون في عمليات صقل مواهب الطفل وتنمية قدراته ، ويستخدمون الطعام والعاطفة والتدريب المنتظم والتمارين الصعبة لتنمية مهاراته الفردية التي يتوقف عليها مستقبل حياته ، وإذا بلغ الرابعة من عمره ولم يتمكن من إتقان أيّ من المهارات الفردية ، فليس أمامه إلا أن يرعى الحمير أو يذهب إلى الأسواق وحده ليتسوّل ، ونتأكد سهولة تكيّف الطفل مع المهارات الفردية اللازمة لأداء الحركات الصعبة في السادسة من العمر ، وما بعد ذلك فلا شيء يفيد .

ويتزوج الكالاندار دون الدخول في الحب ويبقى مقيماً في خيمته ، ويفضّل الآباء دائماً الزوج الذي له عمل ، ومهر العروس غالي ، والزيجات غالباً يكون عمرها قصير رغم الإخلاص من الطرفين وأسباب ذلك مادية ورغبة الآباء في مهر جديد لابنتهم .

والخيمة كما أسلفنا تكوّن وحدة اقتصادية في مجتمع الكالاندار ، وتتجمع الخيم في اتحادات وتقيم وترحل كمجموعة واحدة كـ (ديهرا dehra) ، والديهرا النموذجية تتكوّن من تجمّع (٤ ـ ٦) خيم مع التوازن في وجود الحيوانات المدرّبة وأصحاب المهارات الفردية ،

★ طفل يؤدي دوراً بهلوانياً حيث يلتقط بفمه ورقة نقدية من على الأرض وهو في الوضعية التي نراه عليها ★



وكل تجمّع (ديهرا) فيه مدربو دببة وقردة، وبهلوانيون كثر الذين هم غير فعّالين اقتصادياً.

والديهرا بدون قائد، والقرار يخضع لرأي المجموع والمصلحة العامة، كاتخاذ قرار الرحيل من مكان إلى آخر، مثلاً، الذي يتخذ بأغلبية الأصوات مع احترام آراء الكبار في السن والأفراد ذوي الخبرة، وتركيب وتنظيم (الديهرا) يرتكز كأساس على الموافقة المشتركة لجميع الخيم في العمل والترحال والمصلحة العامة، والمنافسة بين الخيم لتقديم الأفضل والأخطر للفت انتباه جمهور المشاهدين موجودة وترتكز على أساس رياضي بحت، ذلك أن الكالاندار يقدّر القرابة والصداقة ويضحّي بالكثير في سبيل الغير، ولكن تبق الاعتبارات العملية هي الأساس وخاصة أثناء العمل، والخلافات يبتّ بها الكبار بسرعة لأنها قد تهدّد وحدة (الديهرا)، وإذا لم تحل المشكلة ببساطة فيطلب الكبار من المتخاصمين مغادرة (الديهرا) فوراً والانتقال إلى مكان آخر.

وخلال الفترتين الرئيسيتين اللتين يتم فيهما جني المحاصيل في الأرياف، تتحرّك قوافل الكالاندار يومياً من قرية إلى قرية، ويأخذون القمح والأرز كثمن لأتعابهم، ثم يجمّعونها ويبيعونها في الأسواق ليوزع ثمنها عليهم دون أية مشاكل أو اعتراضات، ثم بنهاية هذه الفصول ترحل الخيم من الريف وتتفرّق، ولتتّجه كل منها باتجاه المدن والمراكز المدنية حيث يشكّلون اتحادات جديدة ويبدؤون العمل، وفي المناطق الكثيفة السكان يكون ثبات العمل في مكان واحد أطول، وهنا يأخذون أجورهم نقداً أو ألبسة ومتاعاً، والخيم حين الترحال تغيّر طريقها كل عام، فتعمل في قرى جديدة ومراكز مدنية جديدة كل عام، والخيمة تقطع مسافة تتراوح بين (٩٠٠ ـ ١٠٠٠) ميل كل عام أربع أخماسها في المناطق الريفية، ولهذا فإنهم لا يحملون معهم إلا الضروريات من الألبسة وآنية الطبخ والبطّانيات ومؤونة قليلة من الطعام تكفي لأيام تُحمل على ظهر (٢ ـ ٣) من الحمير.

والعالم في علوم الإنسان **(جوزيف س. بيرلاند)** رافقهم في حلّهم وترحالهم ثلاث سنوات كاملة، والذي يقدّم لنا هذا الوصف الحيّ لمظاهر حياتهم يقول: إن حياة الألفة والعشرة بينهم تظهر في ساعات المساء في فترة ما بين تناول العشاء والنوم، حيث يلتفّ الجميع حول النار يتبادلون الأحاديث وسرد الذكريات الماضية، وغالباً يجلسون كتفاً لكتف والصغار في أحضانهم في الصفوف الأمامية، ويتبادلون السجائر وأكثرهم يدخّن **النارجيلة**، بينما يتولى أحدهم رواية بعض مغامراته أو حيله أو أعماله الخطرة التي أدهشت المشاهدين، وآخر يصف صدامه مع الناس بينما كان يتسوّل، وكل واحد منهم يصف استراتيجيته في العمل لتحقيق المزيد من الموارد للخيمة، ومدربو الحيوانات يناقشون مع بعض الوسائل لتطوير الأدوار الخاصة التي يقدّمونها.

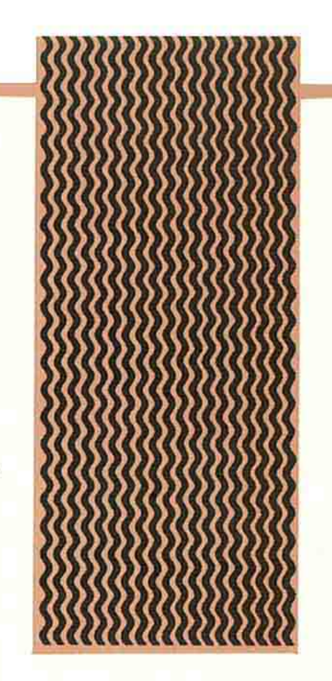
وجميع أفراد المعسكر يقدّمون الدعم والملاحظات للأطفال، وغالباً يُدعى الطفل لأداء امتحانات صعبة أمام جميع من في المعسكر قبل أن ينزل للعمل، والأطفال الذين سيقلّدون شخصيات المجتمع لهم تعليم خاص وتدريب على المهارات اللغوية واللهجات الخاصّة لمختلف الأقاليم، مع تعليمهم حركات خاصّة واتخاذ وقفات ووضعيات مميّزة، مع دراسة وافية لشخصيات هذه الطبقة الاجتماعية وكيفية تعاملها مع المجتمع، وتدرس كل شخصية ستقلّد بعناية كاملة وتحلّل نفسياً وسلوكياً بشكل واف حتى يتقنها من سيمثّل دورها.

والعلماء بعلوم الإنسان محتارون في كيفية تفهّم هذا المجتمع البسيط لكل هذه المعلومات، وفي كيفية معرفتهم بالأحوال الخاصّة لكل هذه البيئات والثقافات المتنوعة، وفي هذا التغيّر المستمر في الأداء من عام إلى عام واقتباسهم للحوادث ذات الدلالات المعنوية المؤثرة، وانتقائهم للشخصيات المميّزة التي هي موضع نقد من مجتمعاتها.

وللمادة الثقافية التي يرتكز عليها كل مجتمع من هذه المجتمعات الكثيرة، مع تبيان الوجوه الأخرى لعالم المقيمين في المدن، ثم تقديم كل هذا في قالب جدّي هزلي، علماً بأنّهم يستقرّون كل عام في قرى ومراكز مدنية جديدة ومناطق سكانية ريفية ومدنية متباينة ومختلفة أشدّ الاختلاف في سلوكها ونمطها العام من البنجاب إلى السند وباتان ومولتانيا.

وأفراد الكالاندار قلقون على مستقبلهم، فتطوّر المجتمعات ودخول الكهرباء إلى الريف وما تجلبه معها من أشكال بديلة للتسلية والمتعة كالسينما والراديو والتلفزيون ولعب الأطفال، كل هذه أشياء يحسبون لها ألف حساب لأنها تنافسهم في عملهم وتقلل من مواردهم في مجتمعات لم تكن تتسلّى وتتمتع إلا بفن ومهارات الكالاندار، إضافة إلى أن انتشار الزراعة والبحث عن الموارد الطبيعية والنشاطات السياسية التي وصلت المناطق النائية والبعيدة عن مراكز المدن قد رفعت من مستوى معيشة الأفراد الذين يشترون منهم الدببة والقرود وباتوا يطلبون أسعاراً غالية جداً لها.. ولمواجهة هذه العقبات بدأ الكالاندار بتطوير مهاراتهم بحيث تواكب تطوّر هذه المجتمعات وبدؤوا بابتكار أدوار جديدة للتسلية تتناسب مع هذه الظروف الجديدة، مع التركيز بشكل خاص على الأعمال البطولية الخطرة وأعمال خفة اليد والسحر والبهلوانيات المتطورة، مع المزيد من التدريب وصقل المهارات.. إنها معركة لقمة العيش.. وإن كان البعض منهم قد بدأ يتدرّب على بعض الأعمال الحرّة كقيادة السيارات والعربات والدهان والنجارة والميكانيك والسمكرة.. ولكن تبق هناك مشكلة.. إن هذه المهن تتطلب منهم أن يكونوا مقيمين.. وهذه ليست طريقة حياة الكالاندار.









بقلم: عبد العزيز الرفاعي

في قصة توبة كعب

في قصة توبة الصحابي الشاعر كعب بن مالك ، وجدت الواقدي في مغازيه (١٠٤٩) يفصِّل القصة تفصيلاً .. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة نزول آيات التوبة في بيت أم سلمة ، فأخبرها .. فطلبت أن ترسل إلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وكعب أحدهم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم طلب إليها الانتظار إلى الصباح .. فلما صلى الصبح أخبر الناس .. فكيف كان تسابق بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أحبوا كعباً ، لكي يبشروه وما هي وسائلهم إلى ذلك .. ؟؟ .

جزء من القصة شيق .

أما أبو بكر الصديق .. وهو الرجل الفطن ، الذي يتميَّز بسرعة الإدراك ، وسرعة التصرف ، والأخذ بزمام المبادرة ، فقد استعمل سرعة الصوت .. صعد إلى «سلع» ، وهو الجبل المشرف على المدينة فصاح :

ـ قد تاب الله على كعب ! .

أما الزبير بن العوام ، الفتى الفارس .. الذي صحب السيف منذ صباه الباكر ، فقد تصرف تصرف الفرسان ، بادر إلى فرسه يمتطيها إلى بطن الوادي ، لكي يبشر صديقه كعباً .. ولكن وسيلة أبي بكر كانت أسرع ، فسُمع صوت أبي بكر قبل أن يصل الفتى الفارس .

وتقول الرواية إنه اشترك في حمل البشرى صحابي ثالث هو حمزة بن عمرو .. ذلك الذي كساه كعب ثوبيه اللذين كان يرتديهما ، ولم يكن يومذاك يملك غيرهما ، حتى إذا أراد لقاء الرسول استعار ثوبين من صهره أبي قتادة ! .

قال كعب : «ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يهنئونني بالتوبة .. يقولون : ليهنك توبة الله عليك ! حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس .. حوله الناس ، فقام إليَّ طلحة بن أبي طلحة فحياني وهنأني ، ما قام إليَّ من المهاجرين غيره .. فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ووجهه يبرق من السرور :

ـ أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك .. ! .

قلت : أمن عندك يا رسول الله ، أو من عند الله ؟ .

فقال : من عند الله عز وجل ، وكان رسول الله إذا سر يستنير حتى كأن وجهه فلقة قمر ! وكان يعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت :

ـ يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله ، وإلى رسوله ، أن أنخلع من مالي إلى الله ورسوله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك مالك ، هو خير لك ! .

قلت : إني ممسك بسهمي الذي بخيبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ! قلت : النصف ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : نعم .

قلت : يا رسول الله ! إن الله عز وجل أنجاني بالصدق ، فإن توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما حييت .

قال كعب : والله ، ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل مما أبلاني ، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله



صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي» .

ومما رواه حفيده أيوب بن النعمان بن عبد الله بن كعب ، قول جده كعب :

سبحان ربي إن لم يعف عن زللي فقد خسرت وتبّ القول والعملُ !

كعب في خيبر

ويحدث الواقدي في مغازيه ، ص ٦٤٦ ، عن كعب بن مالك .. حينما يتكلم عن غزوة (خيبر) التي كان كعب رضي الله عنه أحد شهودها فيقول :

«إن رجلًا من اليهود من أهل النطاة نادانا ، بعد ليل ونحن بالرجيع : أنا آمن وأبلغكم؟ قلنا : نعم ، فابتدرنا فكنت أول من سبق إليه فقلت : من أنت؟ قال : رجل من اليهود .

فأدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليهودي :

«يا أبا القاسم ! تؤمنني وأهلي على أن أدلك على عورة من عورات اليهود ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فدله على عورة من عورات اليهود . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تلك الساعة فحضّهم على الجهاد ، وخبرهم أن اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا ، وأنها قد تجادلت واختلفوا بينهم .

«قال كعب : فغدونا عليهم فظفّرنا الله بهم ، فلم يكن في النطاة شيء غير الذرية ، فلما انتهينا إلى الشق وجدنا فيه ذرية ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودي زوجته ، وكانت في الشق فدفعها إليه فرأيته أخذ بيد امرأة حسناء !» .

ونلمح في هذه الرواية ما عرفنا عن كعب رضي الله عنه من استيفاء روايته ، وعنايته بالتفاصيل .. ومبادرته إلى الحدث .. فهو يبادر إلى اليهودي بعد أن سمع نداءه ، فيكون أول من يصل إليه .. ثم يصف كيف تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم .. وإنه أشار في خطبته إلى تخلي حلفاء يهود من القبائل العربية عن نصرتها ..وإن الخلاف قد دب بين الأحياء اليهودية نفسها .. ثم قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجوم من حيث دلّهم اليهودي ، ووفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بوعده ، حيث سلم اليهودي زوجته .. ولم يفت كعب الشاعر رضي الله عنه أن يشير إلى أن تلك الزوجة كانت حسناء ، وكأنه يوضح حرص اليهودي على أن ينقذ زوجته الجميلة من الأسر .

هامش :

النطاة : اسم حصن بخيبر وعين ماء بها قال كثيّر :

حريت لي بحزم فيدة تحدى كاليهودي من نطاة الرقال

وينظر معجم البلدان .

والرجيع : اسم واد بخيبر أيضاً .

والشُق : بكسر الشين من حصون خيبر . وقد جمع النطاة والشق الشاعر في قوله :

رميت نطاة من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وفقار

صبحت بنو عمرو بن زرعة غدوة والشُق أظلم ليله بنهار

مجتمع المعلومات المستقبلي وبعض آثاره الاجتماعية والنفسية

بقلم : د. أحمد بدر

نحن في عالمنا المعاصر نسير نحو ما يسمى بالمجتمع «ما بعد الصناعي» أو «مجتمع المعلومات» . وفي هذا المجتمع تعتبر المعرفة والمعلومات مصادر استراتيجية ، وفي هذا المجتمع تتوفر بنوك ومراصد المعلومات الأكبر والأكبر ، وبالتالي سيزيد التركيز في هذا المجتمع على الخدمات التعليمية والصحية والإدارية اللازمة للارتقاء المادي بمستوى الإنسان .

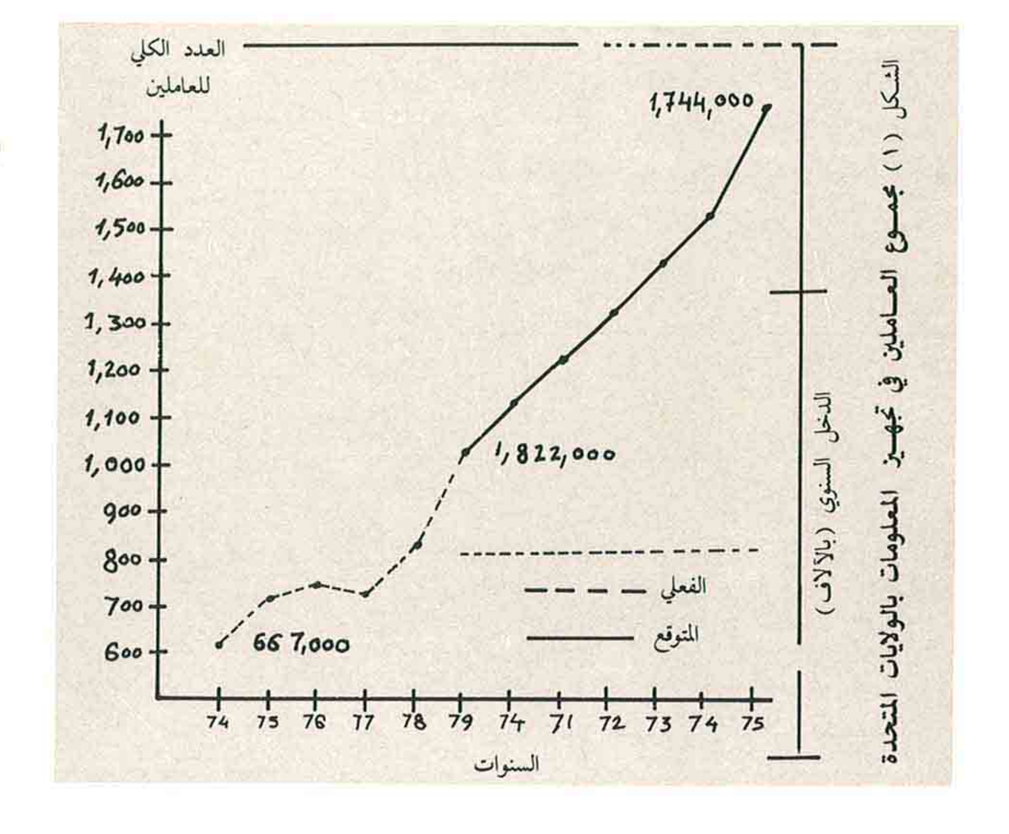
إن مصطلح المجتمع ما بعد الصناعي يعكس إطاراً وتركيباً اجتماعياً جديداً ، يرتكز على الاتصالات ، والاتصالات عن بعد على وجه الخصوص وعلى الحاسبات الإلكترونية ، وداخل هذا الإطار تتم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية ، ويقوم علم المعلومات بتخليق المعرفة واختزانها واسترجاعها وبثها .

وإذا كان العمل اليدوي هو محرك **المجتمع الزراعي** ، وإذا كانت الطاقة (الميكانيكية أو الكهربائية أو النووية) هي محرك **المجتمع الصناعي** ، فإن المعلومات والمعرفة النظرية هي المصادر الاستراتيجية **للمجتمع ما بعد الصناعي** . . إن هذا المجتمع الجديد يتميّز بتخليق نوع جديد ، مما يمكن تسميته **التكنولوجيا الفكرية**[1] ــ إن صح هذا التعبير ــ وهذه التكنولوجيا الفكرية هي التي تميّز المجتمع ما بعد الصناعي بالمقارنة بالمجتمع الصناعي السابق ، الذي كان يتميّز بتكنولوجيا الآلات . كما أن تلاحم تكنولوجيا الحاسبات الآلية مع الاتصال ، والاتصال عن بعد على وجه الخصوص ، هو الذي يعكس قنوات الاتصال بين أفراد المجتمع في المستقبل .

التركيب الاجتماعي في عصر المعلومات

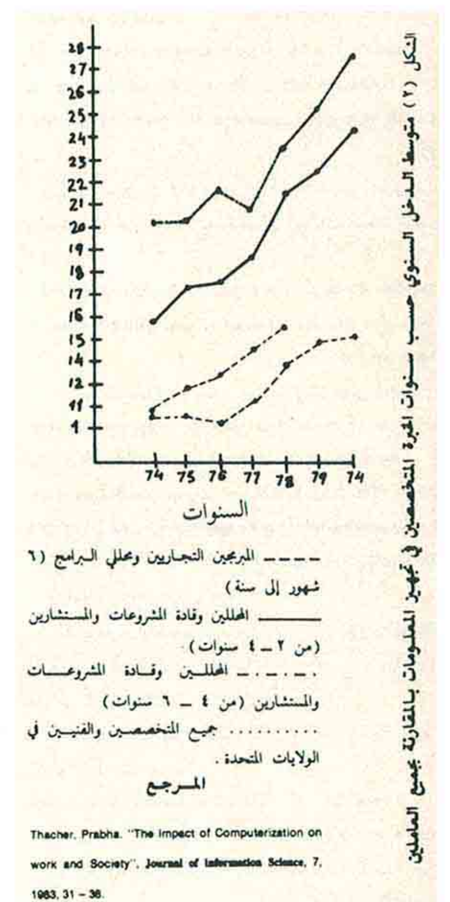
يشهد المجتمع ما بعد الصناعي أو مجتمع المعلومات ــ كما هو الحال في **أمريكا واليابان** حالياً ــ تحولا هائلاً نحو الوظائف المتعلقة بالمعلومات ، ويرى العديد من الباحثين أن ذلك سيؤدي إلى تغيير في التركيب الاجتماعي نفسه بحيث يصبح هناك أصحاب الغنى وأصحاب الفقر في المعلومات Information Rich and Inf. Poor ، والمستويات الاجتماعية الدنيا الجديدة هي تلك التي لا تملك المهارات الضرورية للتعامل مع التكنولوجيا الجديدة ، وقد وصل البعض في تحليله إلى أننا سنصل إلى حالة نرى فيها مجتمع الصفوة من أغنياء المعلومات حيث يكون لهذه الجماعة القوة والنفوذ ، لإمكانية تطويعها وتحكمها في المجتمع عن طريق تطويعها واستخدامها للمعلومات .

وطبقاً لما يذهب إليه الباحث الاقتصادي «**دراكر**[2]» فإن ٥٢٪ من اجمالي الدخل القومي الأمريكي له علاقة الآن بالمعلومات . ففي منتصف السبعينات كان عدد الذين يقومون بتطويع المعلومات ومعالجتها وتناولها أكبر من عدد العاملين في التعدين والصناعة والخدمات الشخصية



الشكل (١) مجموع العاملين في تجهيز المعلومات بالولايات المتحدة

مجتمعة . ويشير تقرير وزارة العمل الأمريكية إلى أن عدد المتخصصين في الحاسبات الآلية والمبرمجين ومحللي النظم والعاملين في مجال تجهيز المعلومات قد زاد من ٦٠٧,٠٠٠ عام ١٩٧٤م ، إلى ١,٠٣٢,٠٠٠ عام ١٩٧٩م ، أي بزيادة قدرها ٧٠٪ ويتوقع أن يصل هذا العدد عام ١٩٨٥م ، إلى أكثر من ١,٧٥٤,٠٠٠ **الشكل (١)** . كما أن النقص المتزايد في المهارات المتخصصة قد تسبب في تغيير معدلات المرتبات داخل نظم تجهيز المعلومات نفسها وزيادتها ككل . والشكل (٢) يوضح لنا متوسط الدخل السنوي حسب سنوات خبرة المتخصصين في تجهيز المعلومات بالمقارنة بجميع العاملين ، كما هو مبين بالشكلين



الشكل (٢) متوسط الدخل السنوي حسب سنوات الخبرة المتخصصين في تجهيز المعلومات بالمقارنة بجميع العاملين

الآثار النفسية والاجتماعية

إن التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات ، أصبحت تتضاءل أحياناً أمام المشكلات الاجتماعية والإنسانية الناتجة عن سوء استخدام المعلومات ، وبالتالي تطويع الإنسان وإخضاعه لإنسان آخر عن طريق تكنولوجيا المعلومات ، ومن هنا تبرز الحاجة إلى تحقيق التوازن بين متطلبات المجتمع الاقتصادية والأمنية والإدارية وغيرها ، ومتطلبات الحفاظ على قيم الإنسان وفضائله وكرامته . . ويمكن أن نتناول فيما يلي بعض تلك الآثار النفسية والاجتماعية والمعنوية :

١ ـ التحديث والاغتراب في مجتمع المعلومات : تعمل الحاسبات الآلية بصفة مستمرة على تغيير طبيعة العمل والوظائف ومتطلبات وحاجة السوق ، فضلاً عن مسيرة الحياة اليومية ، ويمكن أن يقال إنه لم يعد هناك سوى مجالات قليلة جداً لم تدخلها هذه التكنولوجيا . ومن هنا زاد التفكير في عمليات التحديث Modernization والتماس الثقافي خصوصاً بين الدول المتقدمة والنامية . . وليس هناك ما يثبت نظريات الذين تحدثوا عن التحديث (**ليرنر ، باي ، روجرز ، ميجدال ، إبتر** وغيرهم) ، وإمكانية تطبيقها على مجتمع المعلومات المعاصر لتحديد عناصر وكيفية التغيير الاجتماعي ، ومع ذلك فهي مفيدة للباحثين كنقطة انطلاق .

وما يهمنا هنا هو تأكيد معظم هؤلاء الباحثين على أهمية تعريض الناس للمعلومات وللاتصال من أجل تقبل التغيير والتحديث[٣] ، فليرنر ـ على سبيل المثال ـ يؤكد على هذه الحقيقة من خلال التوسع في الاتصالات الإنسانية ، سواء عن طريق الانتقال والسفر في البداية أو عن طريق وسائل الاتصال الحديثة التي لا تشترط الانتقال الجسدي . وذلك لأنها تعزز الانتقال الفكري للتجارب الناجحة . . ويذهب **روجرز** أيضاً في كتابه Communications and Innovations إلى أن الاتصال ضروري لعملية التغيير الاجتماعي ، وهو الذي يتم عندما يحدث التغيير في تركيب ووظيفة النظام الاجتماعي ، أي إن التغيير الاجتماعي هو أثر من آثار الاتصال . . والهدف من هذا كله باختصار ، أن عملية التحديث يمكن أن تتم في المجتمعات المتنامية ، مع اهتمام هذه المجتمعات بالتعليم العصري وتحمل وسائل الإعلام والمؤسسات الأخرى مسؤوليتها في تعريض أكبر عدد من أفراد المجتمع المتنامي إلى التماس المباشر مع الجديد ، ومن ثم إتاحة الفرصة للمشاركة الإيجابية بل والاستمتاع بإنجازات مجتمع المعلومات .

ولكن يقابل ظاهرة التحديث هذه **ظاهرة الاغتراب**[٤] Alienation أي شعور الإنسان بأنه غريب في مجتمعه . . **ويرى العديد من الباحثين في هذا المجال أن تطبيق تكنولوجيا المعلومات على نطاق واسع ، قد يؤدي إلى اغتراب الإنسان في هذا المجتمع وعزوفه عن المشاركة الإيجابية فيه ، بل قد يصل الأمر إلى التعبير بالرفض ولو بالصمت** . وشواهد هذا الاغتراب في مجتمع المعلومات تأتي من فقدانه الثقة بالنفس والقلق على تعطل خبرات الإنسان ، وتدني أهمية خبرته أمام الحاسب الآلي الذي حول العديد من الموظفين والعمال المهرة إلى مجرد ضاغطين على الأزرار .

٢ ـ الخصوصية والحرية الشخصية في مجتمع المعلومات : لقد أضافت التكنولوجيا الجديدة أبعاداً جديدة للخصوصية تتعلق باختزان واسترجاع المعلومات عن الناس بواسطة الحاسب الآلي ، أن إمكانية دخول أي مركز من مراكز الاتصال الرسمية أو الخاصة إلى جميع الشبكات ومراصد المعلومات في العالم ، من شأنه أن يزيل الحواجز الوطنية بل الفردية أمام مريدي المعلومات بطريقة شرعية أو غير شرعية . وإذا كنا قد شهدنا في الأحقاب السابقة إمكانية **التسجيل السري للمكالمات التليفونية** ، فإن التكنولوجيا الحديثة لا تتطلب تسجيلاً صوتياً ، ولكنها تكتفي بالسجلات المرصودة في بنوك ومراصد المعلومات ، حيث تستطيع التكنولوجيا الجديدة استشارتها بصفة مستمرة دونما حاجة إلى المواجهة أو المحادثة الشخصية . . . ودون تحكم من قبل الفرد المعني نفسه . . **وعند انتشار الحاسبات الآلية المنزلية ، سيوجد لص المعلومات الذي يحتال على الحاسب للحصول على المعلومات التي قد تكون ضارة بصاحبها وخصوصياته** . والاحتيال هنا قد يتم عن طريق معرفة كلمة المرور Password ، أو أن تترك النهايات الطرفية Terminals غير مغلقة عن طريق السهو أو النسيان . صحيح أن التكنولوجيا الحديثة قد أوجدت هي أيضاً بعض ضمانات عدم السرقة ، إلا أن هذه الضمانات نفسها غير مضمونة ويمكن التغلب عليها بتكنولوجيا أخرى[٥] .

التشريعات الدولية لحماية الحقوق

لقد كان دخول الحاسب الآلي في مجال اختزان واسترجاع المعلومات الشخصية ، دافعاً للعديد من الدول إلى إصدار التشريعات التي تكفل حماية حقوق الأفراد أمام هذا القادم الجديد . . ولعل

السويد[6] تعتبر من بين أوائل الدول التي وضعت مثل هذه التشريعات ، فقد أنشأت الدولة **مجلس فحص البيانات** Data Inspection Boord عام ١٩٧٤ م ، وينص هذا القانون على ضرورة موافقة هذا المجلس على إدراج مجموعة البيانات الشخصية في ملفات الحاسب الآلي . . وهو الذي يعمل على تحقيق التوازن العادل بين ما قد ينشأ من صدام بين صيانة خصوصية الفرد وحاجة المجتمع للمعلومات .

وقس على ذلك ما قامت به **دول المجلس الأوروبي في ألمانيا وفرنسا والنرويج والدانمارك والنمسا ولوكسمبرج وبلجيكا وهولندا وسويسرا** ، وما زالت **أمريكا** مترددة في إصدار تشريع شامل ، ومع ذلك فليس هناك اتفاق عالمي على مثل هذه التشريعات الخاصة بحماية المعلومات الشخصية ، ذلك لأن العديد من الخبراء يرون استحالة تحقيق هذه الحماية ، فإذا أراد أحد العاملين مثلاً بهيئة حماية البيانات إخفاء بيانات عن شخص معيّن ، فما عليه إلا أن يستبعد بعض التعليمات المختارة من البرنامج الخاص بهذا الشخص . وخلاصة هذا كله أن مقدرة الحاسب على إنشاء وتطويع بنوك المعلومات الضخمة من شأنه أن يجعل خصوصية الأفراد في معلوماتهم الشخصية محفوفة بالخطر ، على الرغم من التشريعات أو الهيئات المراقبة .

فوضى الاتصال

لم تعد شبكات الاتصال والمعلومات المعتمدة على الحاسبات الآلية قاصرة على الخدمات الوطنية ، بل امتدت على اتساع العالم كله تقريباً ، والنهايات الطرفية البعيدة داخل الوطن أو في الأوطان الأخرى يمكن أن تتصل بالحاسبات الآلية عن طريق **كلمة المرور** Password التي لا ينبغي أن يعرفها إلا المستخدمون المفوضون لهذه النهايات الطرفية ، ولكن هذه المعلومات يمكن سرقتها ورصدها أثناء مسيرتها بين الحاسب الآلي والنهايات الطرفية بواسطة **التسجيل التليفوني** Telephone Tapping أو بتدخل الراديو ووصلات الميكروويف الأرضية أو وصلات الأقمار الصناعية Radio Interception between terrestial microwave Links or satellite Links .

ولقد نشرت الصحف تفاصيل كاملة عن بعض جرائم الحاسب الآلي المعقدة ، وصدرت بعض القصص عن المبالغ المالية التي تم تحويلها من أحد البنوك إلى حساب واحد من المبرمجين بالبنك في أحد البنوك الدولية خارج الوطن الأصلي . والسلاح الرئيسي ضد هذا التدخل غير الشرعي هو ما يسمى **بشفرة البيانات** Data Encryption التي تستخدم فقط بواسطة الشخص الذي لديه فك الشفرة (مثل الخزينة المالية) ، ولكن حل هذه الشفرة من قبل لص المعلومات ، وإن كان صعباً جداً ويحتاج لجمع التوليفات الرياضية على حاسب آلي سريع جداً ، إلا أنه في النهاية ممكن . . كما أن نقل المعلومات من الدول عبر الأقمار الصناعية سيظهر على السطح قضايا عديدة معقدة تحتاج إلى حكمة سليمان لحلها .

مجتمع المعلومات والقيم الإسلامية

والآن ، وبعد هذا العرض المختصر ، نقف أمام اتجاهين : أولهما مفرط في التشاؤم نظراً لإمكانية وجود فوضى في استخدام المعلومات وفك رموز السبيل إليها أمام كل محتال ، فضلاً عن إمكانية وجود تأثيرات معنوية ونفسية سلبية لعدم استطاعة فقراء المعلومات مشاركة أغنياء المعلومات أو التعليم ، والتدريب للدخول في تلك الصفوة ، والاتجاه الثاني مفرط في التفاؤل نظراً لأن الاستخدام العادل أو العقلاني المتوازن لتكنولوجيا المعلومات الجديدة ، قد يؤدي إلى ما يمكن أن يسمى بخلاص البشرية من الفقر والحاجة ، وتقريب الهوة بين أغنياء المعلومات وفقرائها .

ولكن التكنولوجيا نفسها مهما كانت متطورة لا تفعل خيراً أو شراً ، وإنما الإنسان هو الذي يوجهها إلى ذلك ، ومن هنا تبق الرسالة المحمدية خالدة تهدي الإنسانية إلى القيم وإلى السلوك الإنساني القويم . . فالله الذي رفع العلم والعلماء منزلة عالية حين قال سبحانه **﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** هو الله الذي أنزل القرآن الكريم يقيم الحد على السارق بقطع اليد ويستوي في ذلك سارق المال وسارق المعلومات .

وبعد ، لقد أطلق العلماء قديماً على الإنسان مصطلح Homo – Sapians تميّزه بصفات بيولوجية فريدة ، ثم أطلقوا عليه الإنسان الاجتماعي Homo – Sociologicus وهم يطلقون عليه الآن **الإنسان المعلوماتي** Homo – Informaticus دلالة على التفوق في علوم وتكنولوجيا المعلومات .

فهل نطمع في مستقبل مضيء يكون فيه جيلنا المسلم المتعلم مسيطراً على علوم العصر خصوصاً علوم المعلومات ومتحلياً بتعاليم الدين الإسلامي ، حتى يحق فينا قول الله عز وجل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . . صدق الله العظيم .

مراجع الدراسة

(١) استخدم العالم بيل هذا المصطلح ، على اعتبار أن التكنولوجيا الفكرية ستحل محل الأحكام الذهنية النابعة من الفطنة انظر في ذلك :

– Bell, D "The Social Framework of Information", In M.L. Dertonzos and J. Mosis, **The computer Age: A Twenty year View**, cambridge, MIT Press, 1979, 163 – 211.

(٢) انظر في تحليل دراكر لاقتصاديات المعلومات والعاملون في تجهيز المعلومات ونموهم في الولايات المتحدة المرجع التالي :

Thacher, Prabha. "The Impact of Computerization on work and Society", **Journal of information Science**, 7, 1983, 31 – 38.

(٣) انظر تحليل آراء ليرنر وروجرز في المرجعين التاليين :

— Lerner, Daniel. The Passing of Traditional Society:

— Modernizing the Middle East. New York, The Free Press, 1958. Rogers, E.M. and Shoemaker, F. Communication and Innovations: A cross – culturel Approath 2nd New York, The Free press, 1971.

وكذلك مرجع المؤلف التالي :

أحمد بدر ، الاتصال بالجماهير : بين الإعلام والدعاية والتنمية ، الكويت ــ وكالة المطبوعات ، ١٩٨٢ م ، ص ص ٤١٥ ــ ٤٢٨ .

(٤) تناول شيريدان ظاهرة الاغتراب من وجهة النظر الاجتماعية في المرجع التالي :

— Sheridan, T.B. "Computer Control and Human Alienetion" **Technology Review** 1980 61 – 73.

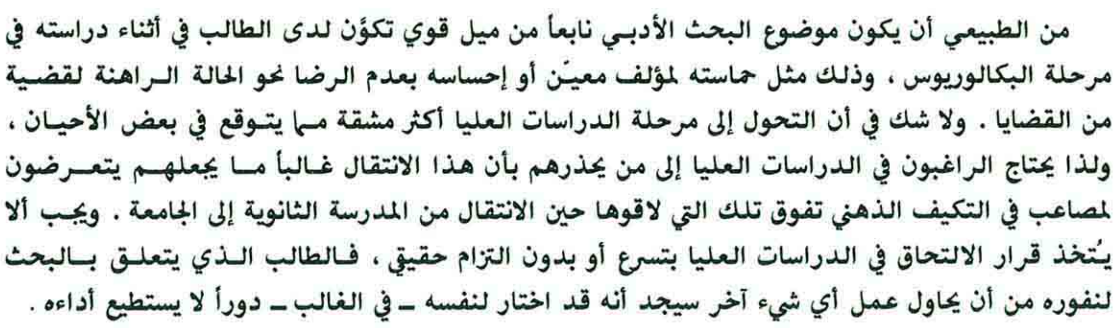
(٥) هناك إنتاج فكري غزير في السنوات الأخيرة عن موضوع الخصوصية والحرية الشخصية وتأثرها الخطير بتكنولوجيا الحاسبات ولعل المقال التالي من أهمها :

— Marchend, D.A. "Privacy, Confidentiality and Computers" **Telecommunications**, Policy 3 (3), 1979 – 208.

(٦) لما كانت السويد دولة رائدة في وضع هذه التشريعات فيمكن المزيد من دراسة تفاصيل هذه التشريعات وظروفها في المرجع التالي :

— Nisenoff, N.etal, The Privacy of computerized records: The swedish experience and possible U.S. Policy impacts. **Information Processing and Management** 15 (1979) 205– 211.

قضايا في البحث الأدبي



من الطبيعي أن يكون موضوع البحث الأدبي نابعاً من ميل قوي تكوَّن لدى الطالب في أثناء دراسته في مرحلة البكالوريوس، وذلك مثل حماسته لمؤلف معيَّن أو إحساسه بعدم الرضا نحو الحالة الراهنة لقضية من القضايا. ولا شك في أن التحول إلى مرحلة الدراسات العليا أكثر مشقة مما يتوقع في بعض الأحيان، ولذا يحتاج الراغبون في الدراسات العليا إلى من يحذرهم بأن هذا الانتقال غالباً ما يجعلهم يتعرضون لمصاعب في التكيف الذهني تفوق تلك التي لاقوها حين الانتقال من المدرسة الثانوية إلى الجامعة. ويجب ألا يُتخذ قرار الالتحاق في الدراسات العليا بتسرع أو بدون التزام حقيقي، فالطالب الذي يتعلق بالبحث لنفوره من أن يحاول عمل أي شيء آخر سيجد أنه قد اختار لنفسه ـ في الغالب ـ دوراً لا يستطيع أداءه.

بقلم: ج. واطسون
ترجمة: د. محمد عبد الرحمن الشامخ

وإذا كان الذكاء والرغبة العامة في الموضوع يضمنان عادة النجاح لطالب البكالوريوس، فإنهما موهبتان ضروريتان لطالب الدراسات العليا ولكنهما لا يكفيانه، فهو يحتاج ـ بجانب هذا ـ إلى قدر من المثابرة تفوق كثيراً ذلك القدر العادي، ويحتاج كذلك إلى الموهبة في ضبط الذات وإلى ملكة التمييز في اختيار الموضوع اختياراً حصيفاً منظماً. إن رغبة الطالب في أن يستمر في حياة الطلب، وطموحه في أن يصبح أستاذاً جامعياً لن يغنيا وحدهما عنه شيئاً خلال سنوات العمل الشاق التي تتسم عادة بالوحدة والانعزال.

الموضوعية والاتزان

ومن الأفضل للطالب أن يقدر الوضع ويتدبره في مرحلة مبكرة، فالبحث الأدبي لون من ألوان الصنعة الكتابية التي تعرض لها أدواء خاصة بها، وقد ينشأ هذا من أمر غير منطقي، وذلك حين يشعر الكاتب شعوراً مستمراً بأنه يعيش في ظل نماذج أدبية ممتازة لا يستطيع مضاهاتها، أو يحس بأن باستطاعة العبارة التي كتبها أن تكون أفضل مما هي عليه. وربما تعزَّى من يعاني من نوبات القلق أو الإحساس بالتعاسة المريرة حين يدرك أن هذا جزء من القدر العام الذي كتب على رجال الأدب أن يلاقوه. إن البحث الأدبي مهمة تقتضي الباحث أن يتصف ـ إلى جانب الموهبة ـ بالموضوعية والاتزان. وإذا كان للبحث مباهجه المتميِّزة فإن من الحكمة ألا يتحرى الباحث مجيئها قريباً، ذلك أنها لا تأتي إلا أخيراً حين يرى عمله وقد تم إنجازه وحسن أداؤه.

تصميم الأطروحة وتنظيمها

وإذا دنونا من تصميم الأطروحة وتنظيمها، **فإن استكشاف مجال البحث مقدماً يصبح ضرورة عملية**. فإذا اقترح الطالب ـ مثلاً ـ أحد المؤلفين البارزين موضوعاً لأطروحته، فإن هذا الاقتراح لن يكون مقنعاً إلا إذا كان مبنياً على دراية بما يوجد من مواد علمية تتصل بالموضوع. فإذا لم يقرأ الطالب لهذا المؤلف قراءة واسعة، وإذا لم يقرأ المؤلفات الرئيسة والثانوية التي نشرت في الجيل الماضي أو يطلع عليها، فإن هذا سيوحي بأن نظرته إلى البحث نظرة مبتسرة، وأن عمله سيكون محفوفاً بالمخاطر.

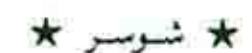
إن اقتراح البحث الذي يوضع بطريقة عمياء ليس اقتراحاً جاداً. وإذا كان المرء سيقضي سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات متفرغاً تفرغاً تاماً للبحث، **فإن الضرورة العملية تحتم عليه أن يتحقق سلفاً مما في الأمر من مقتضيات، وهذا يتطلب أن يقدم الطالب موجزاً يبيّن فيه الخطوط العامة للموضوع**، وذلك لكي يُنظر إلى اقتراح بحثه نظرة جادة.

ومن المؤكد أن المرشد أو المشرف سيعجب بالطالب منذ اللقاء الأول حين يجد أنه قد أحاط بالخطوط العامة للموضوع، وأصبح يعرف حالته العلمية معرفة كافية بحيث يدرك مثلاً الجوانب التي دُرست دراسة جيدة والجوانب الأخرى التي أهملت، ويعرف كذلك النواحي التي لا طائل من وراء بحثها والمواضع التي هي مظنة النمو والعطاء. ولكي يكون الطالب على علم بهذا فإن ذلك يعني أنه قد قرأ ـ في الأقل ـ أحدث ما أُلّف في الموضوع حتى لو أثبت البحث بعد هذا أنه ليس أفضل ما كتب في هذا المجال. وتعدّ العلوم المتداخلة أو المتقاربة من أشد المواد حاجة إلى مثل هذه المتطلبات. **وربما كان هناك**



★ راسين ★

إغراء خاص في الموضوع الذي يصل الأدب بعلم من العلوم القريبة إليه مثل: التاريخ الاجتماعي والسياسي أو الموسيقى والفلسفة والرسم واللغويات، إذ يحتمل أن يحقق المرء اكتشافاً أصيلاً مذهلاً حين يستخدم نتائج فروع المعرفة الأخرى في مجال الأدب، ولكن حاجته إلى التريث والتبصر تصبح هنا أشد من حاجته إليهما في أي موقف آخر. أما إذا كان الاهتمام بالمواد المتقاربة هواية فحسب، فإن من المؤكد أن هذا لن يكون



★ شوسر ★



كافياً، فالطالب الذي يغامر بالخروج من الأدب إلى التاريخ الاجتماعي ـ على سبيل المثال ـ قد يجد أن من بين ممتحنيه أحد المختصين في التاريخ الاجتماعي. وليس يعني هذا أنه يجب على الطالب أن يصبح مختصاً في التاريخ الاجتماعي، ولكن من المحقق أن معلوماته في هذا الميدان يجب ألا تكون معرفة سطحية. وحينما يغزو المرء حمى علم من العلوم الأخرى فإن الخطورة تكمن في أنه سيكون من السهل عليه أن يقبل الافتراضات القديمة المهجورة، وأن يهمل النتائج الحديثة في علم لا يجيده، فقد تكون السرعة في تطور هذه العلوم مثل السرعة في تطور الدراسات الأدبية. وإن من الحكمة أن يناقش الطالب المشكلات العلمية التي تواجهه مع أحد العلماء المختصين، **فالجامعة هي المكان المثالي ـ في الغالب ـ لإجراء الأبحاث في العلوم المتقاربة، ذلك لأن لدى أعضائها من الحرية ما يجعلهم يستفيدون مما يقدم في أقسامها المختلفة من دروس**. وكثيراً ما يلقى الطالب استجابة كريمة إذا ما حضر درساً أو محاضرة، أو قدّم لأحد المختصين في الحقل المطلوب خطاباً رقيقاً يسأله فيه النصح أو يطلب منه اللقاء. ولكن مشورة المختص يجب أن تؤخذ في وقت مبكر، وذلك حالما يتم تحديد صياغة السؤال لكي يتفادى الطالب خيبة الأمل حين يسلك طرقاً خاطئة، أو يجد نفسه ضالا، لا يهتدي إلى سبيل.

اختيار الموضوع

إن من الضروري أن يتذكر المرء بأن الآداب العالمية الكبرى تحظى بنشاط دولي واسع في مجال الدراسات الجامعية، ولذلك فإن من المحتمل جداً أن يكون عشرات بل ربما مئات من طلاب الدراسات العليا في أنحاء العالم قد شرعوا في دراسة الموضوع الذي اختاره لنفسه،

أو في دراسة ما يماثله . إن تدبر الأمر منذ البدء هو أفضل طريق لتجنب خيبة الأمل فيما بعد ، **وإن من السذاجة أن يفترض أي شخص بأنه يمتلك حق الامتياز في موضوع فكري حتى لو أعلن على رؤوس الأشهاد بأنه ينوي القيام ببحثه . وما لم يكن الموضوع قد بلغ في دقة التحديد قدراً متناهياً فإن من غير المحتمل أن تتفق أطروحتان في المضمون والعنوان ،** فالتفرد سمة ذهنية يستطيع كل شخص ــ سواء كان ذكياً أو غير ذكي ــ أن يفترض بحق وجودها فيه . وإن مزيداً من الثقة بالنفس في هذا الميدان ليعدُّ مؤهلاً ضرورياً عند القيام بعبء البحث ، ذلك لأن هذه الثقة ستميل إلى التلاشي في أثناء كتابة البحث .

وكثيراً ما يكون البحث مخيباً للآمال في نتائجه المباشرة . ولكن اللوم لا يقع حينئذٍ على أحد إذا ما سلك البحث في بعض الأحيان طرقاً مسدودة ، أو اضطر الباحث إلى أن يصرف النظر عن تلك الجوانب التي بدت في وقت من الأوقات جوانب واعدة . ومن المحتمل أن كل بحث فكري أصيل سيمر بتجارب من هذا النوع ، وأنه سيشهد كذلك لحظات من بهجة الاكتشاف ومتعته . ولا مفر من أن يضيع شيء من الوقت ــ إذا كان الوصول إلى نتائج سلبية يدعى تضييعاً ــ في المراحل الأولى من البحث ، وسيكون من المدهش ألا يكون الأمر كذلك .

الموضوع .. ومكان البحث

ويحتاج موضوع الأطروحة إلى أن تكون له صلة ما بالمكان الذي سيتم بحثه فيه ، فإذا كان الأمر يقتضي استخدام مخطوطة أو مجموعة خاصة من الكتب ، فإن من الطبيعي أن يتقدم الطالب للالتحاق بجامعة تكون قريبة من تلك المخطوطة أو المجموعة . وترحب الجامعات بالطالب ترحيباً كريماً حينما تدرك بأن لديها إمكانات فريدة بالنسبة لموضوعه ، ولكنها قد لا تقبل الطالب المتفوق الذي يقترح موضوعاً جيداً إذا كان لا يستطيع بسهولة أن يتابع بحث موضوعه في مكان دراسته أو في مكان قريب منه . **وتأخذ الجامعات في الاعتبار كذلك إمكاناتها في مجال الإرشاد والإشراف ، فإذا رغب طالب أجنبي ــ مثلاً ــ في بحث قضية تتعلق بأدب بلاده في جامعة بريطانية أو أمريكية ، فإنه غالباً ما يشعر بأن لتجربته الوطنية ، ولغته القومية ميزة خاصة ،** ولكن يجب عليه أيضاً أن ينظر فيما إذا كان سيستطيع أن يفيد من هذه الميزة في الجامعة التي يريد أن يتقدم للالتحاق بها . ومن المفيد في مثل هذه الأحوال أن يسأل أولا عن وجود المكتبة المناسبة والإمكانات العلمية الأخرى ، فإذا كانت هذه موجودة فإن ذلك سيساعد في إضفاء جو من الجد على طلب الالتحاق الذي سيتقدم به . **وعندما تعقد اللجان الجامعية للنظر في المرشحين للدراسات العليا ، فإنها لا تسأل عن مدى قدرة الطالب على القيام ببحثه فقط، ولكنها تسأل كذلك : «وهل يستطيع إعداد بحثه هنا ؟» .**

وأخيراً فإن على الطالب الذي يقدم موضوعاً للبحث أن يسأل نفسه ذلك السؤال الملح : «وما الغرض من هذا البحث ؟» فالأطروحة ليست عملية تعليمية فحسب ، إنها أيضاً عمل علمي يراد به وبما له من فضائل أن يعجب عالماً مختصاً في الموضوع ، وأن يجيب عن أسئلة تحتاج إلى إجابة . وإذا ما كانت المحاولة جيدة فسيستخدم الأجوبة علماء آخرون في مجال التدريس والتأليف . وإن من الأفضل أن يجابه المرء قضية الهدف في مرحلة مبكرة ، **فالجواب الإيجابي لا يساعد في ضمان النجاح النهائي للأطروحة فحسب ، ولكنه يمد الطالب كذلك بالثقة في أثناء إعداد البحث .**

الباحث والمجالات الأدبية المهملة

وتُعَد بعض الموضوعات البارزة موضوعات غير واعدة في مجال البحث ، وذلك لأنها غالباً ما تكون قد أشبعت بحثاً . ومن أمثال هذه الموضوعات : **حقيقة هامليت ، والفن المسرحي عند راسين ، والحس الأخلاقي عند جورج إليوت .**

وتُعَدُّ الموضوعات السائدة الرائجة كذلك موضوعات غير واعدة لأنها سرعان ما تتكاثر حولها الدراسات والأبحاث . **ولذا فإن من المفيد أن يتخلص الطالب من إغراء الظاهرة الأدبية الرائجة ،** وأن يفكر في أفضل الطرق لتجنب أخطارها .

ومن الظواهر التاريخية البارزة أن لكل عصر روحه النقدي الذي ينظر من خلاله إلى الأدب الذي أنتج في فترة تاريخية معيّنة نظرة تقدير وإعجاب . وبما أن العالم الناطق بالإنجليزية كان في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، معادياً للروح **الفيكتوري** ، فقد نظر بعين التقدير إلى عصر **الكلاسيكية** الجديدة . وفي الخمسينات والستينات من هذا القرن ، تحول الإعجاب تحولا كبيراً نحو الفيكتوريين ، ولا سيما ما أنتجوه في ميدان القصة والنقد الاجتماعي .

أما العصور الأخرى ، كعصر عودة الملكية (١٦٦٠ ــ ١٦٨٥ م) ، وأواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، فلم تكن أبداً من تلك الفترات التي حظيت بالرواج في الوسط الجامعي ، ولهذا يسود الشعور بإحسان الظن في الذين يختارون دراسة مثل هذه الموضوعات . وكما أنه يجب على المرء ألا يختار الموضوع اعتماداً على ميله إلى

اتباع فكرة رائجة أو على محاولته في تجنبها ، فإن من الواجب عليه كذلك أن يدرك بأن الاهتمامات السائدة الرائجة معرضة بطبعها للهجوم والانتقاد ، فهي أقل من غيرها قدرة على جعل اقتراح البحث مؤثراً ، وهي كذلك أقل من غيرها في القدرة على إضفاء سمة الأصالة على البحث . إنها مليئة بالمزالق والمخاطر ، وربما كان من الصعب على طالب الدراسات العليا – ولا سيما الشاب – أن يتخلص تماماً من روح العصر ، ولكن عليه – في الأقل – أن ينتبه إلى الخطر ، وأن يدرك بأن كثيراً مما يظنه الآن شيئاً مهماً إنما يرجع إلى تأثره بالقسم الذي درس فيه ، أو إلى تأثره بأستاذ من أساتذته أو بنفر من معاصريه من الطلاب . **وليس عيباً أن يهتم الطالب بالجو الفكري السائد وأن يشارك في مناقشة تياراته الفكرية ، ولكن يحسن به أن يتذكر بأن مثل هذه التيارات تجري بسرعة ، بينما يجب أن يحتفظ البحث بشيء من قيمته مدة لا تحسب بالأسابيع أو الشهور** . ويحسن بالطالب كذلك أن يدع موضوعه المقترح جانباً في لحظة من اللحظات ، وذلك لكي يتمكن من أن يرى ما فيه من عناصر الضعف وعوامل القوة ، وأن يسأل نفسه ليس فقط عن تلك الجوانب التي تروق له كثيراً في تلك اللحظة بل عن النواحي التي تبدو شديدة الحاجة إلى الكشف والتنقيب .

ومن فضائل التدريب الذي يتلقاه الطالب في مرحلة البكالوريوس أن الطالب قد يجد نفسه حين يلتحق بالدراسات العليا في موقف يمكنه من الإجابة على مثل هذا السؤال بعد قليل من التأمل والتفكير . فربما كان قد سمع أحد المختصين يتذمر من نقص في جانب من جوانب المعرفة فيقول : « إن مما يدعو للأسف أنه لم يُكتب أبداً كتاب جيد عن . . . » ، أو يقول : « إن من سوء الحظ أن هذا النص لم يحقق أبداً تحقيقاً دقيقاً » . **ولا يعني حصول الطالب على القبول في الدراسات العليا أن يختار لبحثه أي موضوع يمكنه من سد الفراغ واجتياز الامتحان ، فهناك عدد كبير من الموضوعات التي تركها الباحثون لأنهم أدركوا أنها غير جديرة بالدرس . ورغم هذا فإذا ما وجدت الرغبة الصادقة في الطالب ، وتوافرت لديه المقدرة فقد يكون الشعور بإهمال الماضي عاملاً قوياً في توجيهه نحو القيام بدراسة علمية جيدة .**

ومن السهل على الباحث في بعض المجالات أن يسهم فيها إسهاماً أصيلاً ، فباستطاعة كل باحث ، مثلاً ، أن ينال رضا العلماء والطلاب إذا ما قدَّم دراسة نقدية ذكية تبعث على استمرار الاهتمام بالأدب الإنجليزي في الفترة المتوسطة الممتدة من القرن الثاني عشر الميلادي ، إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، على أن تكون بعيدة عن تلك المجالات المألوفة مثل : **تشوسر ولانجلاند ومالوري والشاعر المجهول** الذي نظم في القرن الرابع عشر الميلادي ، أسطورة البطل **قَوَيْن** ، أو إذا ما بيَّن الباحث الصلات بين التاريخ الفكري في القرن الخامس عشر الميلادي ، والعهد **التيودري** (١٤٨٥ – ١٦٠٣م) ، أو بين **الشعراء الدينيين الميتافيزيقيين** (أوائل القرن السابع عشر الميلادي) ، وعصر **درايدن** . وسينال كذلك مثل هذا الرضا الطالب الذي يبحث في عصر **الكلاسيكية الجديدة** حين يضيف إلى بحثه بُعداً مقارناً ، فيستعرض بعض جوانب هذه الفترة في ضوء علاقتها بحركة التنوير الفلسفي في أوروبا (القرن الثامن عشر الميلادي) ، أو في ضوء علاقتها بالمعلومات التاريخية الجديدة التي تتصل اتصالا وثيقاً بالتاريخ الاجتماعي لهذا العصر . **وتعاني بعض الموضوعات من الاستنزاف والإفراط في إخضاعها للبحث** ، وذلك مثل معظم النقاش الذي دار حول الاتجاهات الاجتماعية والأخلاقية في الرواية الفرنسية والإنجليزية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وكذلك بعض المحاولات في دراسة هذا العصر من حيث لغة الرواية فيه والعلاقة بين أدبه السياسي وتاريخه السياسي . ورغم ذلك فإنه يكمن أحياناً في هذه الموضوعات من الفرص والإمكانات ما يؤدي إلى اكتشافات جديدة أصيلة .

اختيار الموضوع

وربما احتاج الباحث المبتدئ إلى من يقنعه بأن الاهتمام بالحالة الحاضرة للمعرفة أولى من الاهتمام بتصوراته ، وذلك لأنه قد لا يدرك جيداً أن اهتماماته ليست في الغالب إلا انعكاساً لما كان عليه الموضوع في حالة من حالات التحول والتطور التي حدثت حينما كان يتلقى تدريبه إبان الطلب . ولعل من السهل أن يتسلّط على الذهن إحساس خادع بالاكتشاف إزاء المؤلف الرائج ولا سيما من كان يستحق الشيوع والرواج . وقد يحتاج المرء إلى قدر غير عادي من الأمانة لكي يعترف أو يدرك أنه لم يقرأ لهذا المؤلف – في المقام الأول – إلا لأن بعض معارفه قد كرر اسمه على مسامعه . ومن الطبيعي أن يكون حب الاستطلاع دافعاً للذهن إلى معرفة حقيقة ما تدل عليه تلك الشهرة والسمعة ، ولكن مهما تكن قيمة مثل هذا الدافع ، بوصفه السبب في القراءة لمؤلف ما ، فإنه لا علاقة له بأهداف البحث الأدبي ، **فحين يقرأ المرء ليعرف ما علمه الآخرون من قبل ، فإنه يظل طوال حياته طالب علم ، ولكن طالب الدراسات العليا الحق إنما يقرأ لسبب آخر ، ذلك هو الأمل في أن يكتشف ما لم يعلمه غيره من قبل .**



اللغة العربية بين اللغات
دراسة مقارنة بالإنجليزية

بقلم: د. أحمد بسام ساعي

كثيراً ما تساءلت هل اللغة العربية[1] حقاً من أصعب اللغات كما يتردد على ألسنة الدارسين الغربيين، أو كثير منهم على الأقل؟. كنت باستمرار في هاجس التحري عن حقيقة هذه الصعوبة: هل هي صعوبة توهمناها بأنفسنا، أم صعوبة أريد لنا أن نتوهمها، أم هي صعوبة حقيقية؟.

من المؤكد أن «السهولة» ليست هي الميزة الأولى التي يجدر بنا أن نبحث عنها في لغة اختارها الله لتكون لغة للعالمين أجمع ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. فهناك ما هو أهم من السهولة للغة سُن بها القانون الإلهي ليُحكَم به البشر على مدى العصور وفي مختلف بقاع الأرض، ونقصد هنا بشكل خاص «الدقة في التعبير، ثم المرونة الكافية لتغطية الامتدادين العظيمين للدين: الزماني والمكاني».

أما الأمر الأول «الدقة» فيكاد لا يختلف اثنان على أن العربية تبذ به معظم اللغات السائرة الآن، وإن كان هذا الجانب ليس هاجسنا الآن، فله مجاله الخاص والمميّز في الدراسات العلمية المتخصصة.

وأما الأمر الثاني «المرونة» فنرجو أن نفرد له بحثاً يكشفه، ويضع أصابعنا على جوهر العربية وطبيعتها المتوالدة الخصبة، التي ساعدت علوم النحو والصرف والبلاغة ـ من غير قصد ـ على حجبها عنّا وتعطيل قدراتها الكامنة.

إن المقياس الدقيق لصعوبة لغة أو سهولتها لم يُوجد بعد، إذ تتداخل في تحديد هذا المقياس ـ لو شئنا الوصول إليه ـ عوامل زئبقية عديدة يصعب الإمساك بها وجمع خيوطها ليكون منها مقياس موضوعي معترف به.

وما من سبيل لتلمّس حقيقة لغة ما، صعبة هي أم سهلة، تلمّساً علمياً مقنعاً، وإن لم يكن حاسماً ونهائياً، إلا بوضعها موضع المقارنة مع لغة أخرى نحرص على أن نختارها أبعد ما تكون عنها، أصولا وطبيعة وبناء وقواعد وحروفاً وإملاءً ولفظاً، وأبعد ما تكون عنها، في ميزان الحس الإنساني العام، صعوبة أو سهولة. ولا نجد خيراً من **الإنجليزية**، أسهل اللغات في نظر الغربيين وكثير من الشرقيين، لنضعها بإزاء العربية، التي يدعي الغربيون أنها أصعب اللغات، لنقيم هذه المقارنة الجدلية التي نستطيع من خلالها ـ وقد توفرت لها التناقضات الكثيرة التي سعينا إليها ـ أن نضع أيدينا على طبيعة لغتنا وحقيقة صعوبتها أو سهولتها، دون الوصول، بطبيعة الحال، إلى أحكام نهائية أو مقاييس مطلقة، وإنما هي عملية «ثمرة» نرى فيها ظلال اللغة في مرآة نقيضتها.

والمشكلات الأساسية التي يمكن أن تُطرح في دراسة مقارنة كهذه تتلخص في ستة جوانب هي: النطق ـ الكتابة ـ النحو ـ الصرف ـ المفردات ـ الفصحى والعامية.

وسنقف الآن عند الجانب الأول منها، **النطق**، وهو الجانب الأوضح ظهوراً على سطح الجدل القائم حول صعوبة العربية وسهولتها. وبَدَهيّ أن نتلمّس في البداية طبيعة الحروف العربية، وهي قوام العملية اللفظية، وندرس المشكلات المحيطة بها **بالمقارنة مع الحروف الإنجليزية خاصة**

والأوروبية عامة، لنصل في النهاية إلى حكم تقريبي – ليس من الضروري أن يكون نهائياً – في مدى صعوبة اللفظ العربي أو سهولته .

الحروف

المعروف أن الإحصاء النظري ، لا العملي ، لحروف اللغتين العربية والإنجليزية يُظهر تقارب عدد حروفهما ، فهي ستة وعشرون في الإنجليزية ، وثمانية وعشرون في العربية – أو تسعة وعشرون إذا عددنا الهمزة حرفاً ، وهو الأفضل لأن الألف مجرّد حرف ساكن ، أما الهمزة فحرف صائت حلقي كالعين والحاء والهاء ، فالاختلاف واضح وقوي – هذا هو الإحصاء النظري ، وهو إحصاء ناقص ومخادع ، لأنه بعيد عن الواقع العملي للغة .

إن حركات الفتحة والضمة والكسرة في العربية ليست في حقيقتها – على ضوء واقع اللغة الإنجليزية – إلا حروفاً ساكنة كحروف الإنجليزية (a, o, e) ، وإن التنوين فيها أيضاً حرف آخر مركّب من ألف قصيرة ونون ، أو واو قصيرة ونون ، أو ياء قصيرة ونون ، أو ، إذا شئنا الاختصار ، هو نون تضاف إلى أحد السواكن القصيرة الثلاثة – أي الحركات – في آخر الاسم النكرة أو العلم المنصرف ، إذا وصفنا الألف والواو والياء بأنها المقابل الطويل لهذه السواكن القصيرة .

وتصل الإنجليزية إلى تلك السواكن الطويلة بتكرار القصيرة ، فالحرف (o) ساكن قصير فيها يتحوّل إلى ساكن طويل بتكراره كما في (boot) أو بإضافته إلى ساكن قصير آخر مجانس له كما في (four) ، وإن كانت الإنجليزية لا تملك قاعدة نهائية للتمييز الكتابي بين الساكن الطويل والساكن القصير ، فقد يتحوّل القصير كتابة إلى طويل لفظاً كما في (for) التي لا يختلف لفظها عن (four) ذات الساكنين المتجانسين – أو الساكن الطويل – بينما لا يحقق اجتماع الساكنين في بعض الكلمات أي طول لأحدهما ، سواء أكانا متجانسين أو شبه متجانسين ، كما في (curtain) ، أم غير متجانسين كما في (does) .

ولكن المقارنة النظرية بين اللغتين تُظهر أن هناك تسعة عشر حرفاً إنجليزياً من أصل ستة وعشرين لها ما يقابلها في العربية[٢] وهي :

ا – ب – ت – ث – جـ – د – ذ – ر – ز – س – ش – ف – ك – ل – م – ن – هـ – و (w) – ي (y)[٣] .

وهناك ستة حروف عربية أخرى خشنة تقابل في الإنجليزية – وفي العربية نفسها أيضاً – ستة حروف رقيقة ، وكأن الحروف الأولى تضخيم لهذه الأخيرة ، كما يظهر فيما يلي :

١ – (t) ت ط .
٢ – (d) د ض .
٣ – (th) ذ ظ .
٤ – (s-c) س ص .
٥ – (k) ك ق .
٦ – (h) هـ حـ .

وإذا كان هذا الاختلاف بين الحروف الرقيقة والحروف الخشنة لا يعني أية مشكلة لابن العربية ، فقد يكون ثمة مشكلة حقيقة أمام المقبل على تعلّم العربية من غير العرب ، إذ ليس من السهل على اللسان الأوروبي ، مثلاً ، أن يخشّن الكاف (k) لتصبح قافاً عربية ، ولكن هذا ، من جانب آخر ، ليس من الصعوبة بحيث يكفي لوسم العربية بصعوبة النطق ، **فليس مطلوباً من المقبل على تعلّم العربية أن يلفظ القاف ، أو أي حرف عربي آخر ، كما يلفظه العرب تماماً ، على الأقل في السنوات الأولى من** دراسته ، **فكيف إذا كان العرب أنفسهم غير متفقين ، منذ الأزل وإلى الآن ، على طريقة واحدة للفظ القاف ، وكذلك معظم الحروف الأخرى** ، ولا سيما الحروف الستة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن ، وهذا ، في رأينا ، ما يؤكده الحديث الشريف « نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف » . وإن من الظلم للعربية أن نطلب منها ما ليس فيها ، وإن من الظلم لمتعلّميها أن نطلب منهم الاتفاق على ما لم يتفق عليه أبناؤها ، فنقسرهم على سبيل واحد في لفظها بدلا من سبعة سُبُل ، وإذا استطاعوا الانضباط ضمن العلاقة التراجحية التي اقترحناها بين الحروف الرقيقة والحروف الخشنة ، ما أمكن ذلك ، **فلن تكون النتيجة بعيدة كل البعد ، وفي أسوأ الأحوال ، عن إحدى اللهجات العربية المعترف بها والمتناثرة بين المشرق العربي ومغربه** .

ثم لا يبقى أمامنا إلا أربعة حروف عربية يمكن أن ندرسها – بداية – بوصفها فاصلاً حقيقياً واضحاً ، وثقيلاً على اللسان الأوروبي ، وهي : الحاء (وقد اقترحنا – مع بعض التجاوز – أن يكون المقابل الخشن للهاء) ، والخاء والعين والغين .

والحاء حرف « إنساني » شديد الارتباط بالإحساس البشري ، إذ تطلقه بحنجرة للتعبير عن الإحساس بالحرارة الشديدة حين يتناول أحدنا طعاماً شديد السخونة أو تابلاً شديد الحرارة أو الحدّة ، فيسعى إلى التخفيف من حرارة حلقه بإطلاق الصوت **(ح ...)** ، وهو في الوقت نفسه مرتبط عند الإنسان بالتعبير عن القشعريرة والبرودة ، لأنه يطلق الصوت نفسه حين شعور الجسد بالبرد الشديد ليفجّر من خلاله إحساسه الداخلي بالمعاناة .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن ننفُذ بهذا

الحرف إلى اللسان الغربي ليجد فيه حرفاً عادياً بسيطاً لا يقف عائقاً حقيقياً بينه وبين تعلّم العربية ، من غير أن ننسى ما سبق أن قررناه من اختلاف الحناجر العربية نفسها في إخراج كثير من الحروف ومنها الهاء[٤] .

أما حرف **الخاء** فمعروف في ثلاث لغات أوروبية غربية على الأقل ـ إذا لم نعدّ الروسية بينها ـ **الألمانية والإسبانية واليونانية** ، وهي أهم من أن يُهمَل شأنها في التأثير على اللسان الأوروبي أو الأذن الأوروبية لإخراج (الخاء) من قائمة الحروف التي تجعل من العربية « أمراً ثقيلاً على الألسنة والأسماع » ، ولا سيما إذا عرفنا أن لغة (**ويلز**) في جنوب غربي إنجلترا ، وأختيها **الأيرلندية والاسكتلندية ، جميعها تتضمن حرف الخاء** .

والحرفان اللذان يحق للدارس الغربي أن يعاني بعض الشيء من لفظهما هما : **العين والغين** . وهذا الأخير حرف طفولي يميّز لغة الرضّع في بدايات مناغاتهم ، وهو لذلك أيضاً من الحروف الإنسانية الأولى التي لا يحتاج الإنسان إلى أية مساعدة لإتقانها ، وحسب الطفل أن يألف سماع هذا الحرف من أبويه ليحافظ على مقدرته الفطرية في لفظه . وإذا تذكرنا أن حرف **الراء** (r) يلفظ بالفرنسية (**غيناً**) على الأغلب ، والفرنسية ما تزال تحتفظ بالمكانة الثانية بعد الإنجليزية في أوروبا والعالم ، أدركنا أن حرف الغين ، هو أيضاً ، ليس بعيداً عن الأذن واللسان الأوروبيين[٥] .

يبق أمامنا حرف (العين) وأمره ليس بسهولة الحروف الثلاثة الأخرى ، إذ لا نجد رديفاً له في أية لغة أوروبية سائرة ـ متذكرين هنا وجوده أو وجود ما يقاربه في بعض لغات **جنوب شرقي أوروبا** التي لم تكتسب صفة السيرورة ـ وفي ظننا أن حنجرة المقبل على تعلّم العربية لا بد أن تتدرّب طويلاً على نطق هذا الحرف قبل إتقانه ، على أن لا يُطلب منه ذلك منذ البداية ، وبإمكانه أن ينطقه أقرب إلى الهمزة أو الهاء ، ثم يدرّب حنجرته على الانتقال تدريجياً نحو الأعمق فالأعمق[٦] .

وإذا كانت الحروف الساكنة في العربية تقتصر على ستة : ثلاثة قصيرة وثلاثة طويلة ، كما أسلفنا ، فهي في الإنجليزية تتنوّع وتتلوّن تلوّناً غريباً ، تبعاً لموقعها من الكلمة من ناحية ، وتبعاً لاتصالها أحدها بالآخر من ناحية أخرى . فالحرف (**a**) في (**are**) غيره في (**ago**) وغيره في (**bad**) وغيره في (**air**) وغيره في (**date**) ، وهو في الأولى أقرب إلى الهمزة الممدودة في العربية (آ) ، وفي الثانية أقرب إلى الهمزة المفتوحة (أ) ، وفي الثالثة أقرب إلى ألف المدّ (ا) ، وفي الرابعة أقرب إلى الهمزة الممدودة الممالة ، وفي الخامسة أقرب إلى الياء الممدودة المخففة . وهذا هو الشأن في الحروف الساكنة الأخرى (**y, u, o, i, e**) أو نصف الساكنة ، كما يدعوها الإنجليز (**semivowels**) وهي حرفان (**w, h**) .

والحرف (**h**) يلفظ كالهاء حيناً مثل (**he**) ، وخفياً أو قريباً من الهمزة حيناً آخر مثل (**honor**) ، وإن جاء تالياً للحرف (**c**) كان لفظهما كالحرفين (**تش**) حيناً مثل (**chair**) ، وكالكاف حيناً آخر مثل (**school**) ، فإن جاء تالياً للحرف (**s**) كان لفظهما كالشين مثل (**ship**) ، وإن سبقه الحرف (**t**) كان لفظهما كالذال حيناً كما في (**the**) ، وكالثاء حيناً آخر كما في (**thing**) ، فإن جاء تالياً للحرف (**p**) كان لفظهما كالفاء كما في (**photo**) ، مما يعني زيادة عملية في الحروف الإنجليزية الساقطة لا تقل عن أربعة ، إذا أسقطنا المتكرر منها لفظاً وإن اختلف كتابة ، وهو كثير .

ومن ناحية أخرى ، لا تملك الإنجليزية قاعدة ثابتة لضبط السواكن من الناحية اللفظية ، فقد يلفظ حرف الـ (**a**) في بعض الكلمات (**o**) كما في (**salt**) ، وقد يتأرجح بين الـ (**a**) و الـ (**o**) في أخرى كما في (**war**) ، أو بين الـ (**a**) و الـ (**e**) كما في (**ago**) .

أما الحرف (**e**) فالغالب أن يهمل لفظه إذا وقع في آخر الكلمة التي تزيد على ثلاثة حروف ، وهذا ليس ثابتاً أيضاً ، فقد يلفظ ويعامل معاملة الساكن الطويل أو المتكرر في نهاية بعض الكلمات كما في (**catastrophe**) ، وقد يتأرجح بين الـ (**e**) و الـ (**a**) في بداياتها كما في (**essential**) أو يعامل ، هنا ، معاملة الساكن المتكرر الطويل كما في (**even**) أو القصير (**enough**) أو يذوب نهائياً في الحرف التالي له (**eye**) . وهكذا فإننا نستطيع أن نجد لكل من الحرفين (**a**) و (**e**) ست صور لفظية مختلفة على الأقل ، دون أن ننسى **أن السواكن جميعاً في الإنجليزية كثيراً ما تتبادل المواقع ـ لفظياً ـ فيقوم أحدها مقام الآخر ، حتى ليكاد يتسبّب هذا التبادل في ضياع شخصية الحرف وتمييع قيمته اللفظية ، مما يوقع المقبل على تعلّم الإنجليزية في لبس إملائي كبير لا ينجو منه الإنجليز أنفسهم مهما علت مستوياتهم الثقافية** .

وتورد المعاجم الإنجليزية والأمريكية ما يتراوح بين (٢٩ و ٨٩) صوتاً ساكناً تشتق من السواكن القليلة المعدودة في الإحصاء النظري للحروف الإنجليزية[٧] . ويقع للحروف الصائتة ، أو لكثير منها ، ما يقع للحروف الساكنة . فالحرف (**c**) يلفظ **كالسين** حيناً كما في (**cell**) ، **وكالكاف** حيناً آخر كما في

(can) ، والحرف (g) يلفظ **كالجيم** المعطشة حيناً كما في (go) **وكالجيم المشبعة** حيناً آخر كما في (germ) ، والحرف (x) يلفظ كالحرفين (**كس**) حيناً كما في (box) وكالحرف **زين** حيناً آخر كما في (xenon) **وكالكاف** في (luxury) **وكالجيم** في (luxurious) .

فإذا جمعنا الحد الأدنى العملي من الحروف الإنجليزية الساكنة إلى الحد الأدنى العملي من الحروف الإنجليزية الصائتة كان الناتج لا يقل عن خمسين حرفاً (وقد يتجاوز المائة في حده الأعلى) يقابلها في العربية ـ بالإحصاء العملي أيضاً ـ ثلاثة وثلاثون حرفاً[٨] والفرق واضح وخطير لصالح العربية .

فما مدى الصعوبة العملية للفظ هذه الحروف ـ صائتة وساكنة ـ أو سهولته في كل من اللغتين ، متجرّدين في الإجابة ما استطعنا من الأحكام المتوارثة ، أوهاماً كانت أم حقائق ، لنصل إلى تصنيف صادق ، وقريب ما استطعنا ، من النتيجة العلمية المثالية المطلقة ، وهي التي لا يمكن لإنسان أن يصل إليها ؟ .

يُجمع المقبلون على تعلّم العربية من الطلاب الإنجليز[٩] على أن أبرز الجوانب سهولة في العربية هو الوحدة القائمة فيها بين اللفظ والإملاء ، وتنبني هذه الوحدة على ثلاثة أسس :

١ ـ تقيّد الإملاء العربي شبه التام بالألفاظ المنطوقة ليكون صورة صادقة ودقيقة عنها .

٢ ـ وجود صورة نطقية واحدة لا أكثر للحرف العربي ، مع الاستفادة أحياناً من قواعد علم اللغة العام في تجويد الحرف تبعاً لسياقه ضمن الكلمة أو الجملة .

٣ ـ عدم ارتباط العربية بنظام نبري محدّد ، ومن ثم عدم حاجتها إلى قواعد إملائية لضبط مثل هذا النظام .

تقارب الحروف وتباينها

ولا نستطيع أن نبرز **قيمة الوحدة التامة أو شبه التامة بين كل من اللفظ والإملاء العربيين** بوضوح وجلاء ، بقدر ما نفعل ونحن نضع العربية بمقابل لغة كالإنجليزية **تباعد فيها طرفا اللفظ والإملاء ، وإلى درجة الانفصال شبه التام في بعض المواقع**[١٠] . وإذا كان قارئ الإنجليزية المبتدئ لا يستطيع أن يعتمد على **الإملاء الإنجليزي** وحده ليتقن لفظ الكلمات ـ بغض النظر عن درجة إتقانه لمخارج الحروف الآن ـ فإن بإمكان قارئ العربية المبتدئ أن **يكتفي بإملائها** ، مشكولة ، ليخرج بلفظها الصحيح ـ بغض النظر أيضاً عن درجة إتقانه لمخارج حروفها ـ ، والمشكلة الوحيدة التي يمكن أن تعترضه في هذا الجانب هي **الألف** ، سواء أكانت **وصلاً** (في بداية الأفعال الخماسية والسداسية ومصادرها) أم **للتفرقة** (في نهاية أفعال الغائبين والمخاطبين) ، فهذه الألف مكتوبة غير ملفوظة ـ إلا إذا تحوّل الوصل في النوع الأول منها إلى قطع فتلفظ ـ . **ونحن نعترف أن وجود ألف التفرقة في نهاية الأفعال أمر شكلي اقتضته افتراضات نحوية نظرية لا علاقة لها باللفظ ، ومن المؤكد أن الاستغناء عنها في الإملاء لا يشكل أي خرق خطير أو بسيط للقاعدة النحوية التي استند وجودها إليها** . أما **ألف الوصل** فمن السهل الاستغناء عنها تماماً في الإملاء ، ولكن الواقع العملي يثبت أن بقاءها من شأنه أن يهوّن الأمر على متعلّم العربية ، إذ يزيده اطمئناناً إلى **القاعدة الصرفية** ، ويمنحه الثقة بتطبيقها على كل ما بين يديه من الأفعال الخماسية والسداسية ومصادرها ، دون خوف الاضطراب أو الحيرة بين إهمالها حيناً وإثباتها حيناً آخر ، ويأتي بعد ذلك علم اللغة العام ـ أو ما هو أقرب فيه إلى علم التجويد ـ ليعينه على تفهم إهمال لفظ هذه الألف حين تكون وصلاً ، وإثباته حين تكون قطعاً .

ورغم التقارب الذي أثبتناه بين أكثر الحروف العربية وأكثر الحروف الإنجليزية ، نجد التباين اللفظي واضحاً فيما بين هذه الأخيرة إذا قارنا بين لفظها في الكلمات المختلفة . ونقصد هنا درجة تفخيم الحرف أو ترقيقه أو إظهاره أو إضماره ، وليس تغيّر طبيعته تغيّراً أساسياً مما سبق لنا الحديث عنه . فالحرف (l) في (wallet) مثلاً يُلفظ أفخم منه في (folk) وفي هذه الأخيرة أفخم منه في (ballet) وهكذا في أكثر الحروف الإنجليزية .

أما في العربية فيقع مثل هذا الاختلاف ـ بل مثل أيسر أنواعه ـ في حرف واحد من مكان واحد في كلمة واحدة هي « الله » ، ومعروف أن **اللام** في لفظ الجلالة **تفخّم** بعد الفتح والضم **وترقق** بعد الكسر ، أما اللام الشمسية واللام القمرية فالاختلاف بينهما أدخل في علم اللغة البشري العام ، وهو أمر يستساغ لفظياً حيثما وجد عند الشعوب ، وهذا هو السر في أن أمرهما في العربية مقيس بقاعدة لفظية ثابتة تنتظم بدقة كل حالاتها من غير أي شذوذ .

النظام النبْري

ولكن أهم ما يميّز العربية من الإنجليزية على الإطلاق هو **النظام النبري** الذي يشكل أساساً هاماً لا يُستغنى عنه من أسس

الإنجليزية ، بينما لا تلتفت إليه العربية ، ولا تأبه بوجوده . ورغم اختلاف اللهجات العربية اختلافاً شديداً بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، ووضوح النبر ، مثلاً ، على المقاطع الأخيرة من الكلمات في بلاد المغرب العربي عامة ، فهذا لا يشكل عائقاً في فهم الشعوب العربية بعضها لهجات بعض ـ عند استعمال الفصحى طبعاً ـ **لأن النبر كما قلنا ليس من أسس العربية** ، والخلط فيه لا يشكّل أي ضرر على اللفظ أو المعنى ، وإذا وُجد مثل هذا النبر الأساسي فـمرتبطاً بـالمعنى ارتبـاطاً عضوياً ، بحيث يكون القرار في تحديده صادراً عن المعنى نفسه ، وبتعبير آخر ، يستمد هذا النبر شخصيته بل وجوده كله من المعنى الذي اقتضاه ، إنه « **النبر المعنوي** » الذي لا تستغني عنه أية لغة لأنه لون من ألوان التعبير ، يتغيّر بتغيّر المعنى . ولنمثّل للأمر بهذين البيتين لبدوي الجبل[١١] :

وكيف أعنـو لجبّار وقـد مَلَكَتْ
يميـني القمـرين : الشـعر والصيـدا
إذا دجا النـور في عمـر الضـحى ائتلقـا
وإن سـطا الـظلم مخمـور الظُبى صـمدا

فالألف في قافية البيت الأول (**الصيدا**) ليس لها أهمية أختها الألف في قافية البيت الثاني (**صمدا**) ، لأن الأولى جاءت لمجرّد إشباع حركة الروي (**الدال**) ولا تظهر عادة إلا في الشعر . أما الثانية فأساسية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها ألف التثنية ، فهي فاعل للفعل (صمد) ، ومن هذا الموقع المعنوي أو الإعرابي الهام تستمد قوتها وشخصيتها التي تضطرنا إلى إظهار النبر على الحرف الذي يسبقها ـ الدال ـ بدلا من إظهاره على المقطع الأول من الكلمة كما كان الأمر في (صيدا) وكما هو الأمر في معظم الكلمات العربية[١٢] .

إن النبر في العربية أمر معنوي محض ، ومن ثم فهو أدخل في فن **الإلقاء** منه في علم اللغة أو البناء اللفظي ، **وحري بنا إذن أن نبحث له عن اسم آخر غير « النبر »**[١٣] **حتى لا يختلط علينا الأمر كما اختلط على بعض من وهم ، أو توهم ، فافترض وجود النبر في العربية ، ونسي أن المعاجم العربية جميعاً ، قديمها وحديثها ، مشرقيها ومغربيها ، لم تحتج إلى أية إشارة نبرية لتبيان لفظ كلمة عربية ما .**

ثغرات في اللفظ الإنجليزي

بقي علينا أن نشير إلى ثغرات ثلاث في اللفظ الإنجليزي ليست في اللفظ العربي ، تزيد من صعوبته ، وتجعله أثقل على اللسان البشري عامة ، وهي باختصار :

١ ـ **توالي السواكن** فيه توالياً عجيباً قد يصل ـ في الكلمة الواحدة ـ إلى أربعة سواكن ، وفي الكلمتين المتجاورتين إلى ستة كما في (moist strand) مثلاً ، وتظهر السواكن الستة واضحة هنا لو نقلنا الكلمتين إلى الحروف العربية (مؤيْسْتْ سْتْراند) ، والمعروف أنه لا يلتقي في العربية ساكنان إلا عند الوقف ، أو في حالات شعرية نادرة ، أو شاذة ، بحيث لا يتجاوز الأمر فيها ساكنين اثنين .

٢ ـ **استطالة الكلمة** استطالة يثقل بها اللسان ، ولا أذكر في العربية كلمة تقوم على أكثر من ثلاثة عشر حرفاً (إذا اعتبرنا الحركات حروفاً ، قياساً بالإنجليزية) مثل (**متبرّعون**) و (**متعرجات**) ، وقد يصل عدد الحروف إلى ستة عشر في بعض الكلمات القليلة المتصلة بالضمائر مثل (**استكتبتمونيها**) ، بينما نجد في المعاجم الإنجليزية كلمات منفردة يصل عدد حروفها إلى (٥٢) أحياناً[١٤] ، وإن كان العدد لا يتجاوز (٢١ ـ ٢٢) حرفاً في الكلمات الشائعة الاستعمال ، ويبقى الفرق كبيراً على أية حال بين الرقمين العربي والإنجليزي .

٣ ـ **توالي الحروف المتشابهة مخرجاً** أو اجتماعها بكثرة في الكلمة الواحدة ، ولا سيما الحروف الصفيرية **كالسين والشين والزاي** ، كاجتماع السين في كلمة (circumstances) **والسين والشين** في كلمة (specification) **والسين والثاء** في (synthesis) **والسين والشين والزاي** في (civilization) **والسين والزاي** في (mysticism) ، وقديماً أخذوا على الشاعر العربي استخدامه كلمة (**مستشزرات***) لما اجتمع فيها من هذه الحروف الصفيرية ، وتندّروا باللغوي الذي قال لتلامذته (ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جِنّة . .) ، والعربية تجاوزت مع تطورها مثل هذه الألفاظ ، أما الإنجليزية فما تزال غاصّة بها[١٥] .

مقارنة أوجه الصعوبة

إذن ، إن على الإنجليزي المقبل على تعلّم العربية أن يتجاوز العقبتين اللفظيتين التاليتين في كل كلمة :

(١) **إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة** ، وقد بيّنا وجود هذه العقبة في بضعة حروف قليلة يمكن تذليل صعوبتها بالدربة غير الطويلة .

(٢) **حفظ حروف الكلمة بالترتيب** ، وهذا كاف لحفظ إملائها . (لا يفوتنا هنا الخلط الذي يقع للمبتدئ في العربية بين السواكن القصيرة ـ الحركات ـ والسواكن الطويلة ـ الألف والواو والياء ـ وهو أمر غير خطير لفظياً من ناحية ، ويمكن تداركه

لفظياً وكتابياً بسرعة بعد تمييز الأذن بين الصوت ذي الزمن القصير والصوت ذي الزمن الطويل) .

أما العربي المقبل على تعلّم الإنجليزية فيفترض فيه أن يتجاوز العقبات الخمس التالية جميعاً :

١ ــ إخراج الحروف الإنجليزية مخرجها الصحيح ، وهو أمر يصعب إتقانه جداً على غير الإنجليزي النشأة ، إذا لم يكن مستحيلاً[16] ، لأنه سيصطدم بعشرات الطبقات والدرجات من الحروف الساكنة (**vowels**) التي تفرض عليه شروطاً شديدة القسوة لإخراج الحرف الصائت المرتبط بها والمتلوّن بتلوّنها .

٢ ــ حفظ حروف الكلمة مرتبة حسب لفظها ــ كما في العربية ــ .

٣ ــ حفظ إملاء الكلمة ــ المنفصل بشكل موجع عن لفظها ــ وهو أمر لا يخضع في كثير من الأحيان لأية قاعدة من شأنها تسهيل الأمر على المتعلّم .

٤ ــ حفظ مواضع النبر في الكلمة ، مع التمييز بين النبر المشدّد والنبر المخفّف ، وهو أمر لا يخضع أيضاً في كثير من الأحيان لأية قاعدة .

٥ ــ ترويض لسانه على لفظ كل من السواكن المتوالية ، والكلمات المستطيلة ، والألفاظ الحاشدة بالحروف المتقاربة المخارج .

هذه المقارنة الجزئية السريعة بين اللفظ الإنجليزي واللفظ العربي تمهّد لنا السبيل للدخول إلى الجوانب الأساسية الأخرى للغتين ، وتبصُّر طبيعة لغتنا الإسلامية التي أرادها الله لغة للبشر أجمعين ، وإدراك مكانتها الحقيقية بين اللغات السائرة في العالم الحديث .

الهوامش

(١) وقد اقترحنا لها أن تسمى « اللغة الإسلامية » في بحثنا « بل اللغة الإسلامية » المنشور في مجلة « الأمة » ، عدد شعبان ١٤٠٣ هـ .

(٢) لا بد أن نأخذ في حسابنا ونحن نقيم مثل هذه المقابلة الاختلافات اليسيرة في نطق هذه الحروف أو أكثرها بين اللغتين ، وهي اختلافات لا تصل إلى حد الإخلال بهذه المقارنة والأحكام الناتجة عنها .

(٣) الحرفان الأخيران اقترح مقابلهما الإنجليزي كما أوردناه David Cowan في كتابه Modern Literary Arabic ، الصفحة ٣ ، طبعة Cambridge University Press ، عام ١٩٨٢ م .

(٤) الاختلاف واضح فيما يتعلق بهذا الحرف على ألسنة أهل السودان وصعيد مصر خاصة وهم يلفظونه أقرب إلى الهاء .

(٥) تخلط بعض اللهجات العربية في بادية الشام والعراق إلى الآن بين الغين والقاف ، فتلفظ أحدهما مكان الآخر ، كقولهم (قنم) للغنم ، و (غلم) للقلم .

(٦) صنّف الخليل بن أحمد حرف العين على أنه أعمق الحروف الحلقية ، وبدأ به كما هو معلوم ترتيب الحروف العربية حسب مخارجها . ومن المهم أن نذكر هنا أن بعض بداة المشرق العربي ما يزالون يبادلون في نطقهم بين العين والهمزة فيحلّون الأول محل الثاني كقولهم (سعال) بدلا من (سؤال) .

(٧) كان عددها (٢٩) في The English Dialect Dictionary ، و (٣٢) في The Universal English Dictionary ، و (٣١) في The Concise oxford Dictionary Of Current English ، و (٦١) في The Oxford English Dictionary ، و (٨٩) في Middle English Dictionary ، و (٦١) في The Compact Edition Of The Oxford English Dictionary ، و (٣١) في Collins English Dictionary ، و (٣٩) في The Shorter oxford English Dictionary .

(٨) قد يصل العدد إلى خمسة وثلاثين إذا فرقنا بين حرفي العلّة (الواو والياء) ممدودين وبينهما مقصورين أو متحركين ، وهو الأفضل على ضوء الواقع العملي للإنجليزية ، ونُسقط من حسابنا هنا التأثير العامي على العربية في تخفيف الكسر أو الضم أحياناً ، كما في لفظهم (خالد) مثلاً بتخفيف الكسر على اللام ، بينما يظهر الكسر الحقيقي الثقيل عليها حين يلفظونها منونة (خالدٌ) . ونحن لا ننفي اختلاف اللهجات العربية في إخراج الحروف الصائتة خاصة ، مثلما تختلف اللهجات الإنجليزية ، ولكن المقارنة الآن معقودة بين المسلّمات الرسمية الأساسية والعملية لكل من اللغتين .

(٩) حصلت على هذه الإجابة من طلابي في قسم اللغة العربية من معهد الدراسات الشرقية بجامعة أوكسفورد للعام الدراسي ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ م .

(١٠) انظر مثلاً إلى لفظ الكلمات : Biscuit – Turtoise – Awry – Chaos – Diarrhoea – Queue.

(١١) انتزعت هذا الشاهد من بحثي غير المنشور (التاريخ المجهول للعروض العربي على ضوء مقارنته بالعروض الصيني) .

(١٢) من غير أن يعني هذا ، كما أسلفنا ، أية أهمية للنبر العربي مهما كان موقعه من الكلمة ، ولن يؤاخذ أبداً من يتجاهل النبر على الدال في (صمدا) أو القاف في (اتلقا) من البيت المذكور .

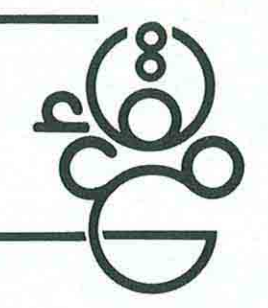
(١٣) قد يكون مصطلح « النبر المعنوي » كافياً ، ولكننا نفضل الابتعاد عن كلمة « النبر » حتى لا يكون هناك أية ثغرة لتسرّب الاختلاط من جديد بين النوعين ، ولعلّ تسميتنا له بـ « **النبض** » أكثر سلامة وأشد تأكيداً على العلاقة المعنوية الحية فيه بين اللفظ والمعنى .

(١٤) جاء في الصفحة ٩٣ من الموسوعة الفنية البريطانية The Arts And Entertainments إحصاء لأطول الكلمات في أشهر لغات العالم ، وكانت هذه الكلمات (٢٢) حرفاً في الإنجليزية المستعملة اليومية (٣٧ حرفاً في الإنجليزية النظامية و ٥٢ حرفاً في بعض المعاجم والروايات) ، و (٢٥) في الفرنسية ، و (٢٦) في الإيطالية ، و (٢٧) في البرتغالية ، و (٣٨) في الروسية ، و (٤٧) في التركية ، و (٨١) في الألمانية (٣٤ في الألمانية اليومية المستعملة) ، و (٩٤) في السويدية ، و (٤٩) في الهولندية .

(١٥) إضافة إلى ذلك ، يولي مدرّسو الإنجليزية في الغرب عنايتهم لما يسمّى (intonation) أي (**الترنيم**) أو (**التنغيم**) ، ويعرّف على أنه « درجات اللحن أو النغم في الجملة ، وارتفاع الصوت أو هبوطه حتى نقطة الصمت في نهايتها ، أو هو تشديد لحن القول أو تخفيفه في أصوات أو كلمات محددة » . ويركّز الإنجليز في تخاطبهم على هذا الجانب من اللغة ، وربما لم يفهموا العبارة إذا خرجت عن قواعده ، أو ربما عدّوها ــ إذا فهموها ــ خروجاً على اللباقة ، مما يضيف صعوبة جديدة إلى قائمة صعوبات اللفظ الإنجليزي .

(١٦) لم أقابل حتى الآن من يتكلّم الإنجليزية بإتقان الإنجليز ، إلا من ولد أو نشأ منذ طفولته بينهم ، وما يزال المرء قادراً على أن يميّز في إنجلترا اليوم لهجة الإنجليزي الهندي المولد أو الإنجليزي الصيني المولد أو الإنجليزي الجامايكي المولد أو الإنجليزي المصري المولد ، كل بلهجته الخاصة المطبوعة بطابع لغته الأصلية ، رغم العقود الطويلة التي أمضوها في موطنهم الجديد هذا ، على حين تستطيع أن ترى طلاباً فتياناً من الإنجليز يتكلمون العربية كأهلها تماماً لدرجة تُشعرك أنهم مواطنون عرب (أضرب مثالا على ذلك الطالب الصديق فيليب كندي من كلية بمبروك في أوكسفورد وقد أتقن اللهجة المصرية تماماً بعد عام واحد من إقامته في القاهرة) .

★ أراد قول امرئ القيس (غدائره مُسْتَشْزِرات إلى العُلا) وإنما عابوا عليه اجتماع (السين) ، و (الشين) متواليتين مما أحدث تنافراً لدى قراءة الكلمة . (المجلة) .





الدكتور :
عمر فروخ

أجرى الحوار :
علي عمر عسيري

والتاريخ .. والأدب



لقاء

** الفرد الذي لا يحسن التعبير اللغوي لا يمكن أن يعبر عن فكره ..

الفكر .. واللغة

● قلتم في أحد كتبكم: إن الفكر حركة عقلية لا تجري في التاريخ مستقلة .. هل يعني ذلك أن التاريخ عطاء الفكر وحده؟

●● إن الفكر وجه من وجوه النشاط الإنساني كاللغة والفن والعلم والسياسة. ولا يمكن أن يكون وجه من هذه الوجوه مستقلاً عن الوجوه الباقية. وكلما كانت وجوه النشاط الإنساني أكثر اتساعاً وأكثر عدداً وأكثر رقياً، كان كل وجه من تلك الوجوه أفضل. **إن الفرد الذي لا يحسن التعبير اللغوي لا يمكن أن يعبِّر عن فكره تعبيراً واضحاً، ولا يمكن أن يفكِّر تفكيراً سليماً.**

من أجل ذلك ليس عندنا فكر عربي (وإن قلنا نحن ذلك في بعض الأحيان تجوزاً)، ولا فكر يوناني أو صيني أو ألماني أو فرنسي .. ولكن هنالك فكراً عند اليونان (يعبِّر عنه صاحبه باللغة اليونانية)، وفكراً عند العرب (يعبِّر عنه صاحبه باللغة العربية).

ثم إن علينا إذا نحن ألفنا في تاريخ الفكر عند أمّة، أن نجعل تأريخ ذلك الجانب من الفكر في إطار الفكر عن الأمم المجاورة لتلك الأمة.

بينه .. وبين بروكلمان

● كتاب «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان، وكتاب «تاريخ الفكر العربي» للدكتور عمر فروخ .. هل يلتقيان في موضوعهما؟





★ الشابي ★



★ ابن خلدون ★



★ بروكلمان ★



★ هوميروس ★

●● أنا أعتمد في ترتيب كتبي منهجاً يشبه منهج كارل بروكلمان في ترتيب كتاب (تاريخ الأدب العربي ـ باللغة الألمانية).

هنالك فرق أساسي بين كتابي «تاريخ الأدب العربي» (ستة أجزاء)، وكتاب بروكلمان .. إن بروكلمان يقصر جهده على تراجم الأدباء وعلى سرد كتبهم المخطوطة والمطبوعة. وقلّما أشار بروكلمان إلى خصائص العصور.

ولكني أوافق بروكلمان في أمور منها أن كتابي مبني على التسلسل التاريخي، وأني أعدّ التعبير البارز في التاريخ أو في العلم وجهاً من وجوه الأدب. وفي كتابي نماذج وافية من أدب الأدباء، ولم يكن من منهج بروكلمان أن يورد للأدباء الذين يترجم لهم نماذج من آثارهم.

علم الكلام

● من المظاهر الفكرية في العصر الأموي نشأة «علم الكلام» .. إلى أي حد بلغ هذا العلم من التطور في عصرنا الحاضر؟

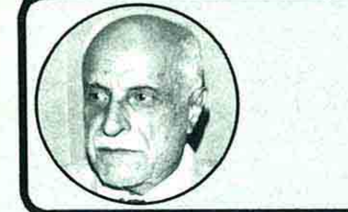
●● علم الكلام هو في الحقيقة نزاع عقلي بين المنطق الشخصي في الإنسان والمسلك العام في الجماعة. **وابن خلدون** يجعل ذلك الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية. وبكلمة أخرى؛ أيُّ أصحُّ في سلوك البشر: أفهمُ القاعدة أم العمل بها؟.

لقد كان علم الكلام في العصر الأموي ضرورياً لجدال المسلمين الجدد الذين كانوا ينتقلون من اليهودية أو النصرانية أو المجوسية إلى الإسلام وهم يحملون بقايا من أديانهم الأولى يرونها مختلفة جداً مما عرفوه في الإسلام، (مثلاً: تعدد الآلهة في الديانات القديمة في مقابل الوحدانية الخالصة في الإسلام). ثم استقر الإسلام عند هؤلاء فبطلت الحاجة إلى علم الكلام كما يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ). والذين يجادلون اليوم جدالا دينياً آلياً نظرياً يقلقون اطمئنان أنفسهم واطمئنان من حولهم. **إن الفهم وسيلة إلى إحسان العمل. أما التفلسف فيما لا حاجة به إلى التفلسف (لوضوحه) فلا فائدة منه.**

مع الشابي

● برز اهتمامكم بالشاعر التونسي الشابي من خلال كتابتكم عنه .. ما سر هذا الاهتمام؟

●● أنا أحببت أن أرى الشابي في ضوء



** الإلياذة .. عمل لا قيمة له من الناحية الفنية الأدبية ..

بيئته الصحيحة إنساناً شاعراً عبقرياً في بيئة مضطربة : في بيئة شخصية فقيرة وفي بيئة عامة مقهورة (من الناحية السياسية) ، وهم كانوا يريدون أن يروا فيه بطلاً قومياً ، غنياً في أسرته ، ومصلحاً في بيئته . والواقع أن الشابي كان صدى لآلام نفسه ولآلام قومه ، وقد مات قبل أن يدرك سبيل الإصلاح في الأفراد والأمم . ثم كان سلوكه الشخصي بعيداً عن ذلك كله .

الجوائز الأدبية

● هل هناك دلالات أو مؤشرات في تاريخ الأدب العربي لما يمكن أن نسميه جوائز أدبية ؟

●● طبعاً ! إن تعليق قصيدة الشاعر الجاهلي [على أستار الكعبة أو تعليقها في الذهن : أي حفظها غيباً] كان تشجيعاً معنوياً . وأما عطايا الخلفاء والأمراء للشعراء (فيما بعد) فكان تشجيعاً مادياً . وكان اتخاذ الخلفاء شاعراً «تتويجاً» لجهود الشاعر : **الأخطل شاعر عبد الملك بن مروان في بني أمية ، ثم أبو تمام شاعر المعتصم ، ثم أبو نواس شاعر هارون الرشيد وابنه الأمين ، ثم المتنبي شاعر سيف الدولة** والمفضل على مائة شاعر كانوا في بلاط حلب (مع العطايا الكثيرة) كله وجه آخر من الجوائز التشجيعية . **وكانت عطايا الخلفاء تسمى جوائز .**

الشك والتشكيك

● قضية الشك أو التشكيك في الشخصيات الأدبية ابتداء بهوميروس ومروراً بشكسبير .. ما رأيكم فيها ؟

●● إن أخذ بعض الشعراء من بعض (قليلاً أو كثيراً) أمر معروف . وتهمة السرقة ونحل الشعر (نسبته إلى غير قائله) أمر معروف منذ الجاهلية عندنا .

والعالم في ذلك يقول : إن **هوميروس** كان منشداً لما نسميه «**الإلياذة**» ، وهي مجموعة من الأناشيد لعدد من الشعراء فيما يبدو . ولعل فيها عدداً من الأناشيد نظمها هوميروس نفسه . **وكان شكسبير متهماً بأن رواياته من صنع فرنسيس بايكون . وليس هذا بصحيح على الوجه الذي قالوه .** ثم إن تهمة **أبي فراس للمتنبي** في حضرة سيف الدولة بأنه سرق معانيه من الشعراء السابقين معروفة ، ولكنها باطلة . لقد كان في المتنبي عبقرية لم تكن لغيره ، وإذا كان قد أخذ من غيره ، فإنه قد أحسن التعبير عما قال أكثر من غيره .

ترجمة الإلياذة إلى العربية

● الإلياذة .. لم تترجم إلى العربية إلا مؤخراً .. بجهود سليمان البستاني .. ما الأسباب .. وهل يمكن أن يتخلص الأدب العربي من سيطرة التقسيم الأوروبي .. والأسر الأرسطي ؟

●● إن نقل الإلياذة على يد سليمان البستاني من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية عمل جبَّار ولكن لا قيمة له من الناحية الفنية الأدبية (وإن كان ذا قيمة تاريخية ثقافية) . لقد كان الأحرى بسليمان البستاني أن ينقل الإلياذة نثراً (لأنه لم يكن شاعراً) . والعرب لم ينقلوا الإلياذة لأسباب كثيرة : كانت صورها وثنية ــ لم يشعروا أنها في مستوى شعرهم العربي (بعد أن عرفوا خبرها) ــ لم يكونوا على معرفة باليونانية توجب لهم براعة في نقلها ، لم يكن الأدب العربي أدب مطولات ، فالشاعر العربي كان شاعر لمحات أكثر منه شاعر معالجة طويلة .

الأدب الجديد

● التطور الأدبي أخذ أشكالا جديدة في أدبه ونقده .. كالأدب الغامض ، والرمزي والسريالي .. هل رصدتم هذا التطور بشيء من التقنين ؟

●● لقد حل النقَّاد العرب هذه المشكلة . في الأدب العربي ــ كما في كل أدب آخر ــ أشكال من التعبير : فالغموض في التعبير والتعبير الرمزي والتعبير الخيالي أمور عرفها العرب منذ الجاهلية (وذكروها في الأمثلة على علوم البلاغة . ثم كان الأدب الصوفي ذروة لكل تلك الأشكال) . ولكن العرب أحبوا تلك الأشكال في البيت بعد البيت من القصيدة ، ولم يرغبوا في ذلك في القصيدة كلها . فمن هؤلاء الشعراء : **مسلم بن الوليد ، وأبو تمام ، وعمر بن الفارض ، ومحيي الدين بن عربي .**

البحث عن شباب

شعر: د. عبدو مسوح

أفنيتَ عُمرَكَ بالعذابْ ... وَرَجعْتَ تبحثُ عن شباب؟!
مرَّ الزمانُ ولَنْ يَعودَ ... فلا رجاءَ ولا إياب
وَهَبِ الشبابَ يعودُ يوماً... هل تعودُ لك الصُّحاب؟
ماتوا وأفنى جسمَهُمْ ... ثِقَلُ الحجارةِ والتراب
تلك الحياة كما عَهِدْتَ تكَشَّفَتْ عن ألفِ ناب
كُنّا إذا غنّى الهزارُ نَهشُّ للنغم المُذاب
واليومَ نأنسُ بالجوى ... ويُثيرُنا صوتُ الغراب
عاتبتُ دهري آسفاً ... وَيَئستُ من طُولِ العتاب
وظَلَلْتُ أسألُ جاهداً ... وطفِقْتُ أطرُقُ كلَّ باب
تلك القبورُ بصَمْتِها ... ردَّت إلى قلبي الجواب
قالت: هي الدنيا سرابٌ خادعٌ يتلو سراب
أين القصور وشأنها؟ ... أين المدائنُ والقِباب؟
أين المجالسُ تزدهي؟ ... أين الأحبةُ والدُّعاب؟
مرَّتْ كحُلْم شاردٍ ... وتناثَرَتْ مثلَ الضباب



** موسم الجوائز الأدبية العالمية :

السامورانة ** ورواية الاعترافات


★ السامورانة ★

بقلم :
محمود قاسم

يبدأ موسم الجوائز الأدبية في العالم في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من كل عام ، حيث تبرق الأكاديميات الأدبية من خلال وسائل الإعلام وعلى فترات منتظمة برقيات بأسماء الفائزين بالجوائز العالمية الهامة في جميع الأنحاء . وعندما ينتهي شهر ديسمبر (كانون الأول) تكون جميع أسماء الفائزين بهذه الجوائز قد أعلنت . ومع مطلع العام الجديد تبدأ الأكاديميات في العمل من جديد ، حيث تتكدس الكتب الجديدة في مكاتب أعضاء لجان القراءة كي يقوموا بقراءتها واختيار الفائز في العام الجديد .

وقد كثرت هذه الجوائز وتعددت الجهات التي تصدرها . لكن الكثير منها يتمتع بسمعة طيبة . فهناك لجان تتكوّن عضويتها من أبرز الأسماء الأدبية الجادة في المجال الذي تمنح فيه الجائزة . وإذا كانت **جائزة نوبل** قد أثارت حولها الأقاويل دائماً وهي تمنح جائزتها في الأدب لاعتبارات لم يذكرها **ألفريد نوبل** في وصيته من حيث بعد الجائزة عن السياسة والتعصب ، وأن تمنح لمن يقدّم أدباً له صبغته الإنسانية ، إلا أنها الآن تعتبر جائزة غربية أكثر منها عالمية .


★ فرانسوا باستيد ★


★ فرنانديز ★

ومن هنا جاءت أهمية الجوائز الأخرى التي تمنح بعيداً عن **أكاديمية استوكهولم** ، وخاصة تلك الجائزة التي نتحدث عنها في هذا المقال . فهي جائزة غريبة الشكل . . حيث لا تمنح إلا لنوع معين من الأدب . وهي تمنح عالمياً رغم أنها فرنسية . . هي « **جائزة مدسيس** » كما ينطقها الفرنسيون ، أو « **ميدتش** » كما تنطق في إيطاليا حيث أصل هذه التسمية . وتقوم بمنحها أكاديمية أدبية تحمل نفس الاسم . أكاديمية قديمة نسبياً مثل بقية الأكاديميات الأخرى التي تمنح الجوائز الآن في العالم مثل أكاديمية استوكهولم وجونكور ورينودو وڤيينا . فعمرها يزيد عن الاثنين وستين عاماً الآن . **وهي لا تمنح إلا للأدب التجريبي** . ذلك الأدب الذي يسعى إلى تقديم شكل جديد غير مألوف مع الاحتفاظ بالجدية والجدة ، وخاصة في الصياغة . **لأن المشرفين على هذه الجائزة يرون أن كل الموضوعات الدرامية قد استهلكها الأدباء وأن الصياغات الجديدة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعيد للأدب حيويته . ومن هنا تنبع أهمية هذه الجائزة .**

تاريخ الجائزة

وقد أسست هذه الجائزة الكاتبة **جالا**

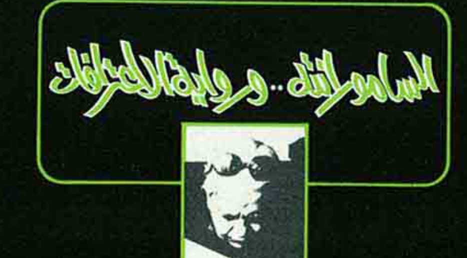
برتيزان التي تتولى رئاسة لجنة التحكيم منذ عام ١٩٥٨ م، وعدد أعضاء هذه اللجنة يبلغ اثني عشر عضواً يقومون بقراءة الروايات التي صدرت باللغة الفرنسية ــ سواء المؤلف بنفس اللغة أو المترجم إليها ــ طيلة عام. وفي أواخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام تعلن رئيسة الأكاديمية اسم الفائز.

ولو نظرنا إلى أسماء لجنة التحكيم السنوية لأدركنا مدى أهميتها. فمن أعضائها **آلان روب جرييه وميشيل بيتور** صاحبا مدرسة الرواية الجديدة.. أو كما اصطلح على تسميته **باللارواية**. وهناك **كلود مورياك وكرستين دي ريفوير ومارت روبرت وفرانسوا ريجي باستيد ودومنيك فرنانديز**. وقد تبدو بعض الأسماء غريبة على مسامعنا إلا أنها تحظى الآن بشهرة عريضة في الأوساط الثقافية في أوروبا كلها.

وكل هؤلاء الأدباء دون استثناء يكتبون الأدب الجديد. وقد سبق للكثير منهم أن فاز بجوائز أدبية أخرى تمنح في فرنسا مثل ميشيل بيتور الذي حصل على جائزة **رينودو** وجائزة النقد الأدبي عن إبداعه. وباستيد الذي فاز **بجائزة فيينا** وجائزة النقد الكبرى. وفرناندیز الذي فاز **بجائزة جونكور**.

والجائزة تمنح أدب الكاتب أهمية خاصة إذا كان مصدر الجائزة موثوقاً به. فمطلوب للاتجاهات الجديدة في الإبداع الروائي أن يكون هناك من يفهم في هذا الإبداع ويؤيده ويدافع عنه. فلهذا الأدب لغته الخاصة به ومفاهيمه الجديدة. ولا يمكن للناقد التقليدي أن يقوم بالتحكيم فيه لأنه حتماً سيرفضه. ولذا فإن أعضاء لجان التحكيم جميعاً من الذين أسهموا في

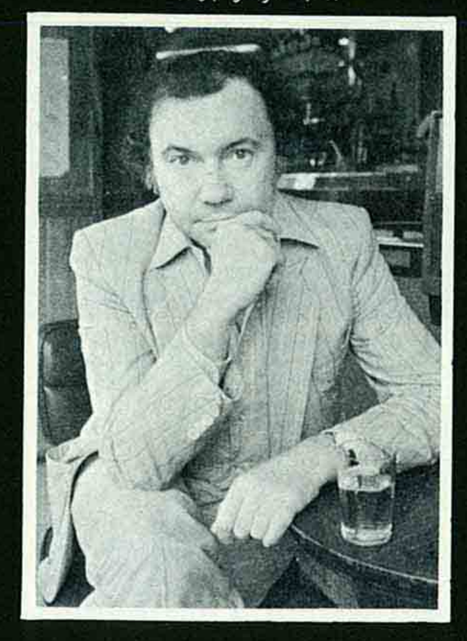

★ اليوكار بينتر ★



تعضيد هذا الإبداع الجديد ويسعون إلى المزيد منه.

وأكثر الذين حصلوا على هذه الجائزة في السنوات الأخيرة من غير الفرنسيين. مما يبين أن الرواية الجديدة لها فرسانها الكبار خارج فرنسا. وفي عالمنا العربي فإن هذه اللارواية تنتشر ببطء شديد وتحتاج إلى مثل هذه الجائزة. ومن أبرز الذين حصلوا عليها في السنوات الأخيرة نجد أن **مارك كلودتكو (إيطاليا)** قد نالها عام ١٩٧٧ م، عن رواية «**ولايات الصحراء**». وفي عام ١٩٧٨ م، حصل عليها **جورج بيريك (فرنسا)** عن رواية «**الحياة نموذج وظيفي**» ــ (انظر «**الفيصل**»، العدد ٨٤) ــ. وفي عام ١٩٧٩ م، منحت للكاتب **اليوكار بينتر (كوبا)** عن رواية «**آلهة الهارب والظل**». ومنحت لرواية «**الأجانب**» عام ١٩٨٠ م، للفرنسي **جان**

★ جان فرانسوا جوسلين ★



لوك بينوز جلڤيو الذي يقول: «منذ أن منحت جائزة مدسيس تحسن وضعي ككاتب لأن الجائزة وفرت لي آلاف القراء الجدد. وتلك هي القيمة الوحيدة للجائزة». أما **فرانسوا أوليفي روسو** التي نالها عام ١٩٨١ م، فيقول: «لقد سعدت كثيراً عندما منحت الجائزة. إني أحلم بها منذ أعوام. منذ كتابي الأول وأنا أفكر في الجائزة لأني لا أثق بالقراء. إن عدد القراء الحقيقيين لا يتجاوز عشرة أو خمسة عشر ألفاً في فرنسا. أما الآخرون فهم بكل وضوح قراء بالصدفة. وأنا عاجز عن تأليف كتاب يباع منه أربعون ألف نسخة دون جائزة تدعمني».

وفي عام ١٩٨٢ م، منحت لاثنين هما **جان فرانسوا چوسلين** عن روّاية «**النار والشركة**»، وللإيطالي **امبرتو اكو** عن رواية «**اسم الوردة**». وفي عام ١٩٨٤ م، منحت للكاتبة الإيطالية المعروفة في عالمنا العربي **السا مورانته** عن روايتها «**أراكولي**».

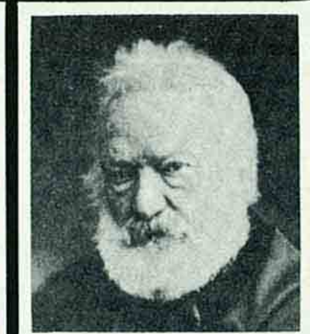
وتنبع أهمية هذه الجائزة بالنسبة لنا لأنها تعبّر عن الشعبية التي ينالها هذا النوع من الأدب الأقل قراءة في عالمنا العربّي، والأكثر وجوداً في الغرب. وقد صرح چوسلين أنه سعيد بهذه الجائزة لأنها تؤكد أن الرواية الجديدة تجد فرسانها يوماً وراء يوم وقراء جدد وليست كما تصور البعض أدباً هامشياً في عصرنا.

السيرة

أما هذه الرواية التي فازت بها السيدة السا مورانته فقد نشرت في إيطاليا أول مرة في أواخر

★ جورج بيريك ★





★ فيكتور هوجو ★



★ ألبرتو مورافيا ★



★ بازوليني ★

عام ١٩٨٢ م ، ثم ترجمت إلى اللغة الفرنسية مع أوائل عام ١٩٨٤ م .

والسا مورانته شاعرة وروائية وكاتبة مسرحيات تبلغ الآن سبعين عاماً من عمرها .

سبق أن تزوجت من الكاتب المعروف **ألبرتو مورافيا** ، وعاشت معه سنوات طويلة وتأثرت بكتاباته . ثم ارتبطت ـ فيما بعد ـ بصداقة عميقة مع الشاعر المخرج الروائي **بيير باولو بازوليني** . ومن أشهر رواياتها « **البؤساء** » التي استقتها من **فيكتور هيجو** وفيها تتكلم عن فتاة غير شرعية تدعى إيدوزا ولدتها أمها بعد أن اغتصبها أحد الجنود النازيين .

وفي كتابها « **التاريخ** » الذي نشرته عام ١٩٧٤ م ، تتحدث أيضاً عن نفس الفتاة وعن نفس جريمة الاغتصاب . وهي حكاية أقرب إلى الرواية التي صاغها ألبرتو مورافيا بعنوان « **امرأتان** » ، الذي يصرح أنه استمدها بالفعل من أحداث حقيقية . وقد ذاع صيت هذه الرواية بعد أن تحولت إلى فيلم سينمائي قامت ببطولته **صوفيا لورين وجان بول بلموندو** .

وفي هذا الكتاب أكدت السا مورانته على مرحلة من تاريخ إيطاليا المعاصر وبعض الشخصيات التي أثرت في هذا البلد وأحداث هامة شهدها مع الحربين العالميتين . وقد بيع من هذا الكتاب (٦٢٠) صفحة أكثر من خمسين ألف نسخة ، وقيل إن مورانته قد فاقت مبيعات كتبها الكاتبة المعروفة **بربارا كارتلاند** التي عرفت بأعلى أرقام مبيعات في العالم .

أما روايتها « أراكولي » فهي تنتمي إلى أدب الاعترافات . وهذا اللون من الأدب منتشر الآن في العالم بصورة تلفت النظر . . ويرى مؤلفو هذا الأدب أنه لا يوجد أقرب للإنسان من ذاته يعبّر عنها وعن نقائصها وكوامنها . . وأن الحكايات الشخصية للكاتب قد تصبح في بعض الأحيان أكثر غرابة من حياة أبطال الروايات الخيالية . . ويبدو أن هناك علاقة بين المرأة التي اغتصبها أحد الجنود النازيين وبين السيدة السا مورانته حيث تتحدث في روايتها الجديدة عن نفس المرأة .

وتبدو مورانته معجبة برواية « **الغثيان** » لجان بول سارتر وبطلها **روكنتان** الضائع في شوارع باريس الذي يندمج داخل رجل من أيام نابليون يقوم بإعداد بحث عنه . . إلا أنه مصاب دائماً بحالة من القرف مفادها أنه لا يستطيع أن يتأقلم مع العالم الذي يعيش فيه . أما إيمانويل فهو روكنتان جديد . ضائع في شوارع ميلانو .

يتذكر أمه وماضيها الذي يتناثر من هذه الشوارع . يرحل جواً إلى **إسبانيا** ، أو كما تسميها الكاتبة أرض الأندلس ، باحثاً عن الجذور الحقيقية لأمه في إحدى القرى . . لقد كان اسمها أراكولي . إنها ابنة إحدى الفلاحات التي زوجتها من ضابط بحري ، ثم ذهبت لتعيش في إيطاليا .

وهذا العالم الواسع الممتد يميناً وشمالا تصوغه الكاتبة من خلال ليلة واحدة في شهر فبراير (شباط) عام ١٩٧٥ م ، يرحل فيها إيمانويل إلى إسبانيا . كانت البلاد في تلك الفترة تعيش في ظل السنوات الأخيرة لحكم الجنرال فرانكو . والمرأة لا تحب لابنها أن يبحث عن علاقاتها القديمة التي تحتفظ بصور لها فوق سلم المنزل . . لذا فإنها ترجوه أن يكتب عن أبيه . . فهي بالنسبة له مثلما كانت **بنليوبي** لزوجها **أودسيوس** . . كان يرحل دائماً . . يجوب البحار . . هي تنتظر . . وهو يرحل ويعود ليجدها تغزل له ملابس جديدة وتربي له ابنه . . تطلب منه ألا يصدق الصور والشوارع . . وأن يصدق ما تقول فقط .

وهذه الرواية التي يبدو موضوعها تقليدياً مألوفاً تصوغها السا مورانته في صياغة جديدة . . وهنا الفارق بين كاتب يشد قارئه من أول صفحة مثل مورافيا لمتابعة الأحداث ، وكاتبة مثل مورانته حين تتناول نفس الموضوع فإيمانويل يلجأ إلى عدة مستويات من صياغة الحدث والحركة هنا غير ملموسة إلا في حدود ضيقة . . ويمتزج كل الماضي مع الحاضر مع الخيال والواقع . . ربما في عبارة واحدة . . ترد على لسان الراوي ، أو على لسان أحد أبطال الرواية وهم كالعادة قليلون .

فهذا النوع من الروايات يكون في غالب الأحيان بالغ الخصوصية ، يلجأ فيه الكاتب إلى استعمال لغة خاصة به وحده . . لها مفرداتها وتفسيراتها التي قد تصعب تفسيراتها . . وهذا أقرب إلى الصدق الفني فعلاً .

وقد تبدو صعوبة قراءة مثل هذه الروايات ليس في أسلوب السرد الذي يتبعه الكاتب ، ولكن في المدلولات اللفظية والرمزية التي يصوغها الكاتب في مشاعر وحركات أشخاصه . وربما أن بعض مدلولات هذه الكلمات تكون ذات معنى في لغة ما ، لكنها عند ترجمتها إلى لغة أخرى تكمن الصعوبة في نقل نفس المعنى . وربما أن هذا من ضمن الأسباب التي تصعب فيها ترجمة هذه الروايات إلى لغات أخرى .



الشاعر الصنعاني
أحمد الرقيحي
١٠٨٦ ـ ١١٦٢هـ (١٦٧٦ ـ ١٧٤٩م)

بقلم: أحمد محمد الشامي

أحمد بن حسين الرقَيحي من شعراء اليمن الأفذاذ في القرن الثاني عشر الهجري [الثامن عشر الميلادي] الذين أجادوا صناعتَي الشعر المعروفتَيْن في اليمن وهما « الحكَمي » ، وهو الملتزم بقواعد الإعراب النحوية ، و « الحُميني » وهو الملحون الذي لا يلتزم بقواعد الإعراب ، ويستعمل اللهجة اليمنية وألفاظها الدارجة ، وله أوزانه وموشحاته ومطرّحاته . والقليل من شعراء اليمن هم الذين يجيدون « الصناعتين » قديماً وحديثاً .. ومنهم شاعرنا « الرقَيحي » وله ديوان مشهور جمعه معاصره العالم الأديب أحمد بن حسين الهبل المتوفى سنة ١١٧٦هـ ـ ١٧٦٣م ، واعتنى بنشر قسمه « الملحون » الحُميني مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء بتحقيق وتعليق حفيد الشاعر الأستاذ أحمد بن عبد الرزاق الرقَيحي .

وقد ترجمه الإمام **محمد بن علي الشوكاني** في كتابه « البدر الطالع » ، ج ١ ، ص ٥٢ ، فقال عن نسبته إنها إلى « الرُّقَيح بضم الرّاء وفتح القاف وسكون المثنّاة التحتية بعدها مهملة ، وهو بلدة من أعمال « يَحْصُب » ثم قال : الأديب ، صاحب المقطعات الفائقة الرائعة ، وكان يتعيّش بالصباغة فلا تزال كفّه سوداء كأكفّ الصبّاغين فعوتب على ذلك فقال :

المجدُ في العلم ، والكفُّ المسوّدِ من	فنّ الصّباغة ؛ لا في صحبة الدول
فما سعيتُ إلى هذا وذاك معاً	إلا لأجْمَعَ بين العلم والعمل

انتهى كلام الشوكاني ؛ والبيتان إلى نصاعة البيان ، ولطف التعبير يدلان على همة الشاعر « الرقَيحي » وتقديره للعلم والعمل ، وأن العالِم الحق لا يمرّغ جاه علمه في أبواب ذوي السلطة تكسّباً ، بل عليه أن يحترف أي صنعه تكفل له الرزق الشريف وأجدر أن يكون « الرقَيحي » لسائر طلبة العلم ولا سيا خرّيجي المعاهد العليا في عصرنا هذا مثلاً يُقْتَدى .

ولشاعرنا بيتان لطيفان يقيّدان حكمة بالغة ، ويشيران إلى المثل المتداول في أيامنا هذه الذي يقولون إنه مثل إنجليزي ومعناه « إن كثرة الأعداء تدل على عظمة المعادى » وشاعرنا يقول :

قد بلغت الكمال في كل معنىً ،	ثم ترجو أن تسلم الحسّادا !
أنت أمرضتهم فدعْهم ؛ فمن حق	لئيم الطباع أن لا يُعادى ..

إنه هو نفس المعنى الذي يهدف إليه المثل « الإنجليزي » ، لكن الرقَيحي ـ وأظنه قد قاله قبل أن يخترع الإنجليز مثلهم ـ قد صاغه بطريقة ألطف توحي بأن قلة الأعداء تدل على لؤم طباع المرء .

ومما اختاره الشوكاني من شعره قوله :

هذه الأطماع رجسٌ وبها	سل إذا ما شئت أرباب الورعْ
فاصرفِ الرّاحات عن إمساكها ؛	إنما الرّاحة في ترك الطمعْ

وقوله في اختيار الأصدقاء :

أراك جهلت أصول الرجال	فأنعمت يا عمْرو في شكرها
ولكن من بعد بالاختبار	ستعرف ما الحلو من مرّها
فسل عن معادنها عارفاً	يبين لك الصُّفر من تبرها
فإن الصداقة محتاجة	إلى عارف منتهى أمرها

أصله .. ونسبه

ثم قال الشوكاني : « وكانت وفاته آخر دولة **الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله** » ، ولكن المؤرخ **السيد محمد بن محمد زبارة** الذي حقّق كتاب البدر الطالع قال في الهامش : « وتحقيقاً أن وفاته كانت سنة ١١٦٢ هـ ، في أيام **المهدي عباس** » ، نقلاً عن

« **جامع المتون** » . ثم إن زبارة عاد فترجم لشاعرنا متوسعاً في كتابه « **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف** » ، ص (١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣) وهي الترجمة التي اعتمدناها في هذا الحديث . وقد نقل زبارة عن الحافظ المؤرخ الشاعر الكبير والناقد النحرير **إسحاق بن يوسف بن المتوكل** المتوفى سنة ١١٧٣ هـ ـ ١٧٦٠ م ، وهو من معاصري شاعرنا « الرقَيحي » . إنه قال في كتابه : « **الثغر الباسم** » [مخطوط] عند ترجمته للرقَيحي ما لفظه : « **الرقَيحي الصائدي** ، والرقَيحي بضم الراء المهملة والقاف المفتوحة ؛ ولا أدري إلى أي شيء نُسِبَ ، وأما « **الركَيْح** » **بالكاف فهي قرية باليمن** وهو غير منسوب إليها » . وهذا يناقض ما ذهب إليه « الشوكاني » ، وهو الأرجح في نظري لأن الحافظ إسحاق بن يوسف من معاصري الشاعر ، وأكثر دراية من الشوكاني بالبلدان ، ويتفق وما جاء في « **معجم البلدان** » **لياقوت** بأن « ركيح » بلد ورد في شعر لكثير عزة . ولعل اليمنيين قد نطقوا القاف كافاً كما هو شأنهم في كثير من الكلمات . .

ثم قال صاحب « **الثغر الباسم** » : و « الصائدي » نسبة إلى « الصَّيَد » على غير قياس ، وهي قبيلة معروفة من « **حاشد** » صاحب الترجمة ـ يعني الرُّقَيحي ـ منهم ، وسبب سكونهم في صنعاء ، أن **سنان باشا** قبض على أعيان تلك القبيلة ، وفرّقهم في البلاد إلى « **حضرموت** » و « **الشحر** » وبقي جماعة منهم بصنعاء ، وهذا مستفاد من قول صاحب الترجمة في ذكر قومه :

إذا ما اعتزيت إلى « حاشدٍ »	فقومي الكرام بنو « الصايدي »
وأهلي في « ناعط » جلّهم ؛	أهيل المكارم للوافدِ

وهذا يدل على ما عاناه آل « الرقيحي » من نصب في سبيل وقوفهم ضد الطغيان الذي مارسه « سنان باشا » قائد الحملة العثمانية التي اكتسح بها اليمن سنة ٩٧٦ هـ ـ ١٥٦٩ م ، لإعادة السيطرة عليها ، ودارت بينه وبين **الإمام المطهر بن شرف الدين** الحروب الطاحنة المشهورة .

وأما العلامة الأديب **الشاعر الناقد يوسف بن يحيى المؤيد** مؤلف « **نسمة السحر** » المتوفى سنة ١١٢١ هـ ـ ١٧١٠ م ، [قبل وفاة شاعرنا بحوالي أربعين عاماً] فقد قال عنه مشيراً إلى **صنعته الصباغة** » ما يلي : « فاضل له في الأدب صبْغه ، هي إلى سمو القدر بلغَهْ ، مقاطيعه كمواصلة الأحباب ، تُرتشف لتنوب عن الرضاب » .

وجاء في ترجمته في كتاب « **نفحات العنبر** » للسيد الأديب **إبراهيم الحوثي** المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ ـ ١٨٠٩ م ، ما يلي :

« نشأ بصنعا وشارك في العلوم ، واشتغل بالأدب فَمَهَر فيه ونظم الشعر الحسن ؛ وكان حسن التلاوة للقرآن الكريم ، وأخذ عنه جماعة حسن الأداء والتجويد ، وله ميل إلى التزهد ، ولا يأكل إلا من كدّ يده ، وكان صبّاغاً ، وجمع شعره **الفقيه العلامة أحمد بن الحسين الهبل** في حياته ، وله بعد ذلك شعر واسع ؛ وهو مجيد في جميع أنواع الشعر ؛ مطوّلاته ومقاطيعه ، وله اليد الطولى في الشعر « الملحون » المعروف بـ « **الحُمَيْني** » ، والاشتغال باللطائف والتواري والألغاز والأحاجي » .

ونستفيد من كلام « الحوثي » هذا أموراً منها : أن الشاعر كان مُقرئاً حسن الصوت ، وأستاذاً في علوم القرآن الكريم وتجويده ، وهو ما يفسّر لنا اهتمام آله ، وأحفاده في « صنعاء » وجامعها الكبير بتجويد القرآن الكريم ، وقد ذكر منهم المؤرخ محمد زبارة الفقيه **المقري محسن بن محمد الرقيحي** المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ ـ ١٨٨٦ م ، وابنه الحافظ إمام « جامع صنعاء » **عبد الرزاق بن محسن** المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٦ م ؛ وممّن أدركته وعرفته العارف **الحافظ حسين بن عبد الرزاق** إمام جامع صنعاء وغيره ، وانظر « نزهة النظر » ص (٨٦ ـ ٨٨) .

ومنها أن شاعرنا كان شغوفاً « بالبديع » ومارس بشعره كل أشكاله وأنواعه .

كما نستفيد أن الديوان الذي جمعه « الهبل » قد تناقله الناس في حياة صاحبه « الرقيحي » ، وأن له شعراً كثيراً لم يضم بعد إلى ذلك الديوان المتداول بين الناس ، وهذا ما يحتم على المهتمين بتاريخ الأدب اليمني ـ وعلى حفيده الذي يريد تحقيق ديوانه ـ بصفة خاصة تتبع آثاره والتنقيب عنها وتدوينها .

كما أن « الحوثي » قال : إنه قد بلغ الشاعر في آخر أيامه أن بعض أدباء **كوكبان** يقول : « إن شعر « الرقيحي » قد شاخ » ، فنظم قصيدة ووجّهها إلى السيد محمد بن الحسين بن عبد القادر ومطلعها :

كفاك من الأشواق ما أنت حاملُهْ
ومن دمعك المهراق ما سال سائلُهْ
وما هي إلا أعين وسوالفُ
لآرام واد شاكلتْها عواطلُهْ
ترحّلتِ الأحداج عنك بسحْرة
وقلبك في طيّ الركاب كوافلُهْ
هُمُ سلبوا منك النّهى وترحلوا
بكل غرير عز منك تواصلُهْ
وما ودّعوا إلا احتيالا لسلبه،
وما كل مسلوب تُردّ عقائلُهْ
فإن كنت مغروراً بما يصنع الهوى؛
ففي شرعه أن يغلب الحقّ باطلُهْ

وهي طويلة يقول في آخرها:

وما شاب شعري عندما شاب مفرقي؛
أواخره محمودة وأوائلُهْ
هو التبّر عند العارفين بسبْكه
ولكن يعيب الشيء من هو جاهلُهْ

وقد كرّر الإشارة إلى حرفته «الصباغة» في شعره في «تواري» لطيفة، ومن ذلك غير البيتين اللذين نقلناهما عن «البدر الطالع» قوله:

ولما اعتنقنا سال دمعي بخدّه
وأبديت من سكر الصبابة ما أخفي
وقال عذولي: دع هواه فقد بدا
سواد على خدّيه من موضع القطف
فقلتُ له مهلاً فتلك مدامعي
مسحتُ؛ وآثار الصباغة في كفي!

وقوله مُورّياً بـ«النيل» الذي في كفه من آثار «الصباغ»:

وهيفاء مذ ساومتها في وصالها
فقالت بعطف كامل أي تكميل
وقالت: «أنلْكَ» الوصل ما أنت صانع
إليّ وما تهديه؟ قلت لها: نيلي!

و«النيل» نوع من الأصبغة لتلوين الثياب.

وله في مدح **الرسول صلى الله عليه وسلم** مقتبساً:

لك أن تبسط في مد ح رسول الله عذركْ
ما الذي يحسن في القول.. وإن أمعنتَ فكركْ
بعد قول الحق فيه: «ورفعنا لك ذكرك»؟!

وله في «**الاقتباس**» أيضاً:

لقد جاءني موسى الكليمُ فؤاده
يُسائلني هل بعد بُعدهم يُوسَى
فقلتُ له: إن الحياة مريرة
عليك و«قد أوتيت سؤلك يا موسى»

وقال وفيه «**التوجيه**» بمناسك الحج والعمرة:

قالوا: حبيبك «طاف» سبعاً بعد أن
«لبّى»؛ فقلت: ملامةَ الحساد!
قالوا: و«قصّر»؛ قلت: حبل تواصلي،
قالوا: و«أحرم» قلتُ: طيبَ رقادي!
قالوا: «رمى الجمرات» قلتُ: بمهجتي،
قالوا: «سعى» فأجبتُ طُرْقَ عنادي!.

عصر الرقيحي

ولقد نشأ شاعرنا «الرقيحي» في صنعاء ومجتمعها يزخر بمختلف العلوم والآداب والفنون والتيارات السياسية والمذهبية المختلفة بعد أن تم جلاء العثمانيين عنها واستلم أزمة حكم اليمن **المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم** إثر وفاة أخيه «المؤيد» سنة ١٠٥٤هـ ــ ١٦٤٥م؛ وراية «اليمن الكبرى» تخفق على كل أصقاعها بما فيها «الشحر»، و«حضرموت»، و«عدن». والبحر يحيط بها غرباً وشرقاً وجنوباً، وما إن توفي «المتوكل» سنة ١٠٨٧هـ ــ ١٦٧٧م، وشاعرنا يحبو إلى عامه الثاني، واستلم السلطة أخوه **المهدي أحمد بن الحسن** إلا واليمن مملوءة بالعلماء المجتهدين، والفقهاء المنظّرين، والقادة المحنكين، والشعراء الفحول، والفنانين البارعين. والحق أن القرون الثلاثة: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر للهجرة النبوية، هي الفترة الذهبية علمياً وأدبياً وفكرياً في تاريخ اليمن الإسلامي، وقد أنجبت من الفطاحل والأفذاذ في كل فنون الثقافة نخبة كريمة، وحسبك أن بينهم **القاسم بن محمد وأنجاله الحسن والحسين ومحمد وإسماعيل، والحسن بن أحمد الجلال، وصالح بن مهدي المقبلي، وهاشم بن يحيى الشامي، ومحمد بن إسحق، ومحمد بن إسماعيل الأمير، وعبد القادر بن أحمد، بل وحسين السياغي، ومحمد بن علي الشوكاني**، وأضرابهم من العلماء، كما نبغ خلال تلك الفترة من

الشعراء أمثال **محمد بن عبد الله شرف الدين** ، **وأمير شعراء اليمن الحسن بن علي الهبل** ، **وإبراهيم الهندي** ، **وإبراهيم اليافعي** ، **وأحمد الزغة** ، **ومحمد المرهبي** ، **ومحمد بن هاشم الشامي** ، **وشعبان سليم** ، وأضرابهم ، ووجد خلالها من النقّاد والمؤرخين أصحاب المؤلفات الجليلة كالعلامة **أحمد بن صالح أبو الرجال** ، **والحيمي** ، **وقاطن** ، **ويوسف بن يحيى المؤيد** ، **ويحيى بن الحسين** ، وغيرهم ممن تجد تراجمهم وأسماء مؤلفاتهم في « **البدر الطالع** » ، و « **نشر العرف** » ، و « **نيل الوطر** » ، وهم يعدّون بالمئات ، وما شاعرنا « الرقيحي » إلا أحد نجومهم ، وتلميذ من تلاميذ أفذاذهم . . وقد جرت بينه وبين ظرفاء وشعراء جيله ــ القرن الثاني عشر الهجري ــ محاورات طريفة ، ومراسلات لطيفة ، **وكانت « صنعاء » مدينة أنس وطرب مثلما كانت مدينة علم وأدب** ، وكان بعض العلماء وذوو التقى والورع يشكون ما شكاه أستاذنا العلاّمة الأديب **الشيخ علي الطنطاوي** في إحدى حلقات مذكراته الرائعة التي توالي نشرها **جريدة « الشرق الأوسط »** ، (عدد الثلاثاء ٣٠/١١/١٩٨٢ م) حين ظلّ ساهر العين قلقاً مسهّداً يحمي حسان الوجوه من ذئاب الفساد !! . وكان في صنعاء ولا سيما بين المولدين من الجنسين اليمني والتركي من هو « وضيء جميل » حسب تعبير شيخنا الطنطاوي و « الماكر السيئ المقصد » حسب تعبيره أيضاً ، ولذلك فقد كثر شعراء المجون والمغرمون بما يسمى « **الغزل المذكّر** » شأن شعر كل مدينة تُصاب بالترف ، ولا شك أن بعضه قد جرى على ألسنة بعض شعراء جيل « الرقيحي » مجاراة وتشبُّباً » ؛ ولا سيما والشعراء كما قال الله تعالى **﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾** ؛ وقد كان شاعرنا زاهداً ورعاً حافظاً لكتاب الله ، كما قال من ترجم له من الأعلام ومن عاصره من المؤرخين .

ولشعبان سليم قصائد راسل بها « الرقيحي » مذكورة في دواوينه ، وقد ترجمه « الشوكاني » و « زبارة » ، وهو من شعراء القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ، الفحول ، وكان طبيباً ماهراً ، وفيلسوفاً حكيماً ، وتوفي سنة ١١٤٩ هـ ــ ١٧٣٧ م ، عن أربعة وثمانين عاماً . ولا شك أن شاعرنا قد حزن عليه ورثاه .

شعره الحكمي والحميني

ومن بدائعه قصيدته التي كان الصنعانيون يتغنّون بها وهي تجمع بين الصناعتين : الشعر الحكمي والشعر الحميني في نسق محكم وقد كان بها من « المجددين » وهي :

علمتم بأني في هواكم متيّمٌ ... فصديتمُ والصدّ شيء محرمُ
وهمتم هيامي في سواكم ولوعتي ... بغيركمُ . . يا بعد ما تتوهّموا

توشيح :

لي بدعوى الحبّ برهانْ ... ليس يغني عنه كتمانْ
فيه سرّ الحب إعلانْ ... وعليه الدمع عنوانْ

ومن ذا يضاهي لا عدمتُ جمالكم ... وهذا لسانُ الدهر فيكم يترجمُ
أكابد فيكم واشياً ومفنّداً ... سعى بملامي والملامة تُؤلمُ

توشيح :

كان عهدي بالأحبّهْ ... حافظي عهد المحبّهْ
ويرون الوصل قربَهْ ... ليس فيهم قطّ خوّانْ

توشيح :

حجّبوكْ في الدار أهْلَكْ ... قصدهم ـ أفديكْ ـ أهلكْ
والجوى ـ إن طال ـ أهلكْ ... في الهوى . من عزّ أو هانْ

حرام على قلبي السلو وإن دنتْ ... ديارهمو ، أو أنجدوا ، ثم أتهموا
همُ نصْب عيني حيث كانوا وإن نأوا لهم بين أكناف الضلوع مخيّمُ

توشيح :

بالذي أنشا جمالكْ ... هات : قل لي من أمالكْ !
وثنى عنّي وصالكْ ... كائناً في الناس من كانْ !

وحق الهوى ما حلت عن عهد ودكم ... ولا فهت بالشكوى كمن يتظلّمُ
فإن تقبلوا فالعذر لا شك واضحٌ ... وإلا فسلطان المحبة أحكمُ

هذا ولم نختر شيئاً من شعره « الملحون » الحُميني ولكننا نختم هذه النماذج بالمقطع الأول من قصيدته التي هي آخر ما جاء في ديوانه « الحميني » وهي :

ودّع الشبابْ ... واصرف عن الغيد الحسان طرفَكْ
واصحب الكتابْ ؛ ... كتاب ربّك . . فهو نعم إلفكْ !
ثم قف ببابْ ... الواحد الديان . . ليس تنفكْ ،
ربما تجابْ ... من قبل أن ترفعْ إليه كفّكْ . .

وهو وداع رائع خاشع حزين .

وقد ولد شاعرنا أحمد الرقيحي في غرة ربيع الأول سنة ١٠٨٦ هـ ، الموافق ٢٥ مايو (أيار) سنة ١٦٧٦ م ، وتوفي بصنعاء أيضاً ٢٦ ربيع الآخر سنة ١١٦٢ هـ ، الموافق ١٤ أبريل (نيسان) سنة ١٧٤٩ م ، رحمه الله .



- الكتاب : التعليم في المملكة العربية السعودية . أنموذج مختلف .
- المؤلف : الدكتور عبد الله محمد الزيد .
- الناشر : نادي مكة الثقافي الأدبي . ط (٢) ١٤٠٤هـ . (٢٧٢ ص) .

إن ما قدمه الدكتور عبد الله محمد الزيد في بحثه عن [التعليم في المملكة العربية السعودية] هو دراسة مستفيضة ، وتكملة للموضوعات التعليمية التي قدمت للمؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ؛ في الفترة من ١٢ ـ ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٧هـ . لأنه فيما يبدو يعوز الكثير من المؤتمرين الاطلاع ومعرفة حال التعليم في المملكة : كأنموذج مختلف بمقارنته بنظم التعليم المعمول بها في الأقطار الإسلامية الأخرى . وبما أن فلسفة الأمة السياسية لها الانعكاس الكبير على نظمها التربوية والتعليمية .. وأن فلسفة وسياسة الحكم في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً متكاملاً للحياة .. لذلك فإن هذا الدين سينعكس على جوهر التربية والتعليم .

ومن هنا فقد كانت الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة مستوحاة من تعاليم الإسلام ومبادئه . وكذلك في كل ما يتعلق بالتعليم من أهداف ومناهج ووسائل تعليمية .. وعلى مختلف مراحل التعليم الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية . وإذا كان ثلث هذا الكتاب ـ تقريباً ـ يدور حول تلك الأسس والأهداف والمناهج والمقترحات المستقبلية ـ وهي كل ما تضمنته دراسة الزيد ـ فإن الثلثين الباقيين من الكتاب ، كانا يدوران حول توصيات المؤتمرات للمعلمين والتعليم الإسلامي .

ولقد حملت تلك التوصيات ـ من خلال حلقات ولجان المؤتمرين ـ معظم الأسس والأهداف والمناهج العامة والأساسية للتعليم التي ركز عليها المؤلف في دراسته ؛ بالنسبة لتعاليم الإسلام ، والتقيد بمبادئه وشريعته .

وكنا نرى ـ مثلاً ـ في إحدى اللجان توصيات هامة عن (التعليم والمجتمع) ، تركزت على مبادئ أساسية لقضايا المجتمع والسياسة ، كالتنمية الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية ، ووحدة الأمة الإسلامية ، والديمقراطية أو مبدأ الشورى .

بينما الحلقات واللجان الأخرى لم تخرج عن المضامين للتعليم الديني ، للقرآن الكريم والسنّة والفقة وغيرها من المبادئ الإسلامية الأولى .

ويبدو أن المؤتمرين لم يحسنوا موازنة المعادلة الكبرى بين الدين والعلم ..

وكأن العلم منفصل عن الدين . أو كأن العقل الإنساني الذي أوجد ذلك التقدم العلمي الهائل ، لم يكن من صنع الله مدبر الكون .. لذلك لم نجد اهتماماً كبيراً للعلم ، ودوره في نهضة وتقدم الأمم .. اللهم إلا بعض العبارات تناثرت بإيجاز على الشكل التالي : «ترى اللجنة أن تأخذ الأسس العقائدية في حسابها : احترام الإسلام للعقل والفكر ، ووقوفه مع العلم النافع ، وتوجيه الإنسان لتسخير الكون لمصلحة البشرية وتقدمها وفق مرضاة الله» ، ص ١٨٨ .

وكذلك لم نجد ذكراً لقيمة اللغات الأجنبية في المقررات الدراسية ، مع أننا وجدنا توصيات كثيرة عن تعلم اللغة العربية ، وترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الأخرى .

كما أننا لم نجد أثراً لقضية تخلف مستوى الطالب العلمي والثقافي .. لأن الاهتمام كان منصباً على مستواه وثقافته ومعرفته الدينية : وأية ثقافة أخرى قد تكون مدمرة لحياة ومستقبل الطالب ، ومفسدة لأخلاقه ، ومخالفة لأحكام الإسلام وآدابه .. كالتثقيف الجنسي مثلاً . ص ٢٣٠ .






★ د. عبد الله محمد الزيد ★

التعليم في المملكة العربية السعودية

١٣٩٧هـ

● الكتاب: الجدار الآخر (مجموعة قصصية).
● المؤلف: عبد الله جفري.
● الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ط(٢).

في زاويته وغيرها بصحيفة الشرق الأوسط، يبدو عبد الله جفري فناناً ذكياً، بل لعل ما فيه من حس فنيّ لم يتهيأ كله للظهور ـ في ذلك الثوب الشاعري الأخاذ ـ أمامنا لنعيشه معه وننفعل به في وقت عزت فيه العبارة الحلوة الرشيقة.

أجل عبد الله جفري فنان ذكيّ ما في ذلك شك، وينطوي ذكاؤه على لماحية مبعثها ثقافة اجتماعية سياسية تاريخية واسعة.. والقارئ لمجموعته القصصية «الجدار الآخر» في طبعتها الثانية، لا يجد مشقة في وضع يده على كل ذلك بدءً بمفرداته التي يؤثرها وصعوداً إلى الجملة التي يتفنن في صياغتها، وانتهاءً بالفقرة وإلى الفكرة أو الأفكار في جملتها...

سدر، تاه، انسلخ، انفلت، الأثيري.. تفتت الضلوع، بحيرتا عسل.. هذه البنت أصبحت غرسة في قلبي جذورها تغور في أعماقي لا يمكن اقتلاعها إلا إذا حُفِر قلبي! (ص ١٧).

لقد تسلل هذا الرجل من متاعبه وشطف أفكاره إلى هذا الوادي الحالم ـ في ليلة جمعة ـ ينسى فيها دنياه ليعيش حياة النجوم ويتذوق مرشف القمر (ص ٤٤).

لكنه تكلم، وفي صوته موسيق تصويرية اسمها الألم (ص ٨٠).

وقضم بقلقه وذهوله ساعات من يومه.. جففها تحت أشعة شمس معافاة منتصرة.. حتى إذا ارتمى وهجها وراء قمم الجبال، تلقّف خطواته ثانية، وابتعد حتى عن وجوده (ص ٥٠).

إن كل الناس يعانون الفرقة والانفصام، والابتعاد عن الآخرين، وعن أنفسهم. أما أن نحاول تفتيت ذلك الابتعاد فنفوس الناس جبلت على قطيعة المشاعر (ص ١٧).

هذا هو عبد الله جفري بأسلوبه وقاموسه اللغوي وتفكيره.. هذا هو عبد الله جفري بشخصيته في كل نزوعاتها.

إنسان مهيأ لأن يكتب قصة ناجحة ـ فكل أدوات القاصّ متوفرة لديه ـ إلا أنه لم يكتبها حتى سنة ١٣٩٠هـ، بمقاييس القصة القصيرة الخاصة.. إنما كتب بطريقة شكيب الجابري، أو عبد الحليم عبد الله في لقيطة ـ مثلاً ـ أو أمين يوسف غراب مع فارق الثقافة التي في صفّه.

أي حكاية لها مقدمة ـ كأنها مقال ـ يمهد بها للسرد الذي يعتمد الإثارة، أو التشويق القائم أساساً على طاقة إخبارية فذة.. ويحكمه ويحكمها بناء لغوي موات على نحو لافت وآسر!

ويجب أن نلاحظ بادئ ذي بدء أن هذا ليس شجباً لفنية جفري، ولا هو أيضاً حطّ من عنايته بالواقع في إطاراته الوجدانية.. وإنما هو تقويم لأعمال يقف صاحبها بها عند مرحلة محددة من حياته على حدود الظاهر، وبلا نجاح لافت في استبطان الشخصية أو استكناه عمقها، والقصة ـ في شكليها التقليدي والنقيض anti-story ـ لا تنهض فنياً إلا بالتحليل المتغلغل في أغوار النفس الإنسانية.

ومن هنا أو على هذا النحو تتشكل القصة، والقصير منها بوجه خاص.. وجفري قد يفلسف الموقف (ما يحبوك البنات، وقشور الرّمان، وعصا الجنون)، وقد ينقد أو ينقض المضمون الاجتماعي، وقد ينجح أو غالباً ما ينجح في بناء الشخصية وتنميتها، إلا أنه يظل يفتقد الإطار المناسب ولا سيما إذا عني برصد طفوليات الفكر ومراهقات السلوك أو فلنقل يمارس حلماً من أحلام اليقظة لا يرق إلى مستوى التفكير المثقف.

وإلا فماذا نقول في مشرفة اجتماعية ـ الآنسة نادية ـ تراود شاباً عن نفسه فيرفض «آنسة نادية.. ترحيبي بصداقتك لا يمنعني أن أقول لك يجب أن تحافظي على مستوى التقدير عندي لك»




★ عبد الله جفري ★

ص ٣٣ فتكيد له ، ولكنه يتحملها برومانسية فادية ـ فهو لا يبغي لها الفضيحة ـ ولا يتحمله مديره بواقعية غبية فيفصله!

هذه هي حبكة قصته «أبعاد» وتشبهها تماماً حبكة قصته «حيث تموت الحياة من جديد» ...

مشادة كلامية بين ممرضة وشاب يصاحب صديقاً له في مستشفى..

بطبيعة الحال تنتبه إليه الممرضة وينشأ نوع من الانسجام بينهما ، وعندما تبحث عنه في اليوم التالي يقدم لها الصديق رسالة منه جاء فيها «... لا تبحثي عني فأنا عائد من جديد» ويختم بقوله «وسقطت الورقة من يدها.. وسقطت نظراتها من حافة النافذة على أرض الشارع إلى حيث تموت الحياة.. من جديد» ، ص ٧٦.

وأما «قشور الرمان» ـ والقشور هنا تعني النفاية ـ فعن بدوية من وادي ليه.. وما أكثر القصص التي قرأتها ـ بالحبكة نفسها ـ عن الفتى المدنيّ الذي يرتاد البادية فيؤخذ بالبدوية الشابة الفاتنة! علاقة سريعة تنشأ لتنتهي ، ولكن جفري ينهيها على قاعدة وجود التفاوت الحضاري الذي يعقد الموقف.. ثمة إضافة ، ولكن التركيز كان على ذلك الحس ـ له لون لازوردي ـ بالمرأة الجميلة!!

و«الغريب» شريحة سينمائية ـ من النوع الفانتازي ـ لا شيء فيها إلا جمال قلمه حين يصف ، وإلا إهداؤه إلى الصديق الكبير الذي علّمه وهو يرويها ـ أي قصة الغريب ـ شيئاً كبيراً هو معنى وقيمة.. ولو لم يصرّ متعمداً على المعنى الإنساني بتلك السطحية لجاءت القصة في بعدها الاجتماعي البسيط والمؤثر مع ذلك ، لا بقيمة الوفاء فحسب ـ فهذا مفروض بين أي زوجين ـ وإنما بكل ما في الإنسان من قيم فارهة..

أهمها الحبّ الذي فلسفه ص ٩٨ ، ٩٩ ، والحب وحده ـ وليس الابن ـ هو الذي أبقى على الزوج بجانب زوجته التي أقعدها الشلل في عربة يدفعها الزوج.. العاشق!

ماذا ينقص هذه القصص؟

شيئان: من ناحية المضمون.. العمق ، والابتعاد عن أحلام الرومانسيين.

ومن الناحية الشكلية.. شيء واحد جوهري هو الحبكة ـ ولا أعني العقدة ـ وبخاصة أن جفري يبني قصته البناء التقليدي الذي يتطلّب التوازن الكامل بين الحدوتة والشخصية واللغة ـ

ودعونا من عنصر الزمن واشتراط وحدته ـ ثم النهاية التي تبلور قيمة الموقف أو الأزمة أو القضية من منطلق أن القصة في جملتها احتجاج!

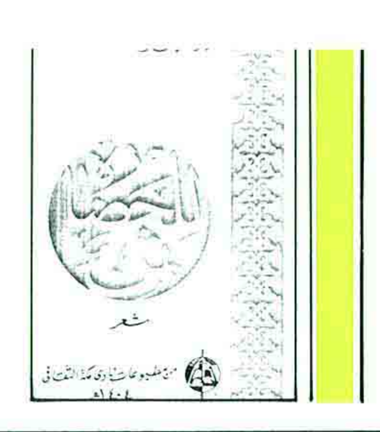
وفي ظننا أن قصة واحدة ظفرت بتلك الحبكة وبإحكام ، هي «عصا المجنون».. ربما لأنها من نوع قصص الشخصيات ، وتذكر معها ـ إلى حدّ ما ـ قصته المؤثرة «ما يحبونك البنات ، إنها حقيقة الجدار الآخر» ،

ومن ورائه أو أمامه تلعب المرأة الدور المدمّر دون أن تدري ـ ولعلها تدري كزوجة الأب القاسية ـ فيفقد الطرف الآخر توازنه ثم هويته ثم تحتاج القصة إلى التشريح السيكولوجي الذي يحدد مدلولات الأزمة.

ولم يسعدني الحظ بمتابعة جفري في «حياة جائعة» ـ أولى مجموعاته القصصية ـ ولا في «الظمأ» التي وصفت بأنها أكثر إتقاناً.. غير أني أعلم أن القصة طالما كانت احتجاجاً تحتاج دائماً إلى القلم المشرّح وليس إلى القلم المسجّل ، إذ لا بد من مصالحة لخلق التوازن أو التوافق مع المجتمع الذي تحكمه التقاليد والطقوس مناط التشريح.

ومن ثم لا يحق للقاص الجاد أن يعنى بمأساة الوجود الفردي فقط ، فذلك لا يفضي إلا إلى غنائية حتى ولو أثقلت بك هموم البشر!





● الكتاب : للحضارة ثمن (ديوان شعر) .

● المؤلف : عبد الله محمد جبر .

● الناشر : نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ .

فقدت حارة أهلي أم ترى نسيت
عيني المكان أم أن البعث قد حانا
فأين ابن الأُلى بالأمس قد عبروا
هذي الدروب زرافات ووحدانا
أضعت ذاكرتي لمّا مررت بهم
أم أنني ما صحبت القوم إخوانا
أظنني قد أضعت الدرب لا أحد
هنا يجيب لعلي كنت غلطانا
عمائر كالجبال الشم شامخة
كبرج بابل أشكالا وألوانا
وأوجه من بني الأعمام راكضة
خَيْلَ التطور إنشاء وعمرانا

من الواضح أن تلك الأبيات ـ ببلاغتها المحكومة بالأسلوب الجزل ـ تقليدية فيها كل أسباب التقليد ، حتى لتغدو فيها العمائر جبالا ، أو كبرج بابل الذي لم يسمع عنه إلا في التراث .. وهؤلاء الأُلى ـ بغير واو بعد الهمزة ـ كانوا يعبرون الطريق زرافات ووحداناً هم من ملايين الأشياء التي يهتز لها الشاعر ـ في تشكيلاته ـ وإن تكُن تربطه بالتعبيرات الجاهزة أو القوالب المنحدرة إلينا بلا أدنى تحريف من الشعر القديم ، وإنها لتنم ـ وحدها ـ عن ضرب من المعرفة الفنية لا تجود إلا بين شاعر جيد واعد كعبد الله محمد جبر .

على أنها ـ أي الأبيات ـ تتضمن شيئاً لا يمت إلى البيان الموروث بصلة ، ولا إلى التقليدية التي كثيراً ما تشيخ وتذبل بين أيدي النظّامين المحترفين ـ محمد الأسمر مثلاً والحوماني وابن عثيمين ـ ولا حتى إلى تأثرات مفضوحة بالمجيدين من شعراء العربية .

فذلك التعبير عن ثمن الحضارة على تلك الشاكلة ـ وقد استهله بإلماحات إلى شوقه وفقره وشبابه الذي سرقه الدهر من يفاعته وقدرته على مناطحة دهاقين الرفض ـ يبدو على بساطته الخادعة مفعماً بالجدة الصادقة حتى وإن يقف على ربوة الوادي التي ائتلقت بالذكريات .

بل إن تلك الوقفة قد تكون من ناحية أخرى نقيضاً أو مماثلاً لوقفة الطلل التقليدية ، وهنالك نعلم إلى أي حد يمتح الشاعر من مخزونه في عبارات جديدة آسرة .

إذن ، قصيدة عبد الله جبر «للحضارة ثمن» ـ وقد جعلها عنوان ديوانه الذي نسجل انطباعاتنا عنه ـ هي الشاعر نفسه بلغته وبيانه وتصوّره ، وبتلميحاته إلى ماهية الشعر ، وقدرته على شدنا إلى عالمه الذي يضطرب فيه ـ برغم حداثته ـ وقد أثقل بأعباء رسالة لم تتضح بعد .

ونقول لم تتضح لأنه آثر أن يجعل ديوانه حديقة يرتادها الجميع ، ولذلك تبدو ـ وقد تنوع رؤادها ـ مهيأة للإثارة على أي نحو وبأي عطاء .. وبثمان وعشرين قصيدة بيّن لنا أن الاتكاء في الشعر على قطبي الإنسان والكون قد لا يخرج الشاعر من أصغر دائرة يتحرك فيها ، ونحن نريد الأكبر ، أي ما وراء الإنسان والكون حيث يركض الخيال وراء الجوهر منذ الأزل ، وإلى أبد الآبدين .

ومع ذلك نلمح سطوته ـ وهو يحتج ويسخر وينقض ـ فيعني هذا أنه قوي الأيد ماهر ، ومن ثم عبثاً نصدق قوله :

يا هوُل القمة هل أحد
يدنو للقمة أو يقربْ
وسيوف الشعر إذا انتضيت
هل تُصمي الخصم وهل تُرعبْ

لأنه يستطيع أن يصل إلى القمة فعلاً ، ويجعل من ضربة سيفه للخصم مرعبة فاتكة ، وإلا ما الذي جعله ينشد «صمود العمالقة» ، ص ٨٦ ، وفيها يقول بتيه خلاب :

أنا فوق الحياة فوق ظروفي
هازماً ساخراً ببطش الحتوف
ورفاقي الكرام ملء دروبي
وشيوخي العظام فوق رفوفي

إنه يقصد الكتب ، ثم يلتفت إلى أبي الطيّب المتنبي ـ وهو نموذج البطل الحكيم وإن أسقطته حكمته ـ فيسائله :

يا أبا الطيب الجريء أعرني
بعض فحواك في لقاء الصروف
كيف طوّفت موجة من لهيب
وتنقلت كالحمام المطيف
كل بيت صنعته عشت فيه
لم تمارس صناعة التزييف

ولعله أراد أن يكون مثله متفائلاً ، ومن ثم يطلب دائماً صحة الطبع وسلامة الطوية ومصافاة الحياة :

أهيم بعشّاق الحياة لأنني
أجنّب عيني طلعة المتشائم
وأمقت منه ظلّه وحديثه
إذا ما بدا وانهلّ مثل العلاقم

ومثله أيضاً يتيه بشعره حتى ليقول (ص ٥٦) مخاطباً صحبة إذا همّوا على السفر وجاوزوا دارة القمر :

فقولوا أين شاعرنا
وأين فرائد الدرر
وأين رنين قافية
تحاكي نقرة الوتر

ومن هذا المنطلق تغلب القوة على شخصيته - والتيه أيضاً ضرب من القوة - ويتلوّن شعره بهذا العنف الذي يواجه به الحسد والإفك والنم والضيم والهوان النفسي والأمية الفكرية وشراء الشهادات بالمال وانتهاك المساجد بالأحقاد ، حتى إذا لان شيئاً صرخ (ص ٣٢) :

أتلوم نفسي غيرها هُبلت إذن
يا نفسُ جدّي في العتاب ولومي

بالرغم من أنه قد يعترف - كاليائس - بأن « الأمر أكبر من أداتي » ، (ص ١٥) ، وبأنه لا يجد أحياناً ما يقول (ص ٧١) :

ماذا أحدّث والصحائف ملؤها
عبر مسطرة وخطب يندر

وبعد ، فهذا ديوان متنوع الموضوعات ، وصاحبه متنوع النبرات ، وفي وسعنا أن نبشّر به شاعراً كبيراً يملأ أفقنا أنغاماً وألحاناً ! .

الفرار من المدينة

شعر: عبد العليم القباني

وددت لو أنني يوماً فررتُ إلى ... رَحَابةِ الرِّيفِ في مَنْأى عن الصَّخَبِ
أعيشُ منطلقَ الإحساس يصعد بي ... فوق الهموم صفاء غير منشعبِ
فلا أحسُّ بزَيْفِ المدّعين ولا ... يعيا بي الفكرُ في ميدانه اللجبِ
هناك حيث نداء الديك يوقظني ... بغير منٍّ : وحيث الفجر يهتف بي
أرنو إلى الجدول الفضّي مؤتلقاً ... كأنه الطلُّ لم يجمد ولم يذبِ
هناك حيث المروج الباسمات بها ... وشي العروس على أثوابها القشبِ
ويزدهي النَّوْرُ فوق الزهر مقتبساً ... إيماءة البدر أو إلمامة الشهبِ
هناك حيث يرى كوخي الصغير إذا ... ما غابت الشمسُ في قانٍ من السُّحُبِ
كأنه النجمُ يَهْدي كلَّ مضطربٍ ... في سَيْرِه : وينادي كُلَّ مغتربِ
كأنما هو فوق العشب متكأ ... للوافدين على جسر من التعبِ

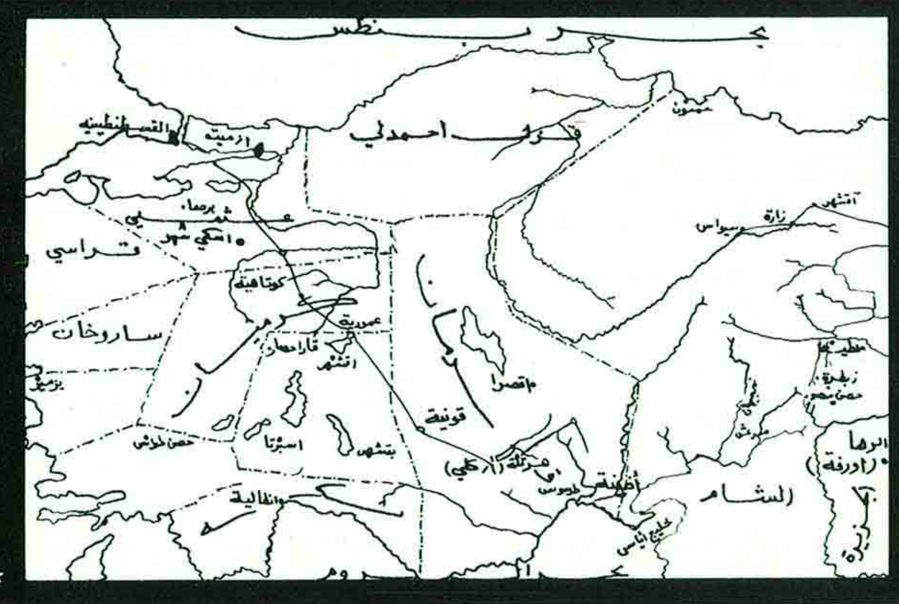


الحملة الصليبية الأولى

حتى نهاية القرن الخامس للهجرة

بقلم : د. فاضل رجب باشا

يقولون إذا أردت معرفة كنه ما يجري .. فاقرأ التاريخ . وهنا يتساءل البعض : هل ما جرى قبل بضعة قرون يمكن أن ينير لنا حقيقة ما يجري ؟ نقول نعم ولكن دون شطط . أحدنا لا يستطيع أن ينكر تأثير حدث ما منذ ألف سنة مثلاً في حياتنا الراهنة ، وبرأيي أن التاريخ حلقات متصلة ، الحلقة السابقة تفضي إلى الحلقة الحالية ، والحالية إلى التالية . هل يستطيع أحدنا أن ينكر تأثير الحروب الصليبية في حياتنا الحاضرة ؟ لا أعتقد ذلك ، فباعتقاد الكثيرين أن الحروب الصليبية مستمرة إلى الآن ، ولكن في أشكال وصور متباينة ومختلفة ، وما أشبه ظروف وزمان الحملة الصليبية الأولى بزماننا هذا ، تفرق واختلاف على الحكم وحروب بين المسلمين بعضهم البعض .



★ ولاية بلاد الروم ★

كانت بلاد الشام سنة تسعين وأربعمائة للهجرة (٤٩٠ هـ) تدين للملوك التركمان السلاجقة ، فبمقتل **مسلم بن قريش العربي**[1] عامل **آلب أرسلان** (سلطان السلاجقة) على **حلب** سنة (٤٧٨ هـ) أصبح **السلاجقة** حكام **الشام** ، وغدت البلاد في هرج ومرج يتطاحن أمراؤها ويمزق بعضهم بعضاً . تتعاورها أيدي **ملكشاه (السلطان العادل)** وأخيه تاج الدولة **تتش بن آلب أرسلان** (ملك الشام) ، ثم أولاده **رضوان ودقاق** والمماليك **أق سنقر** (صاحب حلب وجد البيت الأتابكي) **ويزان** (صاحب أنطاكية) وهما من مماليك السلطان ملكشاه وكذلك **طغتكين** (من مماليك تاج الدولة تتش بن آلب أرسلان ملك الشام) .

وكانت بغداد عاصمة العباسيين مشغولة بذاتها عما حولها ، والخليفة لا يطمح بأكثر من لقب **أمير المؤمنين** وببغداد جنة ، **والفاطميون** ينظرون بوجل وخوف إلى الدولة **السلجوقية** لاتساع رقعة أراضيها ، التي لم يكنوا لها المحبة والود .

ولا يجوز أن يغرب عن بالنا أن خلافة الآمر بأحكام الله بمصر (ومن ورائه **الأفضل** أمير الجيوش) واستهتاره بأمور المسلمين كل ذلك قد خلق جواً «مناسباً» للصليبيين .

سياسة السلاجقة

إذن كانت هناك عوامل عديدة مهدت الأمر للحملة

الحملة الصليبية الأولى

الصليبية الأولى وكانت سياسة التركمان أحد العوامل الأساسية في التعجيل في قدوم الحملة الصليبية الأولى بافتراض أن الظروف كانت مؤهبة ، فكيف كانت يا ترى سياسة السلاجقة ؟

● أولا : باستيلاء السلجوقيين على **أرمينية والشام ونيقية ثم بيت المقدس** (سنة ١٠٧٦م) اختلت العلائق الاقتصادية بين **آسيا وأوروبا**[٢] وخافت المدن التجارية في البحر المتوسط مثل **بيزة وجنوه وباري والبندقية** أن يغلق الأتراك أمامها سوق الشرق .

● ثانياً : باعتناق السلاجقة الإسلام ، أظهروا غيرة مفرطة على الدين وأساؤوا معاملة كل من كان على غير دينهم[٣] وكانوا ينزلون بهؤلاء مزيداً من الاضطهاد لم يتعرض له المسيحيون تحت ظل المسلمين العرب .

إن المسلمين العرب لم يُعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للمسيحيين ، بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة وممارسة طقوسهم الدينية مكتفين بأخذ الجزية منهم . وعندما آل الحكم إلى التركمان انقلبت سماحة العرب بجفاء من خلفوهم من التركمان وعاد الزوار إلى ممالكهم يقصون ما لقوا من الشدة في الشام ويعظمون الأمر ، وكان التعصب الديني يومئذ على أشد حالاته في الغرب ، فمعظم الحكومات كانت تدين بدين البابا ألا وهو الكاثوليكية وتخضع لسيطرته . وكانت لشخصية البابا آنذاك **أوربانوس الثاني Urbanus II** اليد الطولى في شحذ همم النصرانيين وإلهاب عاطفتهم الدينية وإيهامهم أن بيت المقدس في خطر . ففي مؤتمر كليرمونت[٤] الذي عقد في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٠٩٥م ، خطب البابا خطبته المعروفة التي كان لها أثرها البالغ في صيحة السامعين عندما قال عبارته الشهيرة « **إنها مشيئة الله Deus vult** » وأصبح هذا القول بالإضافة إلى الصليب الأحمر شعاري الحملة الصليبية .

ولم يكن الدين الدافع الأوحد للحركة الصليبية ، بل الواقع أن البابوية كانت تخشى أكبر الخشية من زيادة بأس النورمانديين ، ولعلها وجدت الفرصة مواتية للتخلص منهم بتوجيه نشاطهم الحربي لخدمة الدين والكنيسة في الشرق وإبعادهم عن مسرح السياسة الأوروبية . ولو قام أحد الحكام آنذاك ملكاً كان أم أميراً بالدعوة إلى الحروب الصليبية لما سانده أو عاضده هذا العدد من المتطوعين .

ثالثاً : أثخن بنو سلجوق من أصحاب **آسيا الصغرى** في جيش صاحب **قسطنطينية** فخاف ملكها كثيراً على مملكته من سيطرة المسلمين فكتب يستنهض ملوك أوروبا أن يأتوا لمساعدته ، وقبل بطريرك القسطنطينية بأن يقدم خضوعه لبابا روما[٥] ، بعد أن كانت الكنيسة الشرقية التي تتزعمها بيزنطة مستقلة سواء من الناحية الزمنية أو من ناحية السيادة الروحية .

لا يجد الرأي التاريخي السابق كثيراً من الحماس في تأييده ، وقد ناقش **شالاندون**[٦] أحد المؤرخين الغربيين فكرة استنجاد الإمبراطور بالبابا ، ودحضها دحضاً تاريخياً ، وقد بنى رأيه على أن الإمبراطورية البيزنطية لم تكن في ذلك الوقت بحاجة إلى مساعدة الغرب لها وأن تلك الفترة كانت أهدأ فترة في تاريخها منذ أن تولى الحكم بها **ألكسيس كومنين** . ويذهب المؤرخ الروسي **فاسيليف**[٧] إلى القول إن الإمبراطور أرسل في طلب قوة من الغرب وإنه كان يتأهب سنة ١٠٩٥م ، لمحاربة السلاجقة في الوقت الذي علم فيه بنهوض الحملة إلى الشرق .

ولكننا لا ننكر أن التركمان باستيلائهم على الشام قد أقاموا دولة فتية التف حولها جيش جرار من سكان هذه الديار وما إليها لحرب الفرنج . . كانت تعجز عن تجهيزه بلاد الشام أو العراق أو الجزيرة لو قدر لها أن تجابه الإفرنج لوحدها ، ثم إن السلجوقيين كانت بأيديهم الدروب والمنافذ إلى آسيا الصغرى التي تعني الممر البري للإفرنج من أوروبا إلى الشام .

ولقد سبق للعرب أن قابلوا الفرنج في معارك عديدة قبل قيام الحملة الصليبية الأولى ، وكانت بغية الفرنج إخراج المسلمين من البلاد التي فتحوها . ويمكننا إلى حد ما اعتبار هذه المعارك حروباً صليبية لكنها لم تأخذ حجم الحملات الصليبية وانتشارها ، ففي بلاد الأندلس كانت معركة **الزلاقة** سنة (٤٧٩هـ ــ ١٠٨٧م) وانتصر فيها العرب المسلمون بقيادة أمير المسلمين **يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد** على ملك الفرنج **الأذفونش**[٨] ، وبعدها كانت الحرب بين المسلمين والفرنج **بجيان** من الأندلس سنة (٤٨٥هـ) وهي من أكثر الوقائع شهرة بعد الزلاقة ، وكان النصر فيها للمسلمين . وفي سنة (٤٨٤هـ) استولى الفرنج على جميع جزيرة صقلية ، وفي سنة (٤٨٩هـ) ملكوا مدينة **طليطلة** وغيرها من بلاد الأندلس . **ومع ذلك فمن الأصح عدم نعت هذه المعارك بالحروب الصليبية لأنه ينقصها جانبان لتصح التسمية :**

(١) عدم اتجاهها نحو الأماكن المقدسة بفلسطين .

(٢) عدم حملها الصليب .

ولعل أصدق تعريف للحروب الصليبية يحدد ماهيتها هو تعريف القومص (الكونت) ريان[٩] من أنها **حرب دينية خالصة** ، دوافعها دينية وترمي إلى استرداد الأماكن المقدسة عن طريق مباشر أو غير مباشر .

يذكر لنا ابن الأثير في كتابه **الكامل** أن **بردويل** أحد ملوك الفرنج قد جهز جيشاً عرمرماً سنة ٤٩٠هـ ، كان ينوي به غزواً إفريقياً عبر جزيرة **صقلية** ، واستشار ملك صقلية في ذلك . . فلما كان من هذا الأخير إلا أن أشار عليه التحول إلى بلاد الشام واحتلال بيت المقدس وانتزاعه من يد المسلمين ، ونحن لا يسعنا التأكيد بصحة هذه الرواية . **إذ كانت مطامع الفرنج منصبة منذ البدء على احتلال بلاد الشام ودرته بيت المقدس .**

قوام جيش الحملة الأولى

لم تنتظر عامة الفرنج تجمع الجيوش المتحدة التي أبطأ تنظيمها ، بل أخذتها الحماسة والعاطفة وسافرت بدون سلاح غير آخذة بالحزم في التأهب للرحلة . وكان هذا شأن عصابات البائسين الذين جمعهم **بطرس** الراهب **وغوتيه** المعدم (**سانز افور**) ومن لم يهلك من هذه العصابات في الطريق أو نجا من الاصطدام مع إخوانهم في الدين حينما عاثوا فساداً في الأراضي التي مروا بها ، طالته يد السلاجقة وأهلكته .

اجتمع في القسطنطينية في أواخر سنة (٤٩٠ هـ ــ ١٠٩٦م) أربعة جيوش متحالفة[١٠] **قيل إن عددهم كان مليون محارب ومحاربة** . . لأن بعض الصليبيين كانوا يصحبون معهم أزواجهم وأولادهم ، وفي رواية أخرى كانت الحملة الأولى ستمائة ألف محارب . إلا أن هذا العدد مبالغ به كثيراً ، **ومن المعتقد أن تعداد الحملة الأولى لم يتجاوز بضع عشرات الآلاف من المحاربين** .

١ ــ **الجيش الأول :** بقيادة **بغدوين* دي هينو (Baldwin)** وأخوه **كدفري (Godfrey)** وهو الجيش المتحالف من اللورين والألمان .

٢ ــ **الجيش الثاني :** بقيادة **بيمند النرمندي** أمير **تارنت ، وتنكري (Tancred) وريتشارد (Richard)** أمير **سالرنو** ويتألف هذا الجيش في غالبيته من **نورميي إيطاليا** .

٣ ــ **الجيش الثالث :** بزعامة **ريموند الصنجيلي (Raymond de St. Gilles)**[١١] الذي وصل إلى القسطنطينية في النصف الثاني من شهر نيسان (أبريل) عام ١٠٩٧م .

٤ ــ **الجيش الرابع :** أتى من شمال فرنسا بقيادة القومص (الكونت) **روبرت كورتهوز بن وليم الفاتح** وأخو **هنري الأول** ملك **إنكلترا** .

ولم يكن مع هذه الأمم ملك من ملوكهم ، ولم يتفق رأيهم على نصب ملك يرتضونه ويرجعون إليه ، ولكن خرجت القوات الصليبية الغازية بقيادة **تنكري وكدفري** وأنفذ معها الإمبراطور كتيبة بيزنطية بكامل معداتها بقيادة **تاتيكوس** ، أحد قواده قاصدة **ازميت**[١٢] ، انضم إليهم بعدها بطرس الراهب بمن نجا معه من كوارث الطريق ، وبقي بيمند في القسطنطينية إلى جانب ألكسيس كومنين يدبر مسألة التموين البري والبحري للقوات الصليبية .

الصليبيون في آسيا الصغرى

خرج الفرنج من القسطنطينية واحتلوا **نيقية**[١٣] سنة (١٠٩٧م) بعد حصار لقوات السلطان **قلج أرسلان** التي أعوزتها المساعدات مما حملها على التسليم .

★ خريطة تخطيطية لبيت المقدس زمن الصليبيين سنة ١٠٩٩م ، نقلاً عن جروسيه Grousset ★



انقسمت القوات الصليبية بعد ذلك في الطريق إلى قسمين رغبة في تيسير تموين القوات وزحفت هذه القوات باتجاه **اسكي شهر (دور يليوم)** فخرج لملاقاتها السلطان **قلج أرسلان** بما التف حوله من السلاجقة والعرب والتركمان ، واصطدم الجيش الإسلامي يوم ٤ تموز (يوليو) ١٠٩٧م ، بجيش **بيمند ، وبين كروفر** ووصول النجدات للقوات الصليبية تفرق المسلمون ووقع منهم الكثير الكثير في الأسر[١٤] .

وصلت جيوش الصليبيين إلى **قونية** في منتصف آب (أغسطس) ١٠٩٧م ، فاحتلوها دون معارك لمغادرة أهلها لها[١٥] ، وقام السلاجقة بآخر محاولة لصد الفرنج عند مدينة **ارجلي (اركلي)** ، إلا أنهم لم يحققوا ما أرادوا ، فسرعان ما أصابتهم الهزيمة وفروا من أمام الصليبيين .

ثم انقسم جيش الإفرنج شطرين ، شطراً بقيادة **بغدوين وتنكري** ووجهته **قيليقيا** وذلك للاستيلاء على **طوروس** والآخر وجهته **أنطاكية** .

حاصر تنكري طرسوس يوم ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٠٩٧م ، فهربت حاميتها السلجوقية ليلاً واستسلمت البلدة ، وقصد تنكري بعد ذلك **أذنة (أضنة)** فملكها .

تكشفت بعد ذلك مطامع القائدين تنكري وبغدوين ونسيانها تخليص بيت المقدس وكنيسة القيامة وكل الأغراض الدينية التي خرج فقراء المسيح من أجلها من أوروبا ، إذ سعى كل واحد منها أن يكون له وحده الأمر وأن يبسط يده على أوسع رقعة من البلاد التي مرا بها .

مضى بغدوين يوم (٢٥ تشرين الأول (نوفمبر) ١٠٩٧م) ، إلى الأراضي الأرمنية حيث مضى إلى تل باشر واستطاع تخليصها من يد السلاجقة[١٦] . فلما سمع بذلك توروس أمير **الرها (اورفة)** الأرمني بعث في طلبه للوقوف إلى جانبه ، أقام بعدها بغدوين في **الرها** وبضغط منه أعلن الأمير توروس تبنيه لبغدوين مما يعني بدء تسلط هذا الأخير على الرها . قامت جماعة من الأرمن باغتيال الأمير توروس يوم ٧ آذار (مارس) ١٠٩٨م[١٧] ، وبمعرفة بغدوين الذي انفرد بعدها وحده بأمر الرها ، وكانت سياسة بغدوين تهدف إلى توثيق العلائق بين جماعات الأرمن والفرنج على ألا ترقى إلى جعل مقاليد الأمور في البلد بأيدي أصحابه الشرعيين مما سبب نقمة على بغدوين من قبل الأرمن وجرت محاولة لتغيير ما فرض ولقتل بغدوين ولكنها فشلت .

الصليبيون في شمال الشام

علماً أن المسلمين كانت أهواؤهم مشتتة وقواهم غير منظمة تتجاذبهم الفتن وتشدهم الدنيا بلهوها .

ولما اتصلت أخبار ظهور عسكر الفرنج من عبر القسطنطينية بأمراء الشام استقر رأيهم على الاستصراخ والاستنجاد وتحصين أنطاكية .

وجد الصليبيون في طريقهم إلى أنطاكية معاونة كبيرة من جانب الأرمن والسريان[١٨] ، إذ كانوا يثبون على حاميات المدن ويطعنونها من الخلف كما فعل أهل **ارتاح** مثلاً .

كان جيش بيمند أول جماعة تفد على أنطاكية حيث عسكر في الطرف الشمالي من المدينة وعسكرت القوات الأخرى بقيادة روبرت النرمندي فيما بين باب **بولص** وباب **الكلب وبنت حصن مالرجارد** . وعسكر ريموند الصنجيلي إلى الغرب ، وعسكر **كدفري** بجنده في الشمال قرب **باب الجنينة** ، وبوصول الفرنج إلى أنطاكية استعصت عليهم لعظمة تحصينها ، فما

الحملة الصليبية الأولى

كان منهم إلا أن حاصروها ، وكان عليهـا وقـت مقـدم الصليبيين القـائد السلجوقي **ياغي سيان** ، فلما استشعر الخـطر الجـديد الـزاحف أرسـل مستنجداً[19] **بدقاق** أمير دمشق **وبكر بـوغا** أمـير **الموصـل** وبـالسلطان **بركياروق** ، غير أن تقدم العدو نحوها كان أسرع من استعداد المسلمين لدفع الخطر عنها .

تسرب الخوف إلى نفس **ياغي سيان** من النصارى والأرمن الـذين كانـوا يقطنون المدينة فأخرج الذكور منهم ، وقيل إنهم أقاموا في عسكر الفرنجة يـأتون بالأخبار لصاحب أنطاكية[20] ، ودام حصار الفرنج على أنطاكية قـرابة تسعة أشهر (٢١ تشرين الأول (نوفمبر) ١٠٩٧ م ـ ٣ حزيران (يـونيو) ١٠٩٨ م) حيث واطأ الصليبيون قوماً من الزرادين[21] ومنهم أرمـن على تسـليم أنـطاكية حيث راسلوا أحد المستحفظين للأبراج ويقال إن اسمـه كان **فـيروز أو علـج** وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو برج **الأختين** ، ولما تقـرر الأمـر بينهم وبين القوم الزرادين جاؤوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جمـاعة كثـيرة بالحبال فانهزم ياغي سيان بعد أن ظهر من شجاعته وجـودة رأيـه وحـزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره ، وخرج مع جماعة قليلـة مـن غلمانـه مـؤثراً الهرب ، وقد نال الجهد منه كل منال ، ولما حصـل بـالقرب مـن **أرمنـار**[22] قرب **معرة مصرين** سقط عن فرسه فمات ، وقيل قتله أحـد الأرمـن ، وقـد قتل في أنطاكية وأسر خلق كثير من المسلمين .

ماذا عن موقف المسلمين من حصار أنـطاكيـة ؟ ألم يهبـوا لنجدتها ؟ ألا زالت الخلافات تملك منهم ؟

لقد كانت تلك المواقف متناقضة مختلفة كاختلاف أهواء أصحابها . وكان الفرنج قد كاتبوا صاحبي **حلب ودمشق**[23] بأنهم لا يـطلبون سـوى البـلاد التي كانت بيد الروم مكراً منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب أنـطاكيـة ، ولكن هؤلاء الأمراء تحركوا أخيراً تحرك الخائف **وأيقنوا أن سقوط أنطاكية يعني سقوط بقية بلاد الشام .**

فنهض أولا العسكر الإسلامي (قبل سقوط أنطاكية) قرب **شـيزر** بقيـادة **دقاق** أمير دمشق **وأتابكه طغتكين** وجناح الدولة **بن مـلاعب** أمـير حمص وانضم إليهم **ابن ياغي سيان** حيث قتلوا جماعة من الصليبيـين[24] ، وحيث إن العبرة تكون في الخواتيم فقد رجحت كفـة الصليبيـين آنـذاك (٣١ كانـون الأول (ديسمبر) ١٠٩٧ م) رغم الخسائر الجمة التي كبدهم إياها **دقاق .**

وحمل بعد ذلك رضـوان أمـير حلـب على الصليبيين[25] .. إذ عـلم بمقصدهم **ألا وهو استغلال الفـرقة بين المسـلمين حينما راسلـوه وراسلوا أمير دمشق ، ورغبتهم بضرب القـوى الإسلامية بعضـها ببعض ، لذلك تناسى رضوان أحقاده الشخصية ومد يده لشمس الدولة بن ياغي سيان** ، ونهض في (شـباط (فـبراير) ١٠٩٨ م) لفـك الحصار عن أنطاكية ، وانضمت إليه قوات مختلفـة مـن شـيزر وحمـاه وحمص وعسكروا عند **مرج دابق** شرقي أنطاكية[26] وتقدم الجيش الإسلامي يـوم (٩ شباط (فبراير) محاولا شق طريق له إلى المدينة من ناحية جسر الحديد ، فوقف لهم الفرنجة وتصدوا لجيش رضوان الذي استبسل وأظهر بـراعة شـهد لـه بها أعداؤه ، إلا أن المسلمين اضطروا لـلارتداد نحـو **حـارم .** والصـليبيون في أعقابهم يشرعون سيوفهم في رقاب المسلمين .

وتحركت الخلافة العباسية بعد طـول سـبات ، إذ رأت بغـداد أن الخـطر الصليبي يوشك أن يغرز مخالبه في غرب الـطوق بعـد أن أنشبها في شمـاله ، فأنفذت قوة ضخمة بقيادة قوام الـدولة **كـربـوقا** صـاحب **الموصـل**[27] ، واجتمع معه دقاق بن تـتش صاحب دمشق وطغتكين أتـابك وجنـاح الـدولة صاحب حمص ، وأرسلان تاش صاحب **سنجار** . وسار المسلمون يقصـدون فك الحصار عن أنطاكية ، وسعى الصليبيون دون وصول النجدة إلى أنـطاكيـة حتى لا تقوى عزائم المحاصرين وتشتد قوتهم ويقع الصليبيون بين جمـاعة يـاغي سيان في الداخل وقوات كربوقا من الخارج ، لـذلك **أقـام الفـرنجة حصـن المحمرة** على الضفة اليمنى للنهر ووصل المدد الـكربوغي إلى أنـطاكيـة يـوم ٧ حزيران (يونيو)[28] ، إلا أن أنطاكية قد سقطت بيد الفرنجة يوم ٣ حزيران (يونيو) ، فما كان من جيش المسلمين إلا أن حـاصر حصـن المحمـرة يـوم ٨ حزيران (يونيو) ١٠٩٨ م .

وأقام الصليبيون بأنطاكية بعـد أن ملـكوها اثني عشر يـوماً ليس لهم ما يأكلونه[29] بعد أن ضيق المسلمون عليهـم الخنـاق ، فتقـوت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بـالميتة وورق الشـجر ، فلما رأوا ذلك أرسـلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يعطهم ما طلبـوا ، وقـال : لا تخرجون إلا بالسيف . ونذكر هنا أن كربوقا قد أساء السـيرة فيمـن اجتمع معه من الملوك والأمراء وتكبر عليهم فخبثت نياتهم على كربـوقا[30] ، إذا كان القتال . . . وعـزموا على إسلامه عنـد المصـدر مما لم يخف على الصليبيين ، فرتبوا صفوفهم للقتال وكرت جيوشهم على كربوقا ، واستطاعت أن تحـدق بـه وسدت المنافذ عليه من جميع النواحي ، فلما رأى المسـلمون أنفسـهم عـاجزين حيال الفرنجة لاذ كبارهم بالهرب ولحق بهم كربوقا نفسه[31] ، وقتل الفرنج من بقي .

كان الجيش الإسلامي الذي هب لنجدة أنطاكية مـؤلفاً مـن مـائتي ألف محارب .. **لو استطاع هذا الجيش أن يصل كله إلى أنطاكية لقضى على الصليبيين ، ولو تبع كربوقا مشورة قـواده في عـدم السماح للفرنجة بالخروج من أبواب المدينة ويقتـل كل مـن يخرج منهـم ، وعدم الانتظار كي يتكامل عددهم ، لكانت نتيجة المعركة غير ما كانت عليه .. وما كانت الهزيمة . أليست الاستهـانة بـالخصم والإعراض عنه من ضروب الحماقة ؟** لكأنما ظن كربوقا نفسه في حقل فروسية أو في مضمار مبارزة .

بعد انهزام المسلمين سار من الفرنج جماعة بقيـادة **قـومص تـولوز** إلى **معرة النعمان** وضموا إليهم الأرمن والنصارى الـذين كانـوا في طاعتهم[32] ووصلوا إليها في (٢٧ تشرين الثـاني (نـوفمبر) ١٠٩٨ م ـ ١٤ محرم ٤٩٢ هـ) فصدهم أهلها واستبسلوا في الدفاع ، ولجأ الفـرنجة إلى رمـي المقـاتلين بـالنار والحجارة وإلى بناء الأبراج لتدفع الأسوار مما اضطر الأهـالي لـطلب الأمـان ، فأجيبوا إليه لكن الصليبيـين ما لبثوا أن نكثوا بعهدهم[33] ، وأعملـوا السـيف في رقاب أهلها . وذكر ابن الأثير في الكامل أن الفرنجة قد قتلوا مـا يـزيد على مائة ألف من أهلها ، وسبوا مثلهم ، وقد طـال القتـل كل المسـلمين الـذين اعتصموا بالجوامع واختبأوا في السراديب . وأقام الفرنج بالمعرة مدة أربعين يوماً

ثم زحفوا عنها بعد أن قطعوا أشجارها وهدموا أسوارها ودورها وأبراجها وأحرقوا المساجد وكسروا المنابر .

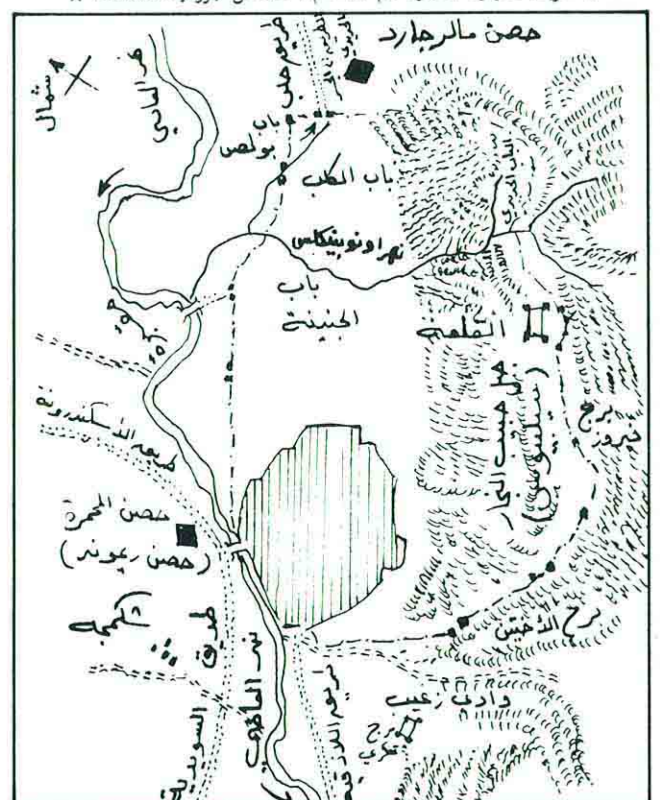
الفاطميون والصليبيون

هذا ما كان من أمر الشام .. فكيف كان موقف الفاطميين في مصر آنذاك ؟

إن المسلك الذي سلكه **الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي** الوزير الفاطمي وأمير الجيوش لا يدل على اجتماع كلمة المسلمين ، ويشير بوضوح إلى تفرقهم واختلاف أهوائهم ، فأراد اغتنام الفرصة بموادعة الصليبيين كي يأمن شرهم وشر اقتحامهم بيت المقدس بحد السيف ، وكذلك كي يقضي على الجماعات المخالفة له مذهبياً في بلاد الشام ، فأنفذ سفارة إلى الصليبيين[٣٤] في كانون الثاني (يناير) عام ١٠٩٨ م ــ صفر ٤٩٢ هـ) وكذلك بعث الصليبيون سفارة إلى القاهرة ، وبقيت سفارة الأفضل تحمل مشروع اتفاقية تعقد بين الفاطميين وبين الفرنج تستقل فيها مصر ببيت المقدس ، وينفرد الصليبيون بأنطاكية على أن يسمح لهم بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين ، وتكون لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية على ألا تزيد إقامتهم بها أكثر من شهر واحد وألا يدخلوها بسيوفهم .

ومهما يكن من أمر هذه الوفادة ، فقد لقيت ترحيباً من جانب الصليبيين الذين أدركوا مدى الانحلال العنيف والفرقة السائدة في المجتمع الإسلامي . وهنا نورد كلاماً لأحد المؤرخين المعاصرين للحرب الصليبية الأولى ألا وهو **وليم الصوري**[٣٥] ، ولسنا هنا في مجال مناقشة هذا القول ولكننا نشير فقط إلى قيمته التاريخية ، فيشير المؤرخ المذكور إلى **فرحة سفراء الأفضل بما شاهدوه من رؤية رؤوس القتلى المسلمين حين بعثها إليهم الصليبيون ، ويصف حسن استقبال**

★ خريطة تخطيطية لأنطاكية عام ١٠٩٨ م ، نقلاً عن جروسيه Grousset ★



الصليبيين إياهم وترحيبهم بهم . فهل ماتت النخوة آنذاك ؟

ونتساءل هنا ما هي القناعات التي جعلت أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي يعتقد أن الصليبيين يمكن أن يعينوا الدولة الفاطمية على السلاجقة الذين استقروا في بلاد الشام ؟ يا لقصر بصيرته ، ويتهم **ابن الأثير** الفاطميين بأنهم أرسلوا إلى الفرنج يدعونهم للخروج إلى الشام ليحكموه ، ويكونون بينهم وبين السلاجقة .

وخرج الأفضل عام (١٠٩٨ م) لانتزاع بيت المقدس من بني أرتق[٣٦] ، وكان له ما أراد بعد حصار قصير للمدينة ، ولكن هذا الفوز لم يكن في الواقع إلا بمثابة التمهيد للصليبيين (كما سنرى لاحقاً) الذين تمكنوا بعد أشهر قلائل من احتلال بيت المقدس ولم تواجههم مقاومة تذكر .

لم يدرك الأفضل أن الصليبيين يرفضون مفاوضته[٣٧] إلا في وقت متأخر جداً (٤٩٢ هـ ــ ١٠٩٨ ـ ١٠٩٩ م) إذ كان يمني النفس بسلام معهم ، وحاول عبثاً الوصول إلى اتفاق سلمي معهم ، ولكن أنى له ذلك ، فالفرنج دخلوا غزاة ولم يدخلوا مسالمين .

الصليبيون واحتلال بيت المقدس

بيت المقدس درة بلاد الشام ، كلما خرج غاز من أرضه وعرج على الشرق قصد بيت المقدس محتلاً .

ونذكر هنا أن الأفضل بن بدر الجمالي قد أرسل الأمير سقمان وايلغازي ابني ارتق ليسلماه بيت المقدس دون حرب فلم يجيباه ، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً[٣٨] ، فلم يجدا بداً من الإذعان والتسليم له ، وكان ذلك سنة ١٠٩٨ م ، وولى الأفضل في بيت المقدس عاملاً لم يكن له فيه طاقة .. فعجز في الدفاع عنه .

اتفق رأي الفرنج ــ بعد أن دانت لهم أنطاكية وحصون النواحي القريبة ــ بالزحف على بيت المقدس ، وتناسى زعماء الحملة أحقادهم الشخصية ولنقل أخفوا مطامعهم ، ولكن يبدو أن احتلال المعرة وما رافقها من غنائم وأسلاب قد أجج الخلافات وجدد النزاع بين الزعماء الصليبيين على هذه الأسلاب وحول سوق الزعامة الدينية .

أدرك عامة الفرنجة وفقراؤهم أنهم يبذلون أرواحهم لغرض في نفس زعمائهم دون رعاية للصالح الصليبي العام . وانصرفت العامة عن القائد بيمند إلى ريموند الصنجيلي وولوه قيادتهم في زحفهم على بيت المقدس ، أطهر بقعة عندهم ، ومروا في طريقهم على بلدان وإمارات عربية مثل **كفر طاب وشيزر** (قرب حماه) والتي طلب أهلها من الفرنج الأمان وتجنب القتال ، وكذلك صالحهم جناح الدولة صاحب حمص . يمم الصليبيون بعد ذلك شطر **جبلة** وعرجوا منها على **مصياف** بعد أن كانت نيتهم تتجه للسير إلى بيت المقدس عن طريق الشاطئ ، ولكن يبدو أنهم عدلوا عن ذلك لتجنب الاصطدام مع أهل هذه المدن .

ومن مصياف التي وصلوها في (٢٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٠٩٩ م) ، رحل الصليبيون إلى **بعرين (بارين) فرفنية** ، وأخذوا بعد ذلك في التقدم شطر **طرابلس** التي رأى أميرها سلامة مدينته في مصانعة الصليبيين[٣٩] ومداراتهم لإدراكه أن السلاجقة أضعف من أن يهبوا لنجدته ، ودون أن يسمح للفرنج بدخول المدينة ولكن القوات الصليبية شددت الحصار على بعض المدن الطرابلسية مثل **عرقة** يدفعها الطمع بهذه المدينة لعلمهم ببحبوحة عيش



أهلها . وطال حصارهم لها أربعة أشهر[40] ، واستبسلت المدينة في الدفاع . وأمن ابن عمار أمير طرابلس الصليبيين بمبلغ ضخم من المال لقاء رفعهم الحصار عن عرقة ، ومضوا بعد ذلك إلى بيروت تساعدهم السفن في البحر .

مر الصليبيون على بعض بلدان الساحل اللبناني فقاومهم البعض كأهالي صيدا وهادنهم البعض الآخر كما فعل أهالي بيروت على شرط فتح بيت المقدس (الذين لم تسقط مدينتهم بيد الفرنج حتى كانت سنة ٥٠٣ هـ ، عندما حاصرها بغدوين حصاراً شديداً وفتك بأهلها الخلق الكثير فاستسلمت له المدينة)[41] ، ثم ساروا في سبيلهم قدماً فمرُّوا على صور ، واستعصت عليهم **عكا**[42] ، ثم عرجوا على **اللد والرملة** ، واتجه رأي بعض القادة الصليبيين بالزحف على **مصر**[43] لضمان حرية التجارة البحرية والبرية وسلامة الشواطئ وعدم تعرضها لخطر الأسطول المصري ، **ولكن استقر الرأي بوجوب الزحف على بيت المقدس .**

وبلغ الصليبيون **بيت لحم** وملكوها ، ويذكر لنا المؤرخون الأوروبيون[44] والله أعلم أنهم استقبلوا بترحاب ما بعده ترحاب . . إذ خرج مسيحيوها حاملين الصلبان والأناجيل يرتلون تراتيلهم الدينية مهللين ممجدين الرب وركزوا رايات الصليب على كنيسة **أم الإله** .

وبلغت القوات الصليبية بيت المقدس يوم الثلاثاء في (٧ أيار (مايو) عام ١٠٩٩ م) فتلهب قبابها وكنائسها حماستهم وتقوي من عزائمهم . وأدرك **افتخار الدولة** حاكم الفاطميين على القدس ضعفه عن مقاومة الزحف الصليبي وهزته المفاجأة فعمد إلى تسميم الآبار وطم القنوات وعهد بحراسة الأسواق إلى جماعة من العرب والسودان[45] .

حاصر الصليبيون المدينة من جميع جهاتها وسدوا منافذها وشرعوا في الهجوم على القسم الجنوبي من المدينة[46] **وهنا كان الصراع بين المسلمين الذين يرون في بيت المقدس أرضاً عربية يعبق تاريخها بشذى الإسلام والمسيحية** ، وانصهر عندهم الدين والدنيا في الذود عن القدس ، وبين الصليبيين الذين تحملوا في سبيل بيت المقدس الأوبئة والمجاعات والأمراض ، أنها لهم الخلاص والغاية ورأوا في ضياع القدس ضياعاً لهيبتهم السياسية .

وشرع الصليبيون في بناء آلات الحصار والقتال ونصبوا الأبراج وأسندوها إلى السور ، أحدها كان من ناحية **صهيون**[47] ، ووصل المدد إلى الفرنج من ثغر **يافا** تحمله بعض الأساطيل الجنوية (نسبة إلى جنوة) ودام حصار الفرنجة لبيت المقدس حوالي ما يزيد عن الأربعين يوماً ، وبدأ هجومهم مساء الأربعاء[48] (١٣ تموز (يوليو) عام ١٠٩٩ ـ ٢٠ شعبان عام ٤٩٢ هـ) واستبسلت الحامية الإسلامية أشد الاستبسال وأخذت ترمي الصليبيين بالنار الإغريقية ، وأحرق المسلمون برج ناحية صهيون وقتلوا كل من به حتى إذا كان صباح الجمعة بلغ القتال أوجه واستمر بضع ساعات انقلب بعدها كدفري بجماعة من الفرنج **واستطاعوا أن يجدوا لهم منفذاً في ناحية الشمال فدخلوا منها وفتحوا أبوابها للفرنجة الذين اندفعوا كالسيل الآتي** ، وكان ذلك ضحوة يوم الجمعة في (١٥ تموز (يوليو) عام ١٠٩٩م ـ ٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ)[49] .

وما كان من المسلمين الذين وجدوا أنفسهم وقد أحدق المغير بهم من كل جانب إلا أن التجأوا إلى الحرم الشريف والمسجد الأقصى معتصمين به فتعقبهم الصليبيون بقيادة **تنكري وكدفري** ، ووضعوا السيوف فيهم ، وركب الناس السيف ، وسالت الدماء حتى خاضوا فيها إلى ركبهم . وكان هذا الفعل مما أخذ على الصليبيين فيما بعد ، ويدل على مدى الحقد الذي شحنوا به وعبئوا به ضد الإسلام والعرب ، **ويذكر لنا ابن الأثير أن الفرنجة قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم** ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ، **واستحال المسجد الأقصى إلى بحيرة من الدماء كان منظرها مثيراً للمغيرين باعثاً لهم على مزيد من القتل ، ولقد نكث الفرنج بعهد كان تنكري قد قطعه على نفسه**[50] **لجماعة من العرب أمنهم على حياتهم ، فكانت تلك الوقعة لطخة في تاريخ الصليبيين كما يقول الأستاذ جروسيه .**

قال ميشو ، **أحد المؤرخين الإفرنج** ، يصف فظائع الصليبيين ، **«وقد ارتكب الصليبيون في فتح القدس أنواع التعصب الأعمى الذي لم يسبق له نظير ، حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم ، وكان الصليبيون يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ، ويجرونهم في الساحات ، ويقتلونهم فوق جثث الآدميين ، ودام الذبح في المسلمين أسبوعاً حتى قتلوا كما اتفق على ذلك مؤرخو الشرق والغرب (والكلام لميشو) سبعين ألف نسمة ، واليهود كالعرب لم ينجوا من الذبح ، فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجأ إليه أبناء إسرائيل وأهلكوهم كلهم بالنار» .**

وسقوط بيت المقدس بيد الصليبيين ، ومجازرهم ، تصدع الكبرياء الإسلامي ، وجرحت مشاعر المسلمين ، وقامت من دمشق إلى بغداد وفادة برئاسة **القاضي زين الدين أبي سعد الهروي** مستغيثة بالخليفة العباسي ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون ، وأوجع القلوب ، وراح الشعراء يحرضون ويستثيرون الهمم ، فقال **أبو المظفر الأبيوردي** في هذا المعنى أبياتاً منها :

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

إلى أن يقول :

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور المذاكي** أو بطون القشاعم***
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرُّون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى ... تُواري حياءً حُسنها بالمعاصم

وها هو ذا شاعر آخر يهزه سقوط بيت المقدس ، فيملك عليه هذا الحدث وجدانه ، وتتفجر الكلمات عنه مدوية فيقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب

وبسقوط بيت المقدس وجد **افتخار الدولة** عامل الفاطميين على القدس الحكمة بطلب الأمان من **ريموند** واستسلم له في **برج داود**[٥١] بعد أن تعهد للصليبيين بالمضي إلى مصر، فكان له ولحاشيته ما أرادوا، فسار بصحبتهم ريموند حتى وصلوا عسقلان يجرون أذيال العار.

وهنا نتساءل هل كان رد المسلمين على احتلال بيت المقدس كلمات شعر قرضوها هزهم بها الحدث ودموعاً سكبوها وكانت كل ما فعلوا؟ هل خدَّر الخوف من الصليبيين أعصابهم وأسر الشلل جسدهم؟ وهل قنعوا بالتحسر وإبداء الأسى ونسبوه إلى المقادير؟ وهل يقول العاجزون إذا ابتلوا ألا إنه أمر الله يا نفسي فاصبري؟.

يبدو أن الخليفة ببغداد قد قنع بالدعاء لنصرة المؤمنين عوناً ومدداً لمن ابتلي منهم في بيت المقدس، إننا ندرك أن الخليفة كان أعجز من أن يبت في أمر تعيين أمير للجيش، أو في عزل وال، فهل كان يستطيع على هذه الحال من الضعف أن ينادي للجهاد، والناس شيع وأحزاب وقبائل؟ بالطبع لا، ولكن كيف كان موقف الفاطميين بمصر؟

أدرك الفاطميون عند سقوط القدس أن احتلال الفرنجة للبلد، ولغيره من المدن، وانضمام العناصر المسيحية إلى جانبهم سيؤدي بالضرورة إلى تقوية العنصر الأوروبي معنوياً، ومحاولته أخذ بقية المدن الساحلية التي بيد الفاطميين، الأمر الذي يجعل من شرق البحر المتوسط وحدة بحرية صليبية تنازع مصر السيادة، ومن المؤسف أن يكون هذا التحرك لأمور دنيوية ليس

★ بلاد الشام زمن الحملة الصليبية الأولى ★

فيها غيرة على الدين ولا على المسلمين، ولكونه جاء متأخراً ومتأخراً جداً، وكان هذا التحرك في (آب (أغسطس) ١٠٩٩ ــ رمضان ٤٩٢ هـ)[٥٢]، إذ جمع الأفضل أمير الجيوش عسكره، وحشد وسار إلى عسقلان، وأرسل إلى الفرنج رسولا ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم. لم يخف خبر التحرك عن سمع الصليبيين، فتردد صداه في القدس، وجمع الصليبيون قواتهم من بيت المقدس ومن نابلس، وعلموا بخطة الجيش الفاطمي، وبخروج الأفضل بنفسه على رأس المهاجمين وبلوغه عسقلان[٥٣]، إذ كان الفرنج بارعين في التقاط الأخبار، وما كان منهم إلا أن أعادوا رسول الأفضل ورحلوا على إثره، وطلعوا على الفاطميين عقيب وصول الرسول، والذين لم يكن لديهم علم بتحرك الصليبيين، ولم يكونوا يتوقعون زحفهم بمثل هذه السرعة، فلا عجب إذا هم فوجئوا ولم يجدوا الوقت لحمل السلاح، وبادر الصليبيون إلى القتال فلم يدعوا لهم فرصة يتأهبون بها، وهاجم الفرنج كوحدة متكاملة، في القلب روبرت النرماندي قومص فلاندر وتنكري، وفي الميمنة ريموند الصنجيلي، وفي الميسرة كدفري، وكر الصليبيون على الجيش الفاطمي فهزموه، وقتلوا منه من قتل، وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح.

هرب الأفضل في خواصه إلى مصر[٥٤]، ونازل الفرنج عسقلان، وضايقوها فما كان من أهلها إلا أن رغبوا أخيراً في ود الفرنجة، وقدموا إليهم حوالي اثني عشر ألف دينار، وقيل عشرين ألف دينار، وشرعوا في جبايتها، إلا أن مطامع الزعماء والجفاء بين بعضهم البعض أدت بهم للرحيل دون أن يقبضوا شيئاً ما، وانقسمت جيوش الصليبيين فتراجع ريموند إلى الشمال شطر **أرسوف**[٥٥] وشدد عليها الحصار مما حمل أهلها على الاستسلام، وملكها الفرنج بالأمان، وفتح تنكري **مقاطعة الجليل**، واتخذ **طبرية** عاصمة له[٥٦]، ثم تقدم فاحتل **بيسان**، وحصنها وأرغم البدو على ترك هذه المنطقة.

إذن سقطت مدينة بيت المقدس الحافلة بالذكريات الدينية العميقة، وهنا ظهر الخلاف واضحاً بين الصليبيين أنفسهم حول إدارة دفة الأمور بها، أتوكل إلى رجال الدين يديرون شؤونها ويصرفون أمورها، أم ينتقوا أحد الفرنجة الأمراء ليكون ملكاً؟

انقسم القوم فريقين لكل مؤيدوه ومناهضوه، أما رجال الدين فقد أنكروا أن يتوج أحد ما في البقعة التي تألم فيها المسيح، ثم إنهم قالوا إن بيت المقدس ليست كباقي مدن العالم ولكنها **مدينة الرب «Civitatis Dei»**، وهذه الفكرة لم تجد مكاناً خصيباً في نفوس الأمراء الذين غلبت المنفعة الذاتية منهم على الجانب الروحي، إذ رأوا في الملكية نوعاً من الاستقرار والهيبة لا يتوافران في غيرها من النظم السياسية التي تبتدعها الجماعات المختلفة.

وأخيراً اتفق الرأي على عقد مؤتمر يضم عشرة من رجال الدين والأمراء لتبادل وجهات النظر، ومنعاً لنشوب الفتنة، واتفقوا على وجوب اختيار واحد من الأمراء ليكون رئيساً ومديراً لشؤون بيت المقدس، وبدأ نزاع آخر بين الأمراء أنفسهم، من سيكون أهلاً لتولي هذه الرياسة، إذ كان الأمراء يرغبون في ملك لا يقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم وأهدافهم الدنيوية، ورجال الدين يكرهون أن يتولى الأمر فرد له شخصيته وقوته يحول بينهم وبين ما يطمحون في تحصيله، ولقد تم اختيار كدفري[٥٧]، وسيقت إليه مملكة القدس واكتفى بلقب حامي بيت المقدس.

كان سقوط القدس درة بلاد الشام بأيدي الصليبيين بداية لوقوع لآلئ

الحملة الصليبية الأولى

أخرى بأيديهم . **في سنة ٤٩٣ هـ**، خرج بيمند إلى **حصن افامية**، فبلغ الخبر **ابن الدانشمند التركماني** صاحب ملاطية (من البلدان الإسلامية المتاخمة لبلاد الروم) وسيواس فخرج ابن الدانشمند قريب ملاطية ولاقى بيمند، وهو من مقدمي الفرنج، كما نعلم وأسره .

●● **في سنة ٤٩٤ هـ**، قُتل كدفري صاحب بيت المقدس بسهم أثناء غارة له على عكا ومحاصرته لها، وكان قد عمر **مدينة يافا** وسلمها إلى تنكري، فلما قتل كدفري سار أخوه **بغدوين** صاحب الرها إلى بيت المقدس .

ملك الفرنج من العام نفسه مدينة سروج من بلاد الجزيرة، وكذلك مدينة حيفا ملكوها عنوة، وملكوا أرسوف بالأمان .

●● **في سنة ٤٩٥ هـ**، تقابل صنجيل الفرنجي مع قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وكانت الغلبة فيها لقلج أرسلان، وبعد انهزام ريموند الصنجيلي هذا قفل عائداً إلى الشام فنازل أهل طرابلس وقاتلهم وحاصر مدينتهم أعانه على ذلك أهل الجبل، فهادنه صاحبها **ابن عمار** على مال وخيل، فرحل عنها إلى انطرسوس (طرطوس) وهي من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها .

في السنة نفسها أُطلق بيمند الفرنجي من أسره، وحاصر ريموند الصنجيلي حمص وملك أعمالها، ومضى إلى عكا في جمادى الآخرة يبغي أخذها، وضيق عليها، وكادت أن تسقط إلا أن اجتماع المسلمين من سائر السواحل وإحراقهم أبراج الفرنج وسفنهم قد أنقذ عكا .

في رجب من العام نفسه خرجت العساكر الفاطمية إلى عسقلان، وتقابلت مع بغدوين صاحب القدس، وكان النصر حليفاً للمسلمين، وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم مقدمهم بغدوين .

●● **في سنة ٤٩٦ هـ**، جهز الأفضل عسكراً بقيادة ابنه **شرف المعالي**، وسير الأسطول في البحر فالتقوا هم والفرنج في يازور بقرب الرملة فانهزم عسكر الصليبيين .

وبخروج هذه السنة كان بيد الفرنج بيت المقدس ـ فلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضاً يافا، وأرسوف وقيسارية وحيفا وطبرية واللاذقية وأنطاكية، ولهم بالجزيرة الرها وسروج .

●● **في سنة ٤٩٧ هـ**، اجتمع الفرنج على قتال طرابلس ومنازلة صاحبها ابن عمار، لكنهم رحلوا عنها ونزلوا **مدينة جبيل** وملكوها بالأمان، بعد أن استبسل أهلها في القتال، لكن الفرنجة لم تف بالأمان وأخذوا أموال أهلها وساموهم العذاب .

حاصر الفرنجة في السنة نفسها عكا وملكوها، وملكوا حصن بسرفوت، وكان من أمنع حصون جبل بني عليم من حيز حلب .

●● **في سنة ٤٩٨ هـ**، ملك الصليبيون حصن أرتاج القريب من حلب .

●● **في سنة ٤٩٩ هـ**، سار الفرنج إلى أفامية (في سهل الغاب السوري) فحاصروها، وملكوا البلد والقلعة، وأخذوا أيضاً سرمين، وهي من أعمال حلب، وملكوا في السنة نفسها مدينة جبلة، ثم ساروا منها إلى طرابلس وحاصروها، وبنى ريموند الصنجيلي بالقرب منها حصناً، وهو المعروف بحصن صنجيل، وبنى تحته ربضاً، الذي أحرقه ابن عمار صاحب طرابلس وهلك صنجيل على إثر حرق بجسمه .

●● **في السنة التالية ٥٠٠ هـ**، سار صاحب دمشق إلى حصن بالقرب من طبرية كانت به جماعة من الفرسان الصليبيين فقاتله وملكه وقتل من كان فيه . وفي هذه السنة نشب الخلاف بين ملك الروم وبين بيمند الفرنجي وساعد قلج أرسلان التركماني ملك الروم على بيمند النرماندي، فكسر الفرنج كسرة شنيعة أتت على أكثر جيش بيمند بالقتل والأسر .

والمدقق للحملة الصليبية الأولى يتبين في غير عسر أنها كانت حملة إقطاعية بجانب ما يمكن أن توصف به من الصفات الأخرى، فالأمور الدنيوية كانت تملك عليهم جانباً كبيراً من تفكيرهم وعملهم، وكان الدين شعاراً يخفي مطامعهم . ألم يهدد القومص بيمند الأمراء بالانسحاب من حصار أنطاكية وهم على أبوابها والأفول إلى أوروبا بمن معه إن لم يعاهدوه على تسليمها له . كما أن انفصال بغدوين واستئثاره بإمارة الرها يشير إلى انحرافه ورجاله عن الهدف الذي خرجوا من أجله من أوروبا ليستقروا في شمال العراق وتنقطع كل صلة لهم برفقائهم في الحرب وبيت المقدس .

ولكننا نرى بالرغم من الخلافات التي عصفت بهؤلاء الأمراء فإنها لم تكن عميقة إلى الجذور، فبعد تقاتلهم والمشاحنات بين بعضهم البعض اجتمعوا على سلام وتواكلوا وتآنسوا لأن موقفهم يدعوهم إلى جمع الكلمة، ولقد ألفوا أربع إمارات متحدة في نهاية الحملة ألا وهي إمارة القدس، وأنطاكية، والرها، وطرابلس، إلا أنها إمارة واحدة في الواقع، والنجدات كانت تصلهم بحراً على مراكب أهل بيزه وجنوه مرة أو مرتين في السنة، أما ملوك الشام، فكان المدد يأتيهم من العراق والجزيرة، وديار بكر وديار مضر ولم تبخل به مصر إلا أن الشمال وعاصمته حلب حرم من رجل عاقل يسوس أمور البلاد، ويدبر أمور الرعية، ويصد عنها أخطار الفرنج، ولو كتب له حاكم مثل حاكم دمشق طغتكين لتيسر إنقاذ البلاد، والإجهاز على أعدائها، ولما استطاع الفرنج أن يجبوا إتاوة من حلب وحماه وحمص ونجت كما نجت دمشق من إرضاء الفرنج بالمال على عهد طغتكين الذي حكم دمشق من سنة (٤٩٧ هـ) حتى سنة (٥٢٢ هـ)[٥٨]، وكان على غاية العدل والبعد عن الظلم، ولو كان جميع أمراء الشام على مثل سيرة طغتكين لخفت وطأة الفرنج كثيراً، وماذا يرجى من خير الأمراء إذا كان صاحب بعلبك يطلعهم على عورات المسلمين، وصاحب أفامية يقطع السابلة، وابنه يحث الفرنج على قصد بلد أبيه، وصاحب حمص يشارك قطاع الطريق .

هذا ما كان من أمر أمراء الشام، وأما ما كان من أمر مصر فإن المؤرخين يشيرون بأصابع الاتهام إلى الدولة الفاطمية لتهاونها في الغزو والجهاد، ويروي لنا **ابن تغري بردي** في كتابه **«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»** أن الآمر بأحكام الله ابن المستعلي (وإن شئنا الدقة فإن الحاكم الفعلي للبلاد كان الأفضل بن بدر الجمالي) كان يتناهى في العظمة، ويتقاعد

عن الجهاد حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيامه ، وهو لم ينهض لقتال الفرنج البتة ، ورب قائل يقول ، ولكن الأفضل أرسل مع عسكره أسطولا لنجدة الساحل ، فإننا نقول له فهو كلا شيء . ولما لم ينهض أحد من المصريين لقتال الفرنج عند دخولهم الشام ، علمت الفرنجة ضعف من بمصر . وظهر اكتراث أهل مصر بالفرنج من وجهتين :

١ ــ تقاعسهم عن المسير مدة طويلة .

٢ ــ ضعف العسكر الذي أرسلوه مع أسطول مصر .

ولم تثمر أكثر نجدات وحملات الفاطميين الثمرة المطلوبة ، بل خففت جزءً صغيراً من الشر مدة ، وقوى ذلك قلوب بعض أهل الأرجاء المحصورة ، ونفس خناقهم ، وأوهمهم أن وراءهم قوة الفاطميين عند مسيس الحاجة يستصرخون بها فتنجدهم ، والحقيقة أن الفاطميين على قوتهم من العدد والعُدد لم يستطيعوا أن يذبوا حقيقة عن عسقلان ، ولا عن صور وصيدا وطرابلس وبيروت ، ناهيك عن الأصقاع الأخرى ، فهل كانت الدولة الفاطمية تحتضر آنذاك ؟.

حينما أدرك الأفضل أن مطامع الفرنج غير بعيدة عن مصر ثارت حميته لتثأر للكرامة المهدورة ، أما كان لها أن تثور دفاعاً عن الإسلام من قبل وتصد الفرنجة ؟ ، ولكن هيهات ، فإن إرساله أبرع قواده وحتى أولاده لا يمكن أن يمحي له تاريخه غير المنير .

ومع هذا كله فإن الأفضل لم يترك باباً إلا طرقه ، ولا طريقاً أوحت له نفسه بسلكه ففعله ، حتى أنه حاول أن يعقد صلحاً مع أتابك دمشق[٥٩] لم يوفق به ، وهكذا ضاعت أملاك الفاطميين في الشام ، وأخذت فلسطين تسقط مدينة بعد بلدة ، وقرية قبل مدينة في يد الصليبيين ، وأضحت رايات الفرنجة تخفق في سماء الشام والعلم الإسلامي ينسحب حزيناً .

كان هذا استعراضاً سريعاً للحملة الصليبية الأولى حتى نهاية القرن الخامس للهجرة وتأثيرها الحربي على الشرق لفقر الحملة الصليبية الأولى بالنتائج الأخرى ، إلا أن كلمة تقال إن هذه الحملة خلقت الاحتكاك بين المشرق الإسلامي والغرب ، وهزت هذا الشرق من رقاده هزة عنيفة ، ونبهت المسلمين إلى أخطار التجزئة ونبذ الضغائن والفرقة والمذهبية ، ومن المؤسف حقاً ألا تهز الشرق إلا النكبات ، وليتها توقظه .

الهوامش

١ ــ ابن الأثير (الكامل في التاريخ)، ج ١٠ ، ص ١٤٠ .

٢ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

٣ ــ المصدر السابق .

٤ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، دار الفكر العربي ، ص ٣٣ .

٥ ــ جورج حنا (قصة الإنسان)، دار العلم للملايين ، ص ٩١ .

٦ ــ Chalandon: Essai sur la règne d'Alexis Comnene, P. 155 - 158 .

٧ ــ Vasiliev: L'Empire Byzantine t II, P. 19 .

٨ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ١٥١ .

٩ ــ Riant: Inventaire des lettres Hist. des croisades t 1. P.2 .

١٠ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(*) بغدوين (بلدوين ــ بودوين ــ بردويل) : أجمع معظم المؤرخين العرب على استعمال اسم بغدوين بدلا من الأسماء الأخرى .

١١ ــ ينسب الصنجيلي إلى إحدى المدن الأوروبية : صنجيلة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان)، ج ٣ ، ص ٤٢٥ .

١٢ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٤٠ .

١٣ ــ ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق)، ص ١٣٥ .

١٤ ــ Gibb,H.AR, Damascus chronicle of the Crusaders, P. 42 .

١٥ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٤٢ .

١٦ ــ Stevenson. Crusaders in the east, P. 22 .

١٧ ــ Mathiew d'Edesse: Documents Armeniens t 1. P. 37 - 38 .

١٨ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٤٨ .

١٩ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٤٩ .

٢٠ ــ Chalendon: Histoire de la première croisade, P. 163 .

٢١ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ص ٢٥٢ .

٢٢ ــ ابن العديم (منتخبات من تاريخ حلب)، ص ٥٨١ ــ ٥٨٢ .

٢٣ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٧٥ .

٢٤ ــ ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق)، ص ١٣٤ .

٢٥ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٥٤ .

٢٦ ــ المصدر السابق ، ص ٥٤ .

٢٧ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ .

٢٨ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٥٩ .

٢٩ ــ ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، ج ٥ ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ .

٣٠ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ .

٣١ ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

٣٢ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

٣٣ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٧٢ .

٣٤ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٥٩٥ .

٣٥ ــ حسن حبشي ، ص ٥٦ .

٣٦ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

٣٧ ــ المصدر السابق .

٣٨ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ .

٣٩ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٧٥ .

٤٠ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ص ٢٥٣ ، ج ١ .

٤١ ــ المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

٤٢ ــ المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٤٣ ــ حسن حبشي ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

٤٤ ــ Fouchers de Chartres: Gesta Francorun Jerusalem expugnantium t IV P.354 - 355.

٤٥ ــ حسن حبشي (الحرب الصليبية الأولى)، ص ٨٢ .

٤٦ ــ المصدر السابق .

٤٧ ــ ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ .

٤٨ ــ حسن حبشي ، ص ٨٣ .

٤٩ ــ المصدر السابق ، ابن الأثير (الكامل)، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ .

٥٠ ــ Encyclopaedia Britanica, Vol. 5, P. 300 .

(**) المذاكي من الخيل : الكبيرة (التي تخوض المعارك) .

(***) القشاعم : النسور .

٥١ ــ المصدر السابق .

٥٢ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٥٩٥ ــ ٥٩٦ .

٥٣ ــ ابن القلانسي ، (ذيل تاريخ دمشق)، ص ١٣٦ .

٥٤ ــ المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

٥٥ ــ حسن حبشي ، ص ٨٨ .

٥٦ ــ المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٥٧ ــ المصدر السابق ، ص ٩٢ .

٥٨ ــ محمد كرد علي (خطط الشام)، ج ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٥٩ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٥٩٦ .



وادي العقيق .. في التاريخ

بقلم : محمد محمد حسن شراب

على العقيــق اجتمعنـا نحن وسـود العيـون
مـا بـال مجنـون ليلى قد جُن بعض جنوني

ما مصدر العذوبة التي تترقرق في هذا الغناء ، ومن أين هذا الجمال الذي تشف عنه حروف الشعر ، وما النبع الذي تتدفق منه عاطفة رقيقة تتلألأ نوراً ، يفتقها ندى ينبعث برده بين الضلوع فيأوي السامع إلى هدوء ساحر جذاب ، يأخذ بمجامع الألباب ؟ .

إنه وادي العقيق الذي تغنّى به الشعراء ، وصار لحناً على أوتار المغنين ، واد في المدينة المنورة .

وفي بلاد العرب عدد من الأمكنة تسمى « **العقيق** » منها : **عقيق عارض باليمامة** ، ومنها : **عقيق البصرة بالعراق** ، **والعقيق قرية بالطائف** ، ومنها وادي العقيق في المدينة المنورة موضوع مقالنا هذا ، ولكن واحداً من هذه الأماكن ، لم ينل شهرة كما نالها عقيق المدينة ، ولم يقل الشعراء في وادٍ كما قالوا في عقيق المدينة . . ونال عقيق المدينة حظاً وافراً من عناية علماء التاريخ ، فألّفوا فيه الكتب المطولة ، لكنها ضاعت كلها ولم يصل إلينا إلا نقول منها في كتب متفرقة .

وممن ألّف في « العقيق » **الزبير بن بكار** ، **وأبو علي هارون بن زكريا الهجري** ، وكلاهما له كتاب باسم العقيق .

وادي العقيق . . طوق المدينة الجميل طاف بالمدينة من غربها وشمالها ، بما وهبه الله من عذوبة مائه ، وجمال أشجاره ، وطيب هوائه ، ورقة أهله وسكانه ، فكان حقاً زينة المدينة فوق ما وهبها الله من زينة .

واختلف الرواة في **سبب تسميته « العقيق »** . فقال جماعة من اللغويين : لأنه **عَقَّ الحَرَّة** ، أي شقها وقطعها . وقيل : سمي بذلك **لحمرة حجارته وأرضه** ، فكأنه أخذ لون العقيق . ونسب قوم تسميته إلى **تبّع ملك اليمن** قبل الإسلام ، حيث مرّ بالعقيق فقال : « هذا عقيق الأرض » .

منزلته وفضله

وقد ورد في فضل عقيق المدينة أحاديث ومأثورات كثيرة . منها ما روي في الصحيح عن عمر بن الخطاب قال : **« سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول بوادي العقيق : أتاني الليلة آت فقال : صل في هذا الوادي المبارك »** . **وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ركب إلى العقيق ثم رجع فقال :**

« يا عائشة ، جئنا من هذا العقيق ، فما ألين موطئه ، وأعذب ماءه ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، أفلا ننتقل إليه ؟ فقال : كيف وقد ابتنى الناس ؟ » .

وروي **أن عمر بن الخطاب** ، كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سال ، قال اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك .

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أقطعه **بلال بن الحارث المزني** ، فلم يقدر على إصلاح أرضه ، فلما ولي عمر بن الخطاب قال له : إن رسول الله لم يقطعكه لتحجره ، **فأقطعه عمر الناس** .

قصور العقيق

ومنذ زمن عمر ، بدأ ينتشر العمران في العقيق ، وكثرت مزارعه ، وسكنه الناس ، ولكن الازدهار لهذا الوادي كان في **العصر الأموي** ، حيث كثرت الأموال في أيدي **القرشيين والأمويين** ، فبنوا القصور وحفروا الآبار ، وأقاموا السدود ، وزرعوا البساتين . وكان كثير من سَراة الناس يحب سكنى المدينة ، ليجمع بين متاع الآخرة بقربه من مسجد رسول الله ، وبين متاع الدنيا حيث كانت المدينة هادئة بعيدة عن القلاقل السياسية بعد انتهاء حركة **ابن الزبير** .

وقد تنافس **القرشيون** في بناء قصورهم على ضفاف وادي العقيق ، كل يريد أن يظهر قصره أكثر بهاءً وجمالا . ومما ذكر في المباهاة بالقصور ، ما قاله **عروة بن الزبير** يفاخر بقصره ، ويصور نظرة الناس الحاسدة :

بنيناه فأحسنا بناه
بحمد الله في خير العقيق
تراهم ينظرون إليه شزراً
يلوح لهم على وضح الطريق
يراه كلُّ مرتَفِقٍ وسارٍ
ومُعْتَمر إلى البيت العتيق

وكانت بجانب هذا القصر بئر عذبة الماء ، مقصودة لكل من يريد الشفاء ، وروي أن الخارجين من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ممن يمرون بالعقيق ، يخففون من الماء حتى يتزودوه من **بئر عروة** . وكان يُحمل ويغلى ثم يوضع في قوارير ويهدى إلى **هارون الرشيد** في العراق .

ومن قصور العقيق المشهورة في التاريخ ، **قصر سعيد بن العاص** ، أحد مشاهير الأجواد ، وأمير المدينة في عهد **معاوية بن أبي سفيان** ، وكان قد بناه في عرصة العقيق وغرس بجانبه النخل والبساتين ، وفي هذا القصر ونخيله قال **الشاعر أبو قطيفة :**

والقصر ذو النخل فالجماء بينهما
أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

فالشاعر يفضل هذا القصر على ما لمدينة دمشق من مناظر خلابة .
وكانت أكثر المناطق ازدحاماً في العقيق ، تبدأ من **ذي الحليفة**





وادي العقيق .. في التاريخ

(آبار علي) محرم حجاج المدينة ، حتى تصل إلى الغابة ، **غابة الزبير** وراء **جبل أحد** حيث عمرت هذه المنطقة بالسكان من العصر الأموي حتى بلغ سكانه ــ كما يروي **المطري** ــ أربعين ألف نسمة ، وكان لكثرة سكانه يُعَيَّن له أمير من قبل أمير المدينة ، وكانت تقام صلاة الجمعة في **مسجد الشجرة بذي الحليفة** .

وقد بقيت آثار القصور حتى بداية القرن الحادي عشر الهجري ، ويقول الذين شاهدوها : **إنها تدل على ما كان بالعقيق من القصور الفائقة ، والمناظر الرائعة ، والآبار العذبة الحسان ، والحدائق الملتفة الأغصان ، دثرت على طول الزمان ، وبقي هناك بعض الآبار وبقايا الآثار فترتاح النفوس برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نسمتها** ، فهي كما قال الشاعر **أبو تمام :**

ما ربع ميّة معموراً يطيف به
غيلانُ أبهى ربا من ربعها الخَرِبِ
ولا الخدود وإن أُدمين من نظر
أشهى إلى ناظر من خدها التَرِبِ

وقال آخر :

ألا أيها الربع المُحتُّون هل لكم
بأهل عقيق والمنازل من عِلْمِ
فقالوا : نعم تلك الطول كعهدها
تلوح وما يغني سؤالك عن عَلَمِ

وفي وادي العقيق الشجرة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينزل تحتها حين يعتمر وفي حجته حين يحج . وفي موضعها الآن المسجد المبني في ذي الحليفة الذي يحرم منه الحجاج والمعتمرون الخارجون من المدينة .

وممن سكن العقيق من الصحابة : **سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو هريرة ، والمقداد بن عمرو** ، وكانت لهم منازل ومزارع ، وجاء أجلهم وهم بالعقيق وحُملوا على أعناق الرجال إلى **البقيع** في المدينة .

بين الأمس واليوم

وقد بدأ عمران العقيق في النقصان منذ **العصر العباسي** حتى كاد ينتهي في القرن الثالث الهجري ، حيث اضطرب حبل الأمن وبنيت الأسوار حول المدينة ، وهجر الناس ما وراء الأسوار من العمران . ثم بدأت الحياة تعود إليه من جديد في عصرنا الحاضر ، فنجد مزارع تتجدد ، وبيوتاً تبنى ، وقصوراً تشاد ، ويقبل الناس على عمرانه وزراعته ، فهو لا زال أنق هواءً وأعذب ماءً .

وما زال العقيق أحد متنزهات المدينة ، يهرع إليه الناس صيفاً لاستنشاق هوائه الندي العليل والاستمتاع بمناظر حدائقه الغنّاء . فإذا سال الوادي شتاءً تداعى السكان إلى شواطئه لينظروا إلى مائه يتدفق كالنهر ، يجلب معه الخصب والنماء إلى أرض المدينة المعطاء . وبهذا نعرف السر الذي جعل الشعراء يكثرون من ذكره ويتغنون بجماله ويحنون إلى مسكنه وسكانه ، فكان شعرهم فيه من أرق ما قيل في الحنين إلى الديار كما قال بعضهم : « **إن ذكر العقيق وحاجر تتدفق الدموع من المحاجر** » . وما أرق قول **الشاعر عبد السلام بن يوسف** يحن إلى العقيق :

على ساكني بطن العقيق سلام
وإن أسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليَّ النوم وهو محلل
وحللتمُ التعذيبَ وهو حرامُ
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة
وهل لي بتلك البانتين لمامُ
وهل نهلة من « بئر عروة » عذبة
أداوي بها قلباً براه سِقامُ

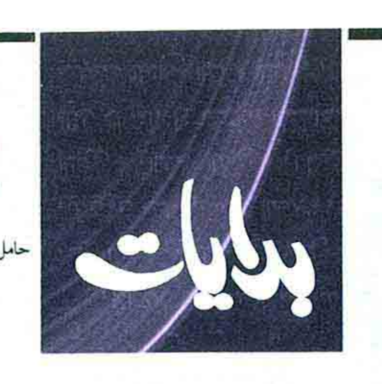
وإذا كان لكل مدينة معلم يذكّر بها ، ويرمز إليها ، فإن العقيق من رموز المدينة ومعالمها التي يتغنّى بها الشعراء عندما يحنون إلى المدينة ، ويذكرون صاحبها عليه الصلاة والسلام . ويكثر ذكر العقيق في المديح النبوي ، والشعر الديني ، والحنين إلى الأماكن المقدسة في الحجاز . من ذلك ما جاء في قصائد **الشاعر يحيى بن يوسف الصرصري ،** صاحب المدائح النبوية السائرة ، المتوفي سنة ٦٥٦ هـ ، قال من قصيدة :

بين « العقيق » وبين « سلع » مربع
للقلب فيه وللنواظر مرتع
عَطِر الثرى أرج كأن لطيمةً
من مسك « دارين » به تتضوع
كلفي ببانات العقيق وإنما
وجه اشتياقي بالحجاز مبرقع

وقال من قصيدة :

لي بين « سلع » و « العقيق » عهود
يبلى الزمان وذكرهن جديدُ
أيام أرفل في جلابيب الصِّبا
وعليّ من خِلَع الوصال بُرودُ

بكرة تغذية
بكرة سحب
أسطوانة توجيه الشريط
حامل حساس
رأس الصوت ورأس التحكم في الشريط
رأس الفيديو
عمودين لتوجيه الشريط
حامل حساس
قرص رأس التسجيل
محرّك الشريط
عمود توجيه الشريط
محرّك قرص رأس التسجيل



الفيديو

مثلما يقوم جهاز التسجيل الصوتي باختزان الذبذبات الصوتية وإعادة إذاعتها، **يقوم الفيديو بتسجيل الإشارات المرئية والصوتية وإعادة إذاعتها على شاشة التلفزيون. وشريط الفيديو** (الفيديوتيب) مصنوع من البلاستيك المكسو بأوكسيد ممغنط. وفي هذه الجزئيات يقوم رأس التسجيل بتخزين الإشارات، ومن ثم يصبح الشريط جاهزاً لعرض المادة المرئية والصوتية المسجَّلة دون أية عمليات تحضيرية أخرى.

وبالنسبة للتسجيل الصوتي فقد كان المهندس الدنماركي **فالديما ـ بولسن** هو أول من استطاع تسجيل الصوت على سلك رفيع من الصلب في جهاز **التليغرافون** الذي ابتكره عام ١٨٩٨م، لتسجيل الإشارات البرقية.

وأما **أول مرة يتم فيها التسجيل على شريط الفيديو**، فكانت عام ١٩٢٨م، عندما ابتكر **جون لوجيه بيرد** جهاز **الفونودسك**، لكنه أخفق دون تحقيق أي نجاح تجاري. ثم مرَّ ثلاثون أو أربعون عاماً دون أن تشهد صناعة الشريط الممغنط تطوراً ملحوظاً، حتى كانت **الحرب العالمية الثانية** التي شهدت استخداماً مكثفاً لذلك الشريط في الأغراض الحربية.

ومع نهاية الأربعينات فرض انتشار التلفزيون الحاجة إلى توفر البرامج المسجلة دون الاعتماد على الأفلام وحسب.

هذا، ومع بداية الخمسينات كان ظهور **الترانزستور** كتحول بالغ الأهمية في صناعة **الإلكترونات**. وفي عام ١٩٥٦م، أنتج **جينزبرج ودولبي أوف أمبكس** أول جهاز فيديو، له أربعة رؤوس للتسجيل وأربعة أخرى للعرض، والثمانية مثبتة كلها بزوايا قائمة على **دسك** دوَّار. أما الشريط فكان عرضه بوصتين ويدور حول الرؤوس بسرعة قليلة نسبياً (٣٨ سم/ ثانية)، ارتفعت بعد ذلك إلى ٣٩,٤ سم/ ثانية. وهكذا يعتبر جهاز **أمبكس** هو **أول منتج تجاري للفيديو، خصوصاً وأن صورة تسجيله كانت على نفس جودة ووضوح الصورة المنقولة على التلفزيون مباشرة.**

في عام ١٩٥٩م، **ابتكرت شركة «توشيبا» اليابانية نظام التسجيل اللولبي أو الحلزوني في جهاز ذو رأس واحد وشريط يدور بسرعة ١٩ سم/ ثانية، واستهلاك ينخفض إلى نصف الطاقة اللازمة لتشغيل فيديو أمبكس.**

الجدير بالذكر أن الفيديو كان ـ حتى أوائل السبعينات ـ يتكون من جهازين أحدهما للتسجيل والثاني للعرض، والشريط يسجل باللونين الأبيض والأسود فقط. ومع عام ١٩٧١م، كان عدد أجهزة الفيديو المنزلية محدوداً جداً، وكان استخدامه مقصوراً، إلى حد كبير، على تسجيل البرامج التعليمية في المعاهد والشركات الصناعية. وفي نفس العام بدأ إنتاج عشرين نظاماً لتسجيل **الفيديو كاسيت**، بعد أن كان الشريط من نوع «**الكارتريدج**» الأكبر من ذلك المستخدم في مسجل السيارات، وكانت الدول التي تتصدر إنتاجه مقصورة على الولايات المتحدة الأميركية واليابان وهولندا.

★ الكاميرا ★



★ جهاز الفيديو ★



بقلم: عبد الرحمن حمد السنيدي

تردد ذكر شقراء في كتاب (رحلة عبر الجزيرة العربية) للكابتن جورج . ف . سادلير ، بألفاظ مختلفة وفي ثلاثة عشر موضعاً كما يتضح ذلك من مسرد المواضع ، والحقيقة أن هذا اللفظ في هذا الكتاب لثلاثة مواضع متباعدة داخل الجزيرة العربية .

فشقراء التي وردت في صفحة (٢٠) تقع في **عُمان** وتبعد عن **البريمي** مسيرة يومين باتجاه الداخل[١] وبالرواحل طبعاً . وكان زعيمها آنذاك **سلطان بن صقر**[٢] ، وقد ورد اسمه كاملاً في **عنوان المجد لابن بشر**[٣] سلطان بن صقر بن راشد بن مطر ، وأنه كان حاكم رأس الخيمة[٤] وهو زعيم القواسم .

والموضع الثاني شقراء التي قرب **حائل** ، جبل شمر[٥] ولم يمر سادلير على هذا الموضع ولا يعلم عنه شيئاً لكنه رأى هذا الاسم على الخارطة التي كانت بحوزته وقد رسمها **الرحالة بينكرتون** قبله ، ولذلك خطّأه وظن أنها شقراء الوشم أزيحت عن موضعها للشمال وهو مورد ماء معروف .

أما **الموضع الثالث** فشقراء عاصمة الوشم وهي في وسط نجد إلى الشمال الغربي من الرياض بأقل من مئتي كيل ، وقد تحدث عنها ووصفها كثير من المؤرخين والرحالة[٦] .

والمواضع التي بهذا الاسم أو اشتقاقاته كثيرة داخل الجزيرة العربية ، وقد ذكرها **الدكتور محمد سعد الشويعر** في مقالة له نشرتها مجلة **« الفيصل »**[٧] .

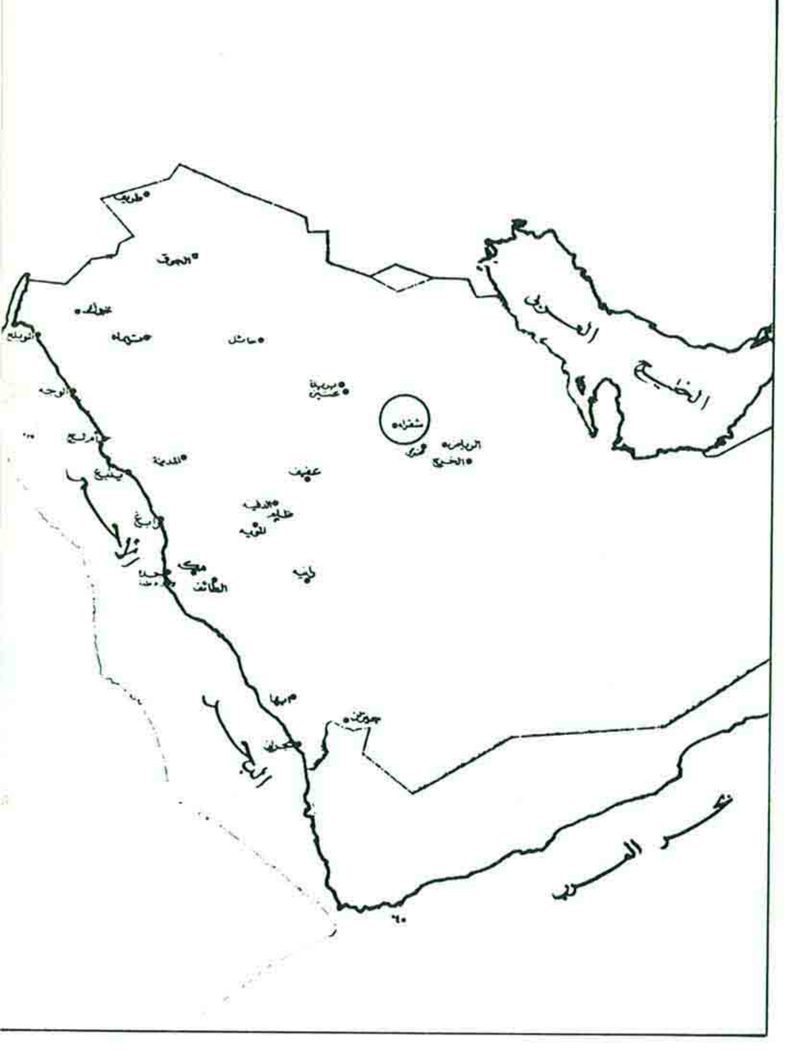
سادلير .. يصف شقراء

أمّا سادلير فيصف شقراء عام ١٢٣٣ هـ ــ ١٨١٩ م . إذ كان وصوله إليها في التاسعة والنصف من صباح اليوم السابع عشر من شهر أغسطس (آب) عقيب تدمير **إبراهيم باشا** لسورها وقلاعها ، وهاهو يصف ما رأى في مذكراته[٨] :

« السابع عشر من آب (أغسطس) : سرينا في الثالثة والنصف من هذا الصباح . الصحراء منبسطة تماماً ومفروشة بالحصى ومجدبة كالمعتاد باستثناء بعض الأشجار الكبيرة ، وفي الساعة الخامسة مررنا بقرية قرين[٩] ، وكانت عن يسارنا ، وفي الثامنة صادفنا بعض الحطام وبعض أشجار النخيل ، وكان طريقنا حتى الآن يسير بشكل مباشر نحو الشمال والشمال الغربي ، ومن موقع هذا الدمار انعطفنا نحو الغرب وهبطنا وادياً إلى شقراء وحططنا الرحال في التاسعة والنصف صباحاً . وينفتح السهل الذي قطعناه إلى الغرب بشكل مفاجئ . ومن هذه البقعة ظهر نجد مرتفع [ينحدر][١٠] انحداراً شديداً .

وموقع شقراء منخفض جداً ، ويبدو أن أسوارها قوية جداً ، فقد صمدت ثمانية أيام في مواجهة قوات الباشا ، وقد دمرت الأسوار وبقيت البلدة قائمة فيها مسجد جيد وسوق ، ومزروعات النخيل التي تحيط بها واسعة جداً وتروى بكميات كبيرة من الماء العذب المستخرج من آبار عميقة . ولسوء الحظ أن أربعة من العرب سقطوا في إحدى هذه الآبار ولم ينقذ سوى اثنين منهم (الثامن عشر من آب (أغسطس)) .

ثم انطلقنا في الخامسة وقد تأخرنا ساعتين ونحن نحاول أن نجمع البدو



الذين أسرُوا النجوى وهرب كثير منهم بجمالهم . قطعنا السهل الذي يلي شقراء باتجاه الغرب ، ودخلنا وادياً قادنا إلى سهل صحراوي واسع جداً ذي سطح مفروش بالحصى ، وحثثنا الخطى تحت شمس محرقة حتى الواحدة بعد الظهر حيث توقفنا عند سلسلة من التلال الرملية الحمراء القاحلة التي لم يتوفر فيها ماء ولا علف . ولقد ذقنا العذاب خلال سيرنا عندما كنا نرى الماء عن بعد حتى إذا وصلناه لم نجده شيئاً فهو مجرد ظاهرة جوية عابرة في الصحراء ، وأحاط بنا ما يشبه البخار يسمى السراب كمحيط من الماء . مررنا في طريقنا على ما يزيد عن عدة آلاف من نبتة **الحنظل** التي لو كان لنا أن نستبدلها بما يعادلها من البطيخ لهيأت لحناجرنا الظمأى أعظم ارتياح . . » اهـ .

إن المسافة من **ثرمداء** إلى شقراء تقارب ثلاثين كيلاً قطعتها بعثة سادلير في ست ساعات ، أما راكب الجمل المجد فيطويها في أقل من ثلث هذا الزمن ، ولكن كثرة هذه البعثة وأحمالها وعتادها يبطئ بسيرها .

عندما حاذت هذه البعثة بلدة **القرائن** لم تعرج غرباً وتسلك الطريق الذي شقه الخط المعبد الآن بل استمرت مشملة حتى مرت بقصور شقراء في الساعة الثامنة فألفاها حطاماً وبقايا أشجار نخيل ، وهي الآن مزارع عامرة شرقي شقراء ستة أكيال تقريباً .

أما السهل الذي قطعه سادلير غرب شقراء فيعرف بالرحاب (جمع رَحْبَة) ، وبالتأكيد أن بعثته سلكت **وادي الخليف** شمالي أودية شقراء لأنه يتسع لعبور القوافل ، ولم يذكره **عبد الله بن خميس** في معجم اليمامة مع أنه ذكر أودية شقراء التي تصب فيها من **صفراء الوشم** . وهذا الوادي يفضي إلى **الفَرْوَحَة** براح متسع جداً مفروش بالحصى ، كما وصف سادلير ، وإلى الغرب منه بمسافة كبيرة **نفود البترا** وهي التلال الحمراء التي توقفت عندها هذه البعثة الساعة الواحدة ظهراً في الثامن عشر من أغسطس (آب) عام ١٨١٩ م .

وجاء في تعليقات المحقق لهذه الرحلات ص ٢٩٠ ، ما يلي : « شقراء قال عنها **الشيخ محمد البسام** الذي عاصر تلك يعني حملات إبراهيم باشا في كتابه « **الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر** » ، ص ٣٣ ، من المخطوطة قال : « شقراء ذات رمل وليست **كثادق** ولا شطره ، وحاكمهم اسمه **إبراهيم بن سنحان** » .

ولم أعثر على هذا القول في النسخة المطبوعة من كتاب الدرر المفاخر[11] . وكلمة شطره الواردة في هذا التعليق تطبيع صحته ثرمداء . . وإبراهيم بن سنحان تطبيع كذلك صحته **إبراهيم بن محمد بن سدحان أمير شقراء** توفي رحمه الله عام ١٢٣٠ هـ ، قبل حملة إبراهيم باشا بثلاث سنوات ، وكان سلفه **عبد الله بن سدحان** أميراً لغزو الوشم سنة ١١٩٤ هـ ، في عهد **عبد العزيز بن محمد آل سعود** رحمه الله قتله جيش **سعود بن عريعر** في نفس العام أثناء رجوعه من المعركة[12] . وكان ابنه محمد ضمن من قتلهم الباشا صبراً في الدرعية ، ويحتمل أنه تولى الإمارة بعد الشهيد أمير شقراء وقائدها في معركتها مع الباشا **حمد بن يحيى بن غيهب** متأثراً بجراحه . وكان بيت الأمير إبراهيم بن محمد بن سدحان معروفاً في شقراء ، وفيه تعقد الاجتماعات والمشاورات ، وقد اجتمع فيه إبراهيم باشا بأمير شقراء حمد بن غيهب أتي به وهو جريح بين رجلين من بيته الذي لا يزال قائماً إلى الآن في حي المدينة ، وقاضي شقراء الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله الحصين** ، وانتهى هذا الاجتماع بعفو الباشا عن أهل شقراء[13] .

ويقع هذا البيت جنوب شرقي مسجد شقراء الجامع القديم الذي ذكره سادلير ، وكان هذا المسجد قائماً بمنارته الطينية المشمخرة الفريدة في إتقانها وجودتها حتى عام ١٣٨٥ هـ ، فهدم وبُني مكانه مسجد مسلح حديث . أما البيت فقد هدم أيضاً . وحدثني **عبد الرحمن بن محمد بن سدحان إمام جامع شقراء الكبير** أنه يعرف ذلك البيت ولا يزال يتذكر مجلسه الكبير المزدان بنقوش وزخارف الجص الهندسية ، وكانت هذه سمات بيوت الكبراء والأثرياء في نجد تشغل وتزخرف من الداخل والخارج . وآل سدحان فخذ من **بني زيد** ، أسرة معروفة بالكرم والطيب ، ولا يزال الكثير منهم في شقراء .

وثيقة الشجاعة

وفي الكتاب ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣ وثيقة تأريخية مهمة ، موضوعها ترجمة الكتاب التركي المرسل من إبراهيم باشا إلى الجناب العالي مفصلاً لمعركة شقراء ومبشراً بفتحها ، حررت بتاريخ ١٧ ربيع الأول عام ١٢٣٣ هـ ، ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٨١٨ م .

وفي ص ٢٦٤ ، اعتراف من الباشا بشجاعة جند التوحيد بشقراء ، وأنه لولا التعويل على المدافع لهلك جنده البائس .

وحملات إبراهيم باشا وخرابه لبلدان نجد مقيدة في كتب التاريخ ، ولا بد من التنويه بأن بلدان نجد وقفت بكل ما تستطيع من قوة وصمود في وجهه ، وكبدته الكثير من الرجال والأموال . ومن يطلع على أخبار **معارك الرس والقصيم وشقراء وضرما والدرعية** يعرف مقدار بسالة أهل نجد الموحدين ، ولكن قوة ووفرة السلاح المتطور خاصة المدافع الكبيرة[14] ، وتوالي الإمدادات بكل ما تحتاجه هذه الحرب وغيرها ، كل ذلك فوق كل شجاعة .

الهوامش

(١) ص ٢٠ ، من رحلة سادلير .

(٢) ص ١٦٦ ، من الرحلة .

(٣) تاريخ : عنوان المجد في تأريخ نجد للمؤرخ عثمان بن بشر ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، إشراف وطبع وزارة المعارف ، ط ٣ ، عام ١٣٩٤ هـ .

(٤) ابن بشر ، ص ١٩٦ ، جـ ١ .

(٥) ابن بشر ، ص ١٩١ ، جـ ١ .

(٦) ينظر عن شقراء (عدا المعاجم الجغرافية وكتب التاريخ) ، كتاب الرحلة النجدية لعاتق بن غيث البلادي ، مجلة (المنهل) ، مجلد ٢٨ ، جـ ٨ ، شعبان ١٣٧٨ هـ ، ص ٩ ، ومجلة (المنهل) أيضاً ، جـ ٧ ، مجلد ٢٩ ، رجب ١٣٨٨ هـ ، ص ٩٣٥ ، استطلاع مصور ، مجلة « الفيصل » ، ع ٤٣ ، س ٤ ، ص ٣٥ ــ ٤٩ ، استطلاع مصور ، المجلة العربية ، ع ١١ ، س ٥ ، ص ٣٨ ــ ٤٢ ، استطلاع مصور .

(٧) مجلة « الفيصل » ، العدد (٤٣) ، ص ٤٧ .

(٨) الرحلة ، ص ١٨٨ .

(٩) هي القرائن (الوقف وغسله) ، ولكنه يأخذ مسمياته من البدو والمرافقين له ، كما سمى مراة مرينْة ، ص ٨٨ .

(١٠) لا بد أن هذه الكلمة (ينحدر) سقطت فالسياق يقتضيها .

(١١) الدرر المَفَاخر في أخبار العرب الأواخر للشيخ محمد البسام التميمي ، وعثرت في هامش صفحة ٩٠ على (شقراء ذات رمل وليست كثادق ولا ثرمداء) ولم أعثر على باقي التعليق .

(١٢) ابن بشر ، ص ٨٨ ، جـ ١ .

(١٣) ابن بشر ، ص ٢٦٠ ، جـ ١ .

(١٤) الرحلة ١٤٥ / ١٤٦ .



عزيزي المُدَخِّن..

قِفْ!

هل تعلم؟

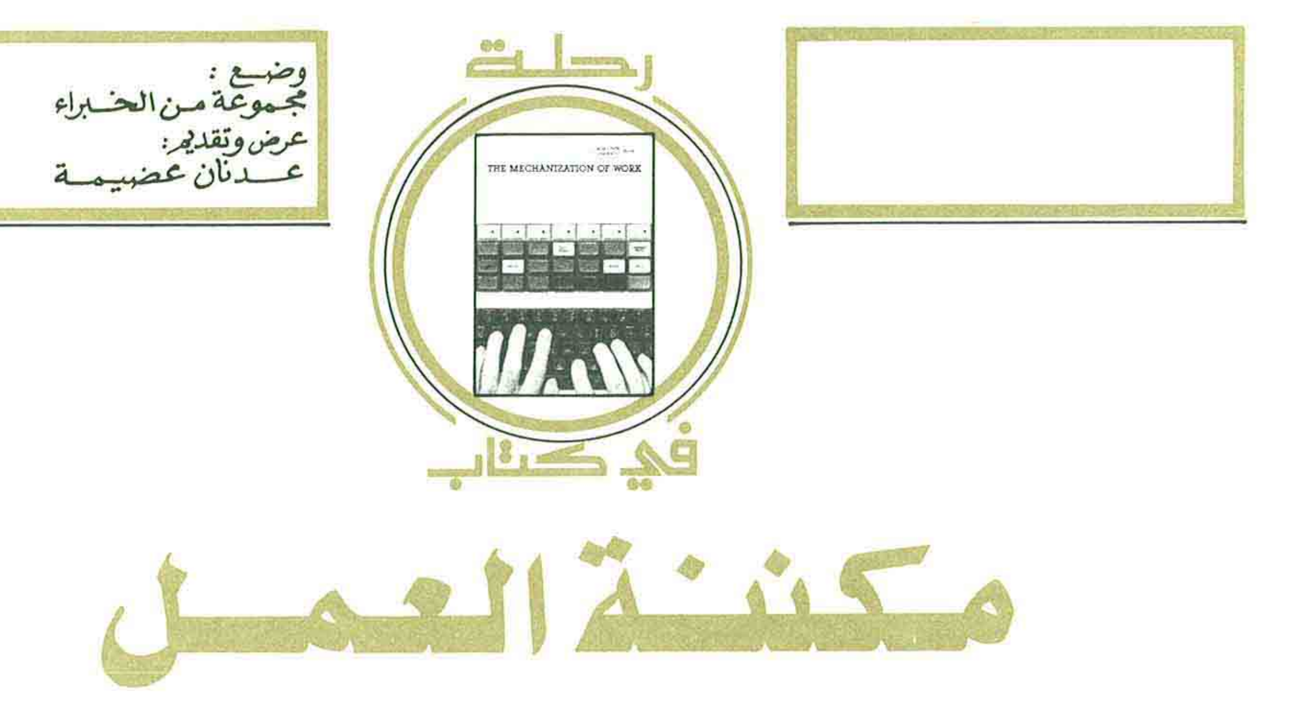
- أن التدخين أشد خطرًا من هذه الأمراض مجتمعة: السل، الجذام، الطاعون، الجدري؟
- وأن التوقف عنه يؤدي إلى تحسن صحتك بما لا تستطيع جميع الأدوية أن تفعله مجتمعة.

مع تحيات



والشركات التابعة لها





وضع : مجموعة من الخبراء
عرض وتقديم : عدنان عضيمة

مكننة العمل

إن تسهيل مهمة أداء العمل البشري بواسطة التكنولوجيا هو هدف حاول الإنسان بلوغه منذ القدم ، والآن دخلت هذه المهمة طوراً جديداً ، فالتسارع الذي طبع التطور التكنولوجي الذي كان من إرهاصات الثورة الصناعية كان من أهم نتائجه الاستغناء عن الجهد العضلي من مهمات الإنتاج ، كما أن الثورة الراهنة التي تشهدها تكنولوجيا معالجة المعلومات data processing technology ، التي تجلت حتى الآن باختراع أجيال عالية التطور من الحاسبات الآلية (الكومبيوتر) ، والآلات ذاتية التنظيم self regulating machines ، والإنسان الآلي ROBOT أدت إلى التوسع الهائل في الحصول على المعلومات وتبسيط طرق معالجتها والاستفادة منها ، وأصبحت تهدد باستبعاد العقل البشري من مهمات الإنتاج ، وما أجهزة تحقيق الذكاء الصناعي – artificial inteiiigence إلا دليل على تراجع أهمية الجهاز العصبي البشري human nervous system في عملية الإنتاج ، فالإنسان فقد دوره كعامل أساسي في العملية الإنتاجية (في الدول المصنعة على الخصوص) وليس هناك ما يوحي بإمكانية استعادته لهذا الدور في المستقبل .

وتتجلى نتائج هذا التغيّر في التحولات التي طرأت على منظومة القوة العاملة في الولايات المتحدة في خلال التاريخ القريب ، فلقد أدى التطور في حقل مكننة العمل إلى التحول من **الجمهورية الزراعية** agrarian republic إلى كيان صناعي مؤثر على مستوى العالم ، ففي عام ١٨٢٠ م ، كانت نسبة ٧٠ ٪ من القوة العاملة تعمل في المزارع ، وفي عام ١٩٠٠ م ، انخفضت هذه النسبة إلى ٤٠ ٪ ، أما الآن فقد بلغت ٣ ٪ فقط . ومع ذلك فإن البقية الباقية من الأيدي العاملة في القطاع الزراعي تكفي لإنتاج ما يطعم جميع السكان بالإضافة إلى فائض هائل للخزن والتصدير . وكان تراجع العمالة الزراعية يترافق مع تزايد نسبة من يعملون في **قطاع الخدمات** service sector ، واليوم تبلغ نسبة العمالة في هذا القطاع حوالي ٧٠ ٪ من الأيدي العاملة ، مقابل أقل من ٣٠ ٪ في قطاع الإنتاج الصناعي . وإحدى السمات الأساسية لهذه التحولات تمثلت بتفاقم مشكلة البطالة التي أدت إلى زعزعة استقرار الأمم المصنعة ، وأصبحت هذه الأمم لا تنظر إلى البطالة باعتبارها مشكلة اجتماعية بقدر ما تنظر إليها باعتبارها مشكلة تؤدي إلى اضمحلال الإمكانات المادية للفئة التي تستهلك الإنتاج .

وترجع أسباب هذه التحولات ، والآثار الاجتماعية الناجمة عنها ، إلى استبدال العمال بالآلات أو ما يسمى **« مكننة العمل »** . ولقد حظيت هذه المسألة باهتمام متميّز من قبل الاقتصاديين والسياسيين وغيرهم من الخبراء ، والكتاب الذي نعرض له هنا تحت عنوان (مكننة العمل the mechanization of work) يتعرض لهذه المسألة من أهم جوانبها وتأثيراتها الراهنة والمستقبلية على المجتمع ، ويقع الكتاب في (١١٩) صفحة من القطع الكبير ، وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في **مجلة (ساينتيفيك أميريكان SCIENTIFIC AMERICAN)** في عددها الخاص الثالث والثلاثين الصادر في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٢ م ، والكتاب مقسّم إلى ثمانية أجزاء يتضمن كل منها واحداً من هذه المقالات ، وعناوين أجزائه على النحو الآتي :

(١) مكننة العمل ، بقلم : **إيلي جنزبرغ**[1] Eli Ginzberg .

(٢) مكننة الزراعة the mechanization of agriculture بقلم : **واين راسماسون**[2] Wayne Rasmussen .

(٣) مكننة أعمال المناجم the mechanization of mining بقلم : **روبرت ماروفيللي** Robert Marovelli و **جون كارناك** John Karhnak .

(٤) مكننة التصميم والتصنيع the mechanization of design and manufacturing بقلم : **توماس جن**[3] Thomas Gunn .



(٥) مكننة التجارة the mechanization of commerce بقلم : **مارتن إرنست** Martin Ernst .

(٦) مكننة الأعمال المكتبية the mechanization of office work بقلم : **فانسنت جيوليانو** Vincent Giuliano .

(٧) مكننة الأعمال النسوية the mechanization of womens work بقلم : **خوان والاش سكوت** Joan Wallach Scott .

(٨) توزيع العمل والدخل the distribution of work and incom بقلم : **فاسيلي ليونتييف** Wassily Leontief .

وهذه المقالات عبارة عن مجموعة تقارير وضعها متخصصون في مسألة مكننة العمل ، ويتطرقون فيها لهذه المسألة من حيث تاريخها وحاضرها وآفاقها المستقبلية وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية .

المكننة في نظر الاقتصاديين

ويطرح إيلي جنزبرغ في مقاله (مكننة العمل) الأسئلة التالية :

كيف عولجت قضية المكننة من قبل الاقتصاديين ... ؟ .

ما آثارها على الاقتصاد الأميركي خلال العقود الماضية ، وما تأثيراتها المستقبلية المحتملة .. ؟ .

ويستعرض جنزبرغ آراء أهم الاقتصاديين الكلاسيكيين في هذه القضية فيقول إن (**آدم سميث** ADAM SMITH) كان قد أشار إلى معضلة أساسية في كتابه (**المدخل إلى طبيعة وأسباب ثراء الأمم** An inquiry into the nature and causes of the wealth of nations) الذي صدر عام ١٧٧٦ م ، حين قال :

(إن الفعالية في خلق الثراء لا يمكن تحقيقها إلا اعتماداً على **ظاهرة تقسيم العمل** division of labor وبالتالي **التخصص** specialisation ، الذي لا يؤدي إلا إلى « الروتين » ، فأداء المهات المتكررة repetitive tasks يقتل في نفس العامل ملكة التفكير والتدرب على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية) . وآثر سميث أن يلفت الانتباه إلى أن سعي العمال لتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية بالاعتماد على الآلة سوف يؤدي بهم إلى مواقف صعبة من شأنها أن تهدد مستقبلهم . وصدر كتاب سميث قبل أن تحقق آلة **جيمس واط** James Watt البخارية نجاحها وانتشارها التجاري ، ولهذا فإنه لم يتمكن من تخيل درجة التحدي الحقيقية التي خلقها التصنيع بمفهومه الحديث ، ولم ينجح في توضيح الترابط المتين بين الأعمال التي يؤديها العمال وظروف الحياة التي يعيشونها .

وكان دافيد ريكاردو DAVID RICARDO قد بدأ دراساته في حقل الاقتصاد السياسي بعد قراءته لكتاب « ثراء الأمم » عام ١٧٩٩ م ، فذهب إلى إنشاء المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية classical school of economics أو ما يدعى بمدرسة السوق الحرة free – market school ، وأشار إلى أن تزايد الاعتماد على المكننة لا بد أن ينقلب إلى خطوة غير مباركة ، وحذر من أن الظروف السائدة من شأنها أن تؤدي إلى استبدال العمال بالآلات ، وأن العمال سيفقدون بعد ذلك فرص الحصول على عمل جديد .

أما ثورشتاين فيبلن THORSTEIN VEBLEN فقد جعل التكنولوجيا أساساً لدراسته التحليلية الثاقبة للرأسمالية المعاصرة منذ وضع كتابه الأول « نظرية الطبقة العاطلة the theory of the leisure class » عام ١٨٩٩ م ، وحتى كتابه الأخير « غياب الملكية ومسألة العمل في العصور الراهنة absentee ownership and buisness enterprise in racent times » الذي صدر عام ١٩٢٣ م . فقد أكد فيبلن بالدليل والحجة بأن الطريقة التي تحدد نسق العمل وتكييفه مع الاحتياج للآلات هي التي تحدد أسلوب التفكير عند البشر ونشاطاتهم وطموحاتهم .

ويقول جنزبرغ : وبشكل عام يمكن القول إن أغلب الاقتصاديين من أتباع السوق الحرة والماركسيين وغيرهم قد فشلوا في تقييم دور التكنولوجيا ، فأصحاب السوق الحرة وأتباعهم بنوا نظامهم ومكانتهم المرموقة بالتطرق الذكي للعلاقة بين العرض والطلب والسعر في السوق التقليدية للتوصل إلى حالة التوازن ، ولمتابعة هذا الخط الثابت في التحقيق فقد أغفلوا تأثير بعض عوامل التغيّر المعتبرة كالنمو الديموغرافي والتغيّر في سرعة التطور التكنولوجي ، وأكثر من هذا فبسبب احتكامهم على نظرة محدودة الفعالية فإنهم بحثوا عن (النهاية) حين دفعوا العامل لتركيب الآلة التي احتلت مكانه ، وكان يفوتهم في كل مرة النظر إلى هذه العوامل كمؤثرات سلبية على مكان العمل workplace والوطن ، اللذين أصبحا تحت تأثير الآلات بشكل متزايد .

والقصور الذي طبع نظرة الاقتصاديين لقضية مكننة العمل يمكن أن يفسر الكثير من الأخطاء التي ميّزت الاقتصاد الأميركي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فهناك الكثير من الدلائل التي تؤكد بأن المكننة لم تحقق للولايات المتحدة أمنها الاقتصادي المنشود ، وتجلى ذلك مؤخراً بفقدها لصف الريادة في مجال تصنيع بعض المنتجات الاستهلاكية كالفولاذ والسيارات والأنظمة الإلكترونية التي أصبحت تصنع في اليابان بمواصفات ممتازة جعلتها تنافس المنتجات الأميركية ليس فقط في أسواق العالم بل وأيضاً في أسواق الولايات المتحدة نفسها . وبالرغم من الفائض الكبير في الإنتاج الذي ميّز الاقتصاد الأميركي فقد كان واضحاً أن المكننة كانت تؤدي إلى تهديد الأمن الاجتماعي من خلال خلق مستويات عالية من البطالة ، فانتشار استخدام الآلات على نطاق واسع أدى إلى الاستغناء عن الكثير من الأيدي العاملة ذات التدريب الضعيف ، كما أن سرعة التطور التكنولوجي أصبحت تهدد بالاستغناء عن العمال ذوي الخبرة المتوسطة ، إذ لم يعد من الممكن دمج هذه الفئة في المجتمع الإنتاجي إلا بعد مساعدتها وتدريبها لاكتساب المهارات الجديدة التي يتطلبها

الفوز بفرص العمل . وفي عام ١٩٦٢ م ، اقتنع الكونغرس بضرورة إنشاء المعاهد المتخصصة في تدريب العمال ، ومنذ عام ١٩٧٣ م ، وحتى بداية عهد الرئيس ريغن كلفت هذه المعاهد الدولة أكثر من ٨٠ مليار دولار ، ومع ذلك بقيت معدلات البطالة في ارتفاع مستمر . ولقد طرحت مشكلة البطالة المتفاقمة بإصرار أهم التساؤلات حول إمكانية نهوض المجتمع بشكل فعال بدون دمج فئته العظمى من الشباب في الحياة الاقتصادية .

ويعالج جنزبرغ قضية التحولات التي طرأت ضمن منظومة القوى العاملة في الولايات المتحدة وأسبابها بشيء من التفصيل فيقول : إن نسبة العمالة في إنتاج السلع كانت تبلغ ٦٩٪ خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي عام ١٩٨٢ م ، انخفضت هذه النسبة إلى ٣٢٪ . والسبب الرئيسي لهذا الانخفاض يعود إلى التناقص الكبير في عدد العاملين بالقطاع الزراعي ، وأيضاً بسبب التراجع النسبي لحجم العمالة في قطاع التصنيع الذي بلغ نسبة ٤١٪ عام ١٩٤٣ م ، ثم تراجع إلى ٢٢٪ حالياً . وتناقص العمالة في قطاع إنتاج السلع كان يترافق مع زيادة العمالة في قطاع الخدمات ، فبين عامي ١٩٤٠ و ١٩٨٠ م ، ارتفعت نسبة العاملين في هذا القطاع من ٤٦٪ إلى ٦٨٪ ،

ومن أصل العدد الإجمالي للوظائف التي استجدت في الاقتصاد بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٦ م ، كانت نسبة ٩٠٪ منها ترتبط بقطاع الخدمات . فما أسباب هذا التحول . . ؟ . يقول جنزبرغ : إن الإجابة تختلف بحسب من يوجَّه إليه السؤال ، فبعض الاقتصاديين ينكرون حدوث تحول ذي شأن ، وكل ما حدث يتلخص بالنمو البطيء الذي طرأ في مجال زيادة وظائف العمل في قطاع الخدمات . والبعض الآخر يعترف بحدوث التحول ويعزونه بالدرجة الأولى إلى نمو ثورة الرخاء والثقافة والخدمات المتصلة بها ، ويتوقعون أن يتوقف هذا النمو أو حتى يبدأ بالانكماش طالما أن معدل الولادات آخذ في التناقص ، أما **توماس شتانباك** Thomas stanback ورفاقه في **جامعة كولومبيا** فقد أشاروا في كتابهم الجديد (**الخدمات . . هذا الاقتصاد الجديد** services the new economy /) إلى أن القيمة التي أضيفت لقطاع الخدمات وحده ،

كقطاع المال والقانون والمحاسبة والتسويق والإدارة والاستشارات والاتصالات ، تكافئ القيمة التي أضيفت إلى قطاع التصنيع برمته . والسبب في هذا يعود إلى تطور استعمال الآلات في المزارع والمناجم والمصانع ، ففي مصانع البترول والمصانع الكيميائية ومصانع فبركة الفولاذ هناك اهتمام متزايد بالمكننة ، ولكن هناك أيضاً طلب متناقص على العمال ، وعلى سبيل المثال فإن **شركة (جنرال إليكتريك** GENERAL ELECTRIC) التي تنتج عشرات الآلاف من أنواع المعدات الكهربائية المختلفة ، من توربينات المحركات النفاثة وحتى مصابيح الإضاءة ، لم تعد تحتفظ سوى بأربعين بالمائة من عمالها الذين يقومون بمهمة الإنتاج ، أما الباقون فأصبحوا يعملون في الحقل المسمى (**خدمات المنتج المنزلية** house – producer services) كالصيانة والحسابات والتسويق .

ويتساءل جنزبرغ : **ما التأثيرات التي خلفتها المكننة في أوساط العمال . . ؟** .

ويجيب بقوله : لكي لا نبدأ بالتعميم يجب الإشارة إلى أن العمال الأميركيين ينظرون إلى الآلات نظرة تختلف عن نظرة العمال الأوروبيين ، فالغالبية العظمى من **العمال الأميركيين** لهم نظرة إيجابية نحو التطورات التكنولوجية ، ويعتبرونها وسيلة تقلل من إرهاقهم في العمل ، وتقدم فرصة لزيادة الأجور من خلال زيادة الإنتاجية ، أما في بلدان **أوروبا** « بأسواقها الأصغر » ، فإن استبدال العمال بالآلات يبدو أكثر بروزاً في تفكير ونشاط العمال ، **فالبطالة ذات الأسباب التكنولوجية كان ينظر إليها بمثابة (الخطر المحدق) من قبل اتحادات العمل الرئيسية في ألمانيا منذ عقد العشرينات الميلادي** ، وحتى أثناء النهضة الصناعية في ألمانيا الغربية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية فإن هذا الخوف لم يتبدد . وفي بداية عقد الستينات الميلادي ، تجمعت أكبر اتحادات العمل الألمانية للمطالبة بعقد مؤتمر دولي حول المكننة والبطالة التي يمكن أن تؤدي إليها ، واليوم تزايدت مشكلة البطالة حدة في ألمانيا الغربية للدرجة التي لم يسجل مثيل لها في أي بلد آخر .

ويقول جنزبرغ في خاتمة مقاله : إن الاعتقاد السائد الآن في الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية هو **أن الجيل الجديد من الشباب يملك فرصة للارتباط بالعمل أقل من التي امتلكها آباؤه وأجداده ، وأن مصدر هذا التغيّر يرتبط بتقلص (العمل الأخلاقي)** ، والسؤال عن سبب تقلص العمل الأخلاقي نادراً ما طرح بالرغم من أن المحللين المختصين يرجعونه إلى العوامل الاقتصادية ، وإلى التحول من الاهتمام بالأسرة إلى الاهتمام بالفرد .

ويضيف جنزبرغ : (وعليَّ أن أفترض بأن النجاح الذي حققته التكنولوجيا الحديثة ، والذي وضع كلتا الدولتين العظميين في موقف الاستعداد لتدمير الأخرى ــ وحتى لتدمير الجزء الأكبر من العالم ــ قد قدم تحدياً أساسياً ليس فقط استناداً إلى مسألة العمل بل استناداً إلى جميع القيم الإنسانية ، حتى أن السؤال أصبح مطروحاً بإلحاح حول ما إذا كانت التكنولوجيا المعاصرة ستنقلب عن اعتبارها نعمة ، الكثيرون ممن هم في سن الشباب أصبحوا يراهنون على هذه القيمة) .

وبعد استعراضنا لأهم ما ورد في مقالة جنزبرغ ، سنتعرض لبحثين آخرين حول المكننة وهما :

١ ــ **مكننة الزراعة** ، باعتبارها القطاع الذي تتضح فيه نتائج المكننة أكثر من غيره .

٢ ــ **مكننة التصميم والتصنيع** ، باعتبارهما القطاع الذي يمثل قمة التطور في حقل المكننة .



مكننة الزراعة

كانت الزراعة في الماضي المصدر الأساسي لكسب الرزق بالنسبة لغالبية الناس . وفي عام ١٨٩٠ م ، كان المزارعون يشكلون ٦٤ ٪ من مجموع القوة العاملة في الولايات المتحدة ، أما اليوم فانخفضت هذه النسبة إلى ٣ ٪ فقط ، ومع ذلك بقيت العمالة في القطاع الزراعي كافية لإنتاج حاجة البلاد وفائض التصدير ، وفي عام ١٨٥٠ م ، كان عامل المزرعة ينتج ما يطعم أربعة أشخاص ، أما اليوم فإنه ينتج ما يطعم ٧٨ شخصاً . وهذا التطور الكبير في الإنتاج والإنتاجية يمكن أن يعزى للمكننة . وفي القطاع الزراعي لا تقتصر المكننة على إنتاج الآلات الزراعية كالمحاريث plows والحصادات reapers ، بل تشمل أيضاً استنباط أنواع محسنة من البذور والمحاصيل ، وتركيب أنواع جديدة من الأسمدة ومبيدات الحشرات والأعشاب pesticides ، وكذلك بناء الأنظمة المتطورة للري ، وتحسين شبكات تصدير وتوزيع وخزن المنتجات الزراعية ، وكهربة المناطق الزراعية . وهذه الابتكارات التكنولوجية بدلت الأسس الاجتماعية والاقتصادية للحياة في المزرعة . وتثبت التغيّرات الديموغرافية التي طرأت على عالم الريف بأن القطاع الزراعي كان ولا يزال العالم الأكثر تأثراً بعملية مكننة العمل البشري .

وكان لجوء الإنسان إلى الزراعة منذ ما يربو على العشرة آلاف سنة يمثل حدثاً تاريخياً فريداً بالنسبة للمجتمع البشري . وترجع المحاولات الأولى لمكننة الأعمال الزراعية إلى ذلك العهد تقريباً ، وفي هذا البحث يتعرض **راسماسون** إلى التطور الذي طرأ في حقل المكننة الزراعية في الولايات المتحدة خلال القرنين الماضيين ، ففي خلال الثورة الأميركية كانت أغلب الأجهزة المستخدمة في الزراعة لا تختلف كثيراً عن تلك التي كانت تستخدم منذ ٢٠٠٠ عام ، فالحبوب كانت تحصد **بالمنجل** sickle ، هذه الأداة المتعبة التي كانت تتطلب من مستعملها البقاء لفترة طويلة وهو يعمل في وضعية الانحناء ، ثم بدأ تطوير هذه الأداة عن طريق زيادة طول شفرتها وذراعها حتى يتمكن العامل من القيام بعملية الحصاد وهو في وضع الوقوف . ومع تعاظم أهمية القطاع الزراعي في الاقتصاد خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، كان لا بد للمزارعين من البحث عن طرق مطورة لزيادة الإنتاج الزراعي والتقليل من تكاليفه ، حتى إن **جورج واشنطون** طلب من **آرثور يونغ** ، وهو من أبرز المهتمين الإنجليز بتطوير الأساليب الزراعية ، ابتكار طرق لتطوير الإنتاج الزراعي باستخدام الآلات .

أما توماس جيفرسون فقد سخر موهبته في الاختراع لتطوير الأدوات الزراعية ، فطور تصاميم الآلات المتخصصة ببذر الحبوب ، وصمم آلة لفصل ألياف القنب وأخرى للدرس threshing ، وبدأ بتصميم **المحاريث الآلية** .

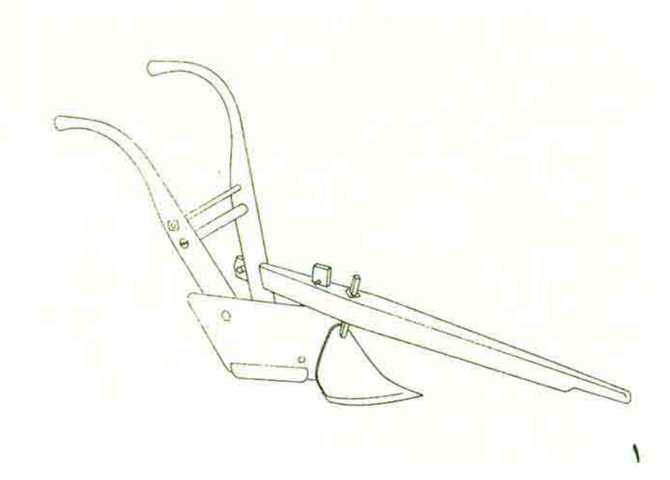
وكانت أهم التطورات في حقل مكننة العمل الزراعي في تلك الفترة تتمثل باختراع **محلجة القطن** cotton gin ، التي تفصل البذور عن الألياف ، وكان هذا العمل شاقاً ويحتاج إلى الكثير من الأيدي العاملة . ويرجع الفضل في اختراع المحلجة إلى **إيلي ويتني** Eli Whitney ، وأدى اختراع هذه الآلة إلى زيادة إنتاج المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة من ١٠٥٠٠ بالة bale عام ١٧٩٣ م ، إلى ٤,٥ ملايين بالة عام ١٨٦١ م .

ومنذ تلك اللحظة بدا التلازم واضحاً بين المكننة الزراعية وتأثيرها على الاقتصاد والمجتمع ، فلقد اقتضت زيادة الإنتاج الزراعي البحث عن أسواق جديدة لتصريف الإنتاج ، وظهر أن الآلات بدأت تسمح للأجيال الجديدة من أبناء المزارعين بترك الحقول للعمل في الأسواق والمطاحن ومصانع تحويل المواد الغذائية التي انتشرت في المدن ، وهكذا بدأت الأرياف بتزويد السوق بالأيدي العاملة الرخيصة التي امتصتها الصناعة فخففت بذلك من تراكم الأيدي العاملة في القطاع الزراعي الذي بدأ يرفضها مع التوسع في عملية المكننة .

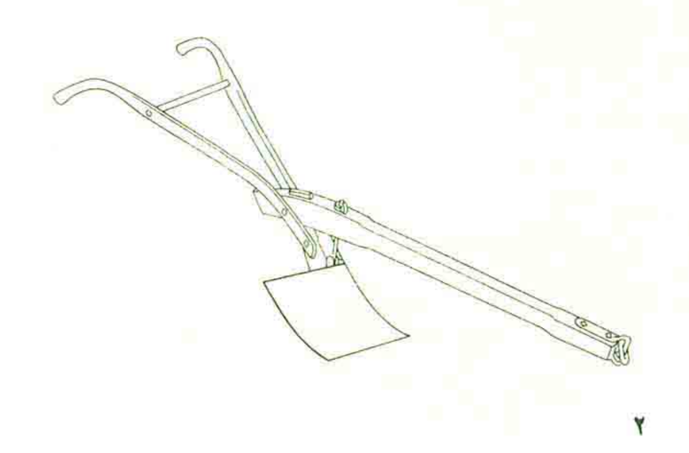
ولم تتوقف المكننة عند هذا الحد ، فلقد كان مخترعو الآلات الزراعية يعيشون مشاكل الحقل ويقومون بتطوير الآلات الزراعية بشكل مستمر بهدف زيادة الإنتاج والاستغناء عن المزيد من الأيدي العاملة .

وفي عام ١٧٩٧ م ، صمم الحداد **جون دير** John Deer في (**إلينوي** Illinois) محاريث تحتوي على عدة سكاكين لشق التربة ، وكانت هذه الطريقة فعالة في التربة الرطبة ، ثم بدأ دير بمشاركة ليونارد أندروز بتطوير هذه الآلات . وكانت **عملية الحصاد** harvesting تعد من أعقد العمليات في مجال إنتاج الحبوب ، ومن ثم كانت الحصادة الآلية mechanical reaper أهم اختراع في عالم الزراعة تم التوصل إليه وتطويره بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٦٠ م ، فقد تمكن **أوبيد هوسي** Obed Hussey من مريلاند من اختراع حصادة آلية تجر بالحصان عام ١٨٣٣ م ، ثم تمكن **سيروس ماكورميك** Cyrus Macormick في خلال السنوات العشرين اللاحقة من تحقيق الريادة في مجال إنتاج وتطوير الحصادات الآلية ، ففي عام ١٨٥١ م ، أصبح إنتاج ماكورميك يقدر بألف حصادة في العام في مصنعه الذي نقله إلى شيكاغو . وأهم التطورات التي أضيفت إلى الحصادات تتمثل بإضافة جهاز لجمع سنابل القمح وتحزيمها بعد حصدها لتسهيل عملية جمعها . وهذه النجاحات شجعت المزارعين على اللجوء لاستخدام الآلات ، والانصراف بالتدريج عن استغلال الجهد البشري في مهمات الإنتاج الزراعي . وتبعاً لهذه التطورات ازداد عدد الأفراد الذين يمكن تزويدهم بالغذاء من قبل عامل المزرعة الواحد من أربعة عام ١٨٥٠ م ، إلى خمسة ونصف عام ١٨٨٠ م .

وكان لهذا التطور التكنولوجي صداه الاجتماعي ، فرأس المال اللازم لإنشاء المزارع ارتفع ، وأصبحت مهمة إدارة المزرعة والعمل بها أكثر تعقيداً بالنسبة للعمال والإداريين ، كما أصبح المزارعون أكثر ارتباطاً بالبنوك والتجار . وأدى قانون الإقامة الصادر عام ١٨٦٢ م ، الذي أباح للمهاجرين الأجانب استيطان المناطق الغربية من الولايات المتحدة ، وكذلك التوسع في تشييد خطوط **السكك الحديدية** ، إلى تشجيع المزارعين المهاجرين من أوروبا خاصة إلى الاستقرار في الغرب واستغلال سهوله في تربية المواشي في البداية ثم

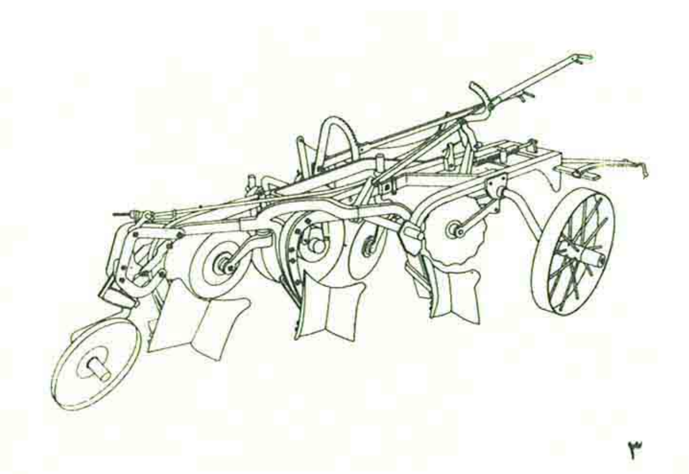


١

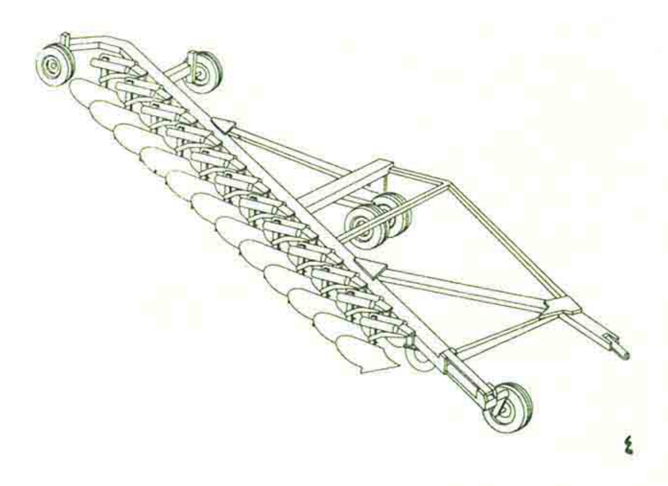


٢

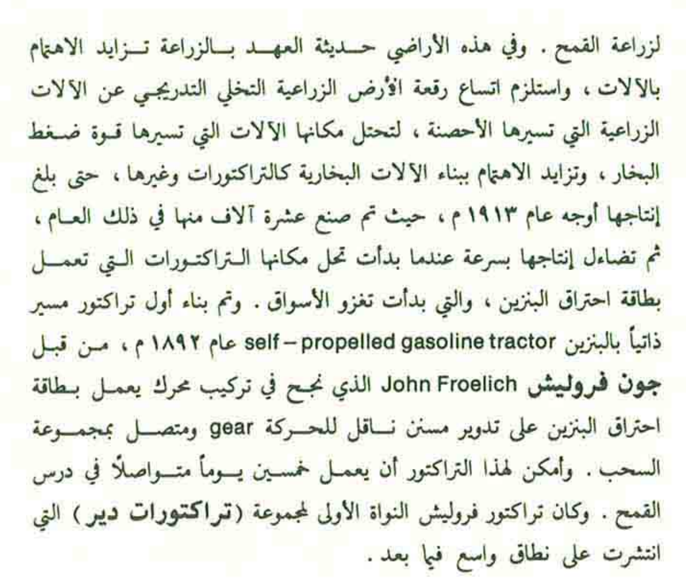
★ مراحل تطور صناعة المحاريث ★



٣



٤



لزراعة القمح . وفي هذه الأراضي حديثة العهد بالزراعة تزايد الاهتمام بالآلات ، واستلزم اتساع رقعة الأرض الزراعية التخلي التدريجي عن الآلات الزراعية التي تسيرها الأحصنة ، لتحتل مكانها الآلات التي تسيرها قوة ضغط البخار ، وتزايد الاهتمام ببناء الآلات البخارية كالتراكتورات وغيرها ، حتى بلغ إنتاجها أوجه عام ١٩١٣ م ، حيث تم صنع عشرة آلاف منها في ذلك العام ، ثم تضاءل إنتاجها بسرعة عندما بدأت تحل مكانها التراكتورات التي تعمل بطاقة احتراق البنزين ، والتي بدأت تغزو الأسواق . وتم بناء أول تراكتور مسير ذاتياً بالبنزين self – propelled gasoline tractor عام ١٨٩٢ م ، من قبل **جون فروليش** John Froelich الذي نجح في تركيب محرك يعمل بطاقة احتراق البنزين على تدوير مسنن ناقل للحركة gear ومتصل بمجموعة السحب . وأمكن لهذا التراكتور أن يعمل خمسين يوماً متواصلاً في درس القمح . وكان تراكتور فروليش النواة الأولى لمجموعة (**تراكتورات دير**) التي انتشرت على نطاق واسع فيما بعد .

ولم تحظ التراكتورات التي تعمل بالمحركات ذات الانفجار الداخلي إلا على الإقبال القليل في بداية الأمر ، وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى ارتفعت أسعار المنتجات الزراعية ، ولجأت الحكومة إلى حث المزارعين على زيادة الإنتاج ، كما أدى نقص الأيدي العاملة إلى زيادة الاعتماد على الآلات ، وبدأ عدد التراكتورات الآلية بالتزايد ، مقابل تناقص اللجوء إلى استعمال الآلات التي تجرها الأحصنة والبغال .

وكانت إحدى أهم الآلات وأكثرها انتشاراً في القطاع الزراعي التي اخترعت في مطلع القرن الحالي هي (الحاصدة الدارسة combine) التي تجمع بين عمليتي حصاد الحبوب ودرسها ، وفي عام ١٩٣٥ م ، تم إنتاج أول حاصدة دارسة يسيرها إنسان واحد ، وبلغ عدد الحاصدات الدارسات التي وضعت قيد الاستخدام في مزارع الولايات المتحدة أكثر من مليون عام ١٩٥٦ م ، واختفت من الحقول الآلات القديمة التي استعملت قبيل **الحرب العالمية الثانية** ، وصحب استعمال هذه الآلة المتطورة التخلي عن الكثير من



الأيدي العاملة ، وبهذا بدأت ظاهرة التخلي عن الأيدي العاملة الزراعية تأخذ بعداً جديداً .

وكانت الحرب العالمية الثانية دافعاً جديداً للتحول الكلي إلى **المكننة الزراعية** ، فخلال فترة الحرب اكتملت عناصر الثورة الزراعية الثانية ، التي تمثلت في الانتقال من عصر الآلات التي تسيرها الحيوانات ، إلى تلك التي تسير آلياً . ولم تكن الحرب وحدها العامل الأساسي الذي قاد إلى هذا التحول ، ففي عقد الثلاثينات انتشرت **كهربة المناطق الزراعية** التي ساعدت الفلاحين على استعمال وتشغيل الأجهزة المتنوعة التي لا تقتصر على مصابيح الإضاءة بل أيضاً على آلات حلب الأبقار ، والمطاحن ، والمضخات .

وبشكل عام يمكن القول إن الفئات العاملة بالقطاع الزراعي قد اكتسبت خلفية تكنولوجية واسعة خلقتها أساساً الظروف الاقتصادية ومحاولات أرباب المزارع للبحث عن أفضل وأسرع طرق الربح ، ولقد كانت الاختراعات الأولى تنطلق من محطات صيانة الآلات في المزارع ليعمم تصنيعها فيما بعد في المصانع بعد إجراء المزيد من عمليات التجريب والتطوير عليها ، وفيما بعد انتظمت عملية تصميم وتصنيع الآلات الزراعية عندما تكفلت الجامعات والمعاهد التكنولوجية ووزارة الزراعة بتخريج المهندسين الذين أسندت إليهم مهمة الإشراف على كل ما يتعلق بمكننة الأعمال الزراعية . ولم يتوقف دور الجامعات والمعاهد عند هذا الحد ، بل كلفت أيضاً بتثقيف الفلاحين وتدريبهم على استعمال الآلات وصيانتها . ويسوق « **واين راسماسون** » في مقالته هذه ثلاثة أمثلة لتوضيح دور المكننة الزراعية في الاستغناء عن الأيدي العاملة ، وتتعلق هذه الأمثلة **بمكننة زراعة الشوندر السكري** sugar beets ، والبندورة (الطماطم) ، والقطن .

قبل الحرب العالمية الثانية كانت مكننة زراعة الشوندر تقتصر على استخدام آلات البذر البدائية التي تجرها الأحصنة والمحاريث ، وأدوات نزع النباتات اليدوية ، وكانت الأيدي العاملة المستخدمة في الإنتاج مرتفعة العدد ، وكان جلها يتألف من العمال المهاجرين . ومنذ بداية عقد الثلاثينات الميلادي بدأت **محطة التجارب الزراعية في كاليفورنيا** california agricultural experiment station بالتعاون **مع مكتب الهندسة الزراعية التابع لوزارة الزراعة** ، بإجراء الأبحاث المشتركة لإنتاج وتطوير آلة لحصاد الشوندر وتنقيته ، وخلال عدة سنوات تم ابتكار أجهزة متنوعة ، كل منها مخصص لأداء جزء من العمل ، ثم عهد بهذه المهمة إلى الصناعيين ذوي الشركات الخاصة الذين تمكنوا عام ١٩٥٨ م ، من ابتكار نوعين من حاصدات الشوندر ، ومنذ ذلك الوقت أصبح أغلب محصول الشوندر يجمع بطريقة آلية . والعمال المهاجرون الذين صرفتهم آلات حصاد الشوندر من أعمالهم لجأوا إلى القطاعات الزراعية التي يصعب تحقيق مكننتها ، فمثلاً انتقل أغلب **العمال المكسيكيين** إلى العمل في قطاف البندورة **في ولاية كاليفورنيا** ، واستمرت الآلات الجديدة في مطاردتهم ، ففي عام ١٩٦٤ م ، بدأت محطة التجارب الزراعية في كاليفورنيا سلسلة من الأبحاث لحل مشكلة قطاف محصول البندورة آلياً ، وكانت المشكلة تنحصر بعدم انتظام نضوج الثمار زمنياً ، مما يجعل حصدها دفعة واحدة أمراً مستحيلاً ، وتمكن **جوردي حنا** Gordie hanna من حل هذه المشكلة حين توصل إلى تهجين واستنباط نوع من البذور إذا غرست وعوملت بنوع خاص من الأسمدة ، وبتوزيع مقنن للماء ، فإنها تنتج محصولا وفيراً من الثمار التي تتساوى في وقت نضجها . ومن ثم يمكن حصدها دفعة واحدة . وتتلخص مهمة الآلة التي ابتكرت لحصد البندورة بتقطيع النباتات من جذورها ، ثم تنقلها وهي معلقة على سرير مهتز فتتساقط الحبات فوق سير متحرك ينقلها أمام طاقم الحصادة الذي يقوم بتنقيتها من الأوراق والأعشاب . **وأول حصادة بندورة ابتكرت كانت تبلغ استطاعتها في الحصاد ما بين ثمانية أطنان واثني عشر طناً في الساعة ، وكان طاقمها يتألف من اثني عشر شخصاً توازي طاقتهم في الحصاد طاقة ستين شخصاً من الذين يقومون بالعمل اليدوي .** وفي عام ١٩٦٣ م ، كانت نسبة ١,٥ ٪ من البندورة التي تنتجها ولاية كاليفورنيا ، والمخصصة للتعليب ، تحصد بواسطة الآلات ، وفي عام ١٩٦٨ م ، قفزت هذه النسبة إلى ٩٥ ٪ ، ثم بلغت ١٠٠ ٪ تقريباً عام ١٩٨٢ م ، والتطور المسجل مؤخراً على آلة حصاد البندورة أدى إلى إنقاص طاقمها إلى ثلاثة أشخاص .

أما المثل الثالث الذي يسوقه راسماسون فيتعلق بمكننة زراعة القطن ، الذي كانت عملية قطافه من العمليات التي تصعب مكننتها ، وكانت أول آلة ابتكرت لهذه الغاية هي نازعة القطن cotton stripper التي تنزع المحافظ bolls (جمع محفظة) من النبات ، وانتشر استعمال هذه الآلة بالرغم من كثرة عيوبها التصميمية ، **وفي عام ١٩٢٨ م ، تمكن الأخوان جون وماك راست** John and Mack Rust **من تكساس من اختراع المغزل اللاقط** spindle picker **الذي يلتقط الألياف من المحفظة ويلفها على المغزل** ، وانتشر استخدام هذه الآلة على نطاق واسع أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب ارتفاع أسعار القطن وزيادة الطلب عليه ، وارتفعت نسبة محصول القطن المحصود بهذه الطريقة من ١٠ ٪ عام ١٩٤٩ م ، إلى ٩٦ ٪ عام ١٩٦٩ م ، وفي نفس الوقت كان يتم تطوير عمليات تحضير الأراضي المخصصة لزراعة القطن ، وتقنيات غرس النبات ، وتطبيقات عمليات التسميد ، والتحكم بمصادر المياه اللازمة للري ، وتطوير واستنباط أنواع البذور ، وتركيب المبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب ، مما أدى إلى زيادة الإنتاج بنسبة ٦٠ ٪ . وتم الاستغناء عن الكثير من الأيدي العاملة المتخصصة في زراعة القطن ، ففي عام ١٩٤٥ م ، كان إنتاج ١٠٠ باوند (الباوند ٤٣,٥ كغ) من القطن يتطلب ٤٢ ساعة عمل بشرية ، وفي عام ١٩٧٥ م ، انخفض هذا الرقم إلى ٤٠ دقيقة .

وهذا التقدم الهائل الذي تحقق في قطاع زراعة القطن أدى إلى الاستغناء

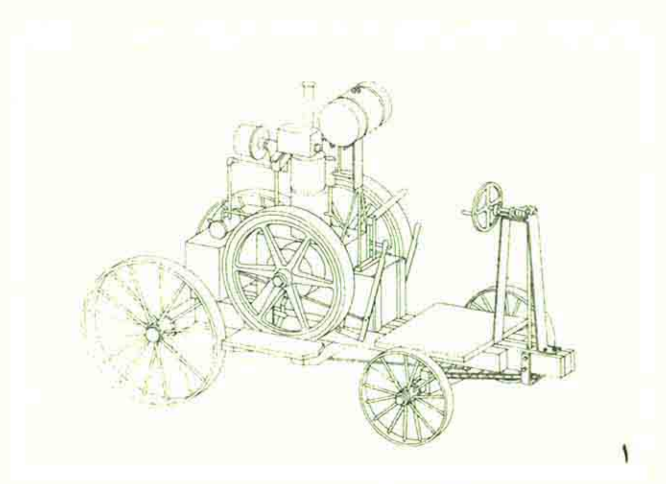
عن عدة مئات الآلاف من العمال الذين وجدوا صعوبات بالغة في الحصول على عمل بديل . ولم يمض وقت طويل على اختراع المغزل اللاقط من قبل الأخوين راست حتى لاحظا بأن هذا الجهاز قد أدى إلى الاستغناء عن ٧٥٪ من عمال زراعة القطن ، وتأثرا لهذه النتيجة ، حتى إنهما بذلا أقصى الجهود لمحاولة إيقاف إنتاجها ، أو على الأقل إعادة تصميمها بحيث تخفف عبء العمل عن العمال دون أن تسمح بصرفهم من أعمالهم ، ولم تكن أي من هذه المحاولات عملية في الحقيقة ، خاصة وأن نشوب الحرب العالمية الثانية تطلب إنتاج حاصدات القطن على نطاق واسع لمواجهة تزايد الطلب عليه .

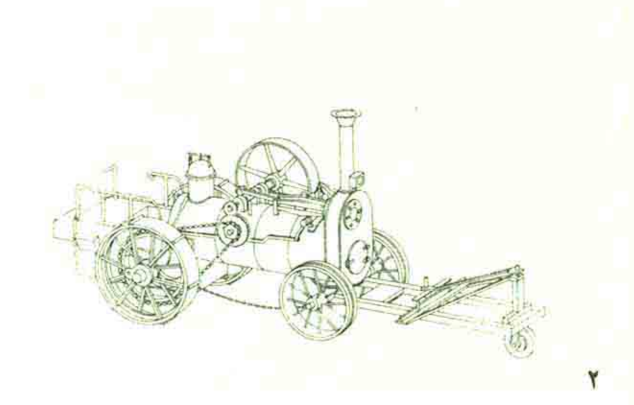
وامتدت عملية المكننة الشاملة التي رافقت الثورة الزراعية الثانية في أميركا إلى قطاع المنتجات الحيوانية ، كإنتاج البيض والدجاج والحليب والمواشي . **فمكننة إنتاج الدواجن يعود إلى عام ١٨٧٠م ، عندما اخترعت حاضنات البيض incubators ، والفقاسات brooders .**

فحاضنات البيض استبدلت الدجاجة في مجال تزويد بيض التفقيس بالطاقة الحرارية المنظمة والقيام بحماية الصيصان . وفي العشرينات من العقد الحالي ارتفع إنتاج البيض والدواجن بشكل هائل بعد اكتشاف الفيتامينات التي تضاف إلى العلف ، وعقب الحرب العالمية الثانية تم استنباط الطعوم vaccines الواقية من معظم أمراض الدواجن ، كما تم استنباط العديد من أنواع المضادات الحيوية antibiotics المخصصة لمعالجة تلك الأمراض ، يضاف إلى هذا ابتكار جملة من الأدوات المتخصصة في تنظيم سقي الدواجن وتقديم العلف لها ، واليوم تكاد تكون كل الطيور والبيض المعروضة في الأسواق من إنتاج محطات التربية التي تعتمد على مكننة الإنتاج بشكل كامل .

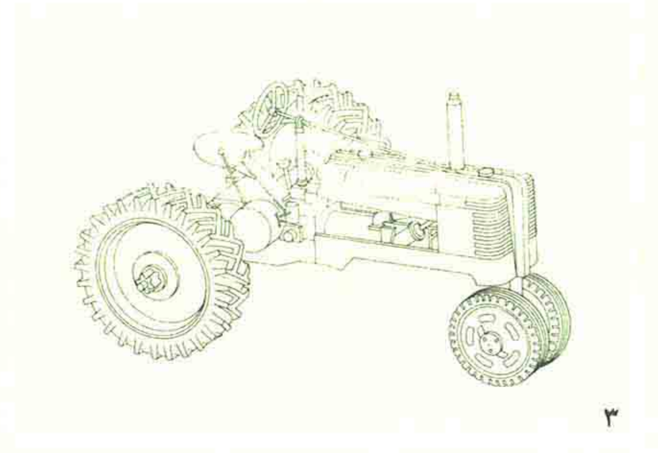
والمستويات العالية من البطالة ، التي أدت إليها المكننة الزراعية ، جعلت مواقف الاقتصاديين والخبراء تتراوح بين تأييدها ومعارضتها ، وهذا التباين في المواقف يعكسه كل من الكاتبين **تيودور بيرلي** Theodor Byerly من وزارة الزراعة **وجيم هايت أوير** Jimm Hightower الناقد لأبحاث المعاهد الزراعية . فمنذ عدة سنوات كتب بيرلي يقول :

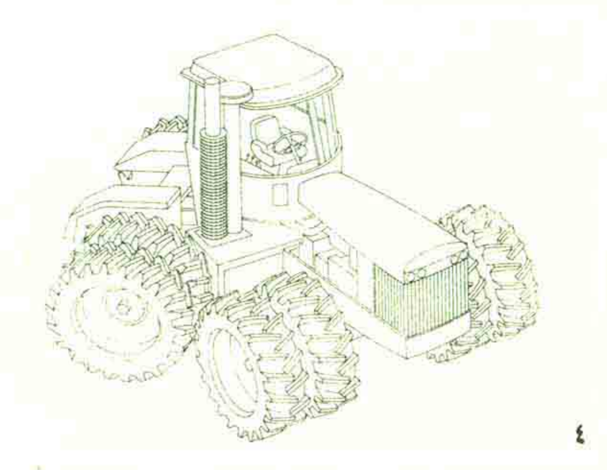
« إن الاستمرار في تطوير تطبيق التكنولوجيا لإنتاج الغذاء والألياف


١


٢

★ مراحل تطور صناعة التراكتورات ★


٣


٤



ومنتجات الغابات من شأنه أن يؤمن الغذاء الوفير للأجيال القادمة ، ويوفر لها الوقت اللازم للقيام بالنشاطات الأخرى ، كتنظيف البيئة ، وتنقية المياه والهواء مما يهيئ الفرصة للعيش في عالم سعيد » .

« إن تناقص أنواع الأحياء ، وتراجع الحياة الريفية ، واختناق المدن الكبرى ، وتسميم البيئة تعد من أهم الإنجازات التي حققتها المكننة » .

كما كتب المحلل الزراعي **أوثا ويرين** Otha Wearin يقول :

« إن الطاقة الإنتاجية العالية للآلات أدت إلى تناقص عدد سكان الأرياف ، فانكمشت إثر ذلك المؤسسات الريفية كالكنائس والمدارس والتنظيمات الاجتماعية ، وقد يقال إن هذه المؤسسات اختفت تماماً) .

وكدليل على صحة مقولة ويرين يتخذ راسماسون **مقاطعة جولدن فالي Golden Valley في مونتانا** مثالا عن هذا التحول ، ففي عام ١٩٢٥ م ، كانت هذه المقاطعة تضم ٤٩٢ مزرعة معدل مساحة الواحدة منها ١٦٣٧ أكراً (الأكر : أربعة آلاف متر مربع) ، وفي عام ١٩٧٨ م ، أصبحت تضم ١٣٩ مزرعة فقط مساحة الواحدة ٤٦٩٣ أكراً ، وهكذا فإن مساحة الأرض المزروعة تضاعفت في حين نقص عدد المزارع بمقدار الثلثين . وفي عام ١٩٣٠ م ، كانت المقاطعة تضم ٢١٢٦ ساكناً ، ثم تراجع هذا العدد إلى ٩٣١ عام ١٩٧٠ م ، ثم زاد زيادة طفيفة بعد ذلك ، حين وصل إلى ١٠٢٦ ساكناً عام ١٩٨٠ م . وفي عام ١٩٢٥ م ، كانت المقاطعة تضم بنكين ، وجريدتين ، ومستشفيين ، وثلاثة أطباء ، وحانوتاً لبيع المرطبات ، وفي عام ١٩٨٠ م ، لم يبق من هذه المؤسسات شيئاً .

وأهم فوائد المكننة الزراعية في الولايات المتحدة تمثلت في انخفاض معدل الإنفاق على شراء السلع الغذائية بالنسبة لمعدل الإنفاق العام للمستهلك ، حتى أصبح هذا المعدل من أكثر المعدلات انخفاضاً في العالم ، كما أصبحت الكثير من دول العالم تعتمد على بعض المنتجات الزراعية الأميركية وخاصة القمح .

وارتفع معدل الدخل السنوي لعامل المزرعة الأميركي من ٨٤٠ دولاراً عام ١٩٥٠ م ، إلى ٦٥٥٣ دولاراً عام ١٩٨٠ م ، وبالنسبة لعمال القطاعات غير الزراعية ارتفع الدخل الفردي السنوي من ١٤٥٥ دولاراً إلى ٨٠٤٢ دولاراً خلال نفس الفترة . وكانت المكننة تمثل السبب الرئيسي (وليس الوحيد) لزيادة الإنتاج الوطني الكلي ، ولزيادة إنتاجية الفرد ودخله السنوي في الولايات المتحدة ، فإنتاج القمح الإجمالي ارتفع من ٣١٤ مليون باشل ، (مكيال للحبوب = ٣٢,٥ ليتراً) عام ١٨٧٥ م ، إلى ٦٦٩ مليون باشل عام ١٩٢٥ م ، ثم إلى ٢,٤ مليار باشل عام ١٩٨٠ م . وبين عامي ١٩٥٠ و ١٩٨٠ م ، قفز المردود الإنتاجي للأكر الواحد من القمح من ١٦,٥ إلى ٣٣ باشلاً ، والذرة من ٣٨ إلى ٩١ باشلاً ، وفول الصويا soybeans من ٢٢ إلى ٢٧ باشلاً ، والبطاطا من ١٥٣ إلى ٢٦١ قنطاراً أميركياً (القنطار ١٠٠ باوند أو ٤٣٥٠ كيلوغراماً) . وكانت المردودية الإنتاجية للعامل في القطاع الزراعي تزداد بنسبة ٦٪ سنوياً مقابل ٢,٥٪ في القطاعات الإنتاجية الأخرى .

وأثناء ذلك كان عدد المزارع ينخفض لتزداد مساحة ، ففي عام ١٩٢٠ م ، كان عدد المزارع في الولايات المتحدة ٦,٥ ملايين فانخفض إلى ٥,٦ ملايين عام ١٩٥٠ م ، وأصبح ٢,٤ مليون عام ١٩٨٠ م ، وصاحب هذه التغيرات اختفاء الحياة الريفية تماماً باستثناء بعض التجمعات البشرية المحدودة التي فضلت الحياة في الريف ليس بسبب اضطرارها لذلك ، بل بسبب حبها لتلك الحياة . وانخفض عدد سكان المزارع من ٢٣ مليوناً عام ١٩٥٠ م ، إلى ٦ ملايين عام ١٩٨٠ م . ويتساءل راسماسون عن مصير هؤلاء السكان الذين نزحوا من الريف إلى المدن ، وهل سيتمكن المجتمع الأميركي من دمجهم وتكييفهم مع حياة المدن ، وهل يمكن إعادة إسكانهم في الأرياف . . ؟ .

يجيب راسماسون عن هذه التساؤلات بقوله إنه في بداية فترة ظهور فائض العمالة الزراعية كان هذا الفائض يزود قطاعات الصناعة والتجارة بالأيدي العاملة اللازمة ، وفيما بعد أصبحت هذه القطاعات عاجزة عن استيعاب المزيد من الأيدي العاملة بعد أن دخلتها المكننة بدورها ، وأكثر من هذا فقد أصبحت جل القطاعات الصناعية عاجزة حتى عن الاحتفاظ بعمالها الحاليين . وحول عودة هؤلاء إلى الأرياف يقول راسماسون إن هذا ليس بالأمر السهل ، لأنهم يحتاجون إلى فترات طويلة من التدريب ، من أجل إكسابهم الخبرة التي استجدت في قطاع العمل الزراعي .

ويضيف راسماسون التساؤل التالي :

مَن المسؤول عن حياة ومستقبل أولئك الذين تصرفهم التكنولوجيا عن أعمالهم . . . ؟ .

البقية في العدد القادم

الهوامش

(١) **إيلي جنزبرغ** : دكتوراه فلسفة في الاقتصاد من جامعة كولومبيا منذ عام ١٩٣٤ م ، عمل مدرساً في نفس الجامعة منذ تخرجه وحتى تعيينه مديراً لمشروع حماية الموارد البشرية وما زال يشغل هذا المنصب حتى الآن .

(٢) **واين راسماسون** : رئيس قسم التاريخ الزراعي في وزارة الزراعة الأميركية ، نشأ في مونتانا وهو ابن مزارع من المهاجرين الدانماركيين ، حصل على درجة الماجستير في التاريخ الزراعي من جامعة مونتانا عام ١٩٣٩ م .

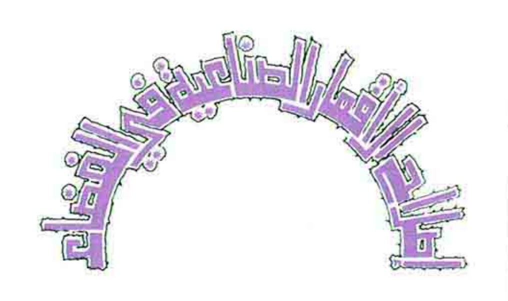
(٣) **توماس جن** : مدير إدارة هيئة التصنيع التكاملي بالكومبيوتر التابعة لشركة آرثور ليتل ، يحمل شهادة الماجستير في الهندسة الميكانيكية من كلية دارتماوث منذ عام ١٩٧٧ م ، كان قبل تخرجه من المولعين بسباق السيارات .

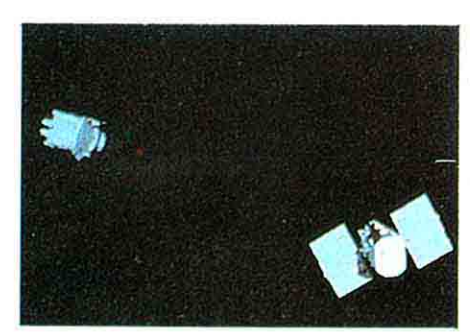


★ الصورة الحدث .. أعظم صورة فضائية تُظهر الرائد (نلسون) وهو يفحص القمر (سولار ماكس) المعلّق في ذراع الروبوت للمكّوك .. وعلى اليمين يظهر جانب الأرض التي نسكنها ★

قضى روّاد مكوك الفضاء (شالنجر Challenger) في رحلته الثانية إلى الفضاء في شهر أبريل (نيسان) الماضي سبعة أيام كاملة في الفضاء في مهمة غير عادية، حيث استطاعوا خلال هذه المدة القصيرة أن يحيلوا الحلم إلى حقيقة، ويحقّقوا أعظم إنجاز فضائي خلال هذا القرن، وذلك عندما تمكنوا من الإمساك بالقمر الصناعي المترنّح (سولار ماكس Solar Max) المعطّل في الفضاء منذ شهر نوفبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٨٠م، ثم قاموا بسحبه إلى حجرة الحمولة بالمكوك حيث بدلوا الأجهزة المعطّلة والأجزاء التالفة فيه بأخرى جديدة، ثم أعادوه إلى الفضاء ثانية بعد صقله وتجديده ليتابع مهمته التي أرسل من أجلها إلى الفضاء، وليكون أول قمر صناعي يصلّح في الفضاء.

وكان وراء نجاح هذا العمل الكبير صاحب فكرة الإنقاذ العالم (**فرانك سيبولينا Frank Cepolina**) مدير مشروع إنقاذ الأقمار الصناعية في الفضاء في وكالة الطيران والفضاء الأميريكية (**ناسا NASA**) والمهندسون في **مركز طيران الفضاء في جودارد (ماريلاند)** الذين كانوا يعطون الأوامر لروّاد الفضاء بالراديو من الأرض، والمراقبون في مركز الفضاء في (**هيوستون**) الذين كانوا يوجّهون الروّاد خلال تصدّيهم الدقيق والخطر لهذا العمل البطولي في الفضاء، وهذا النجاح الرائع في إنقاذ **القمر (سولار ماكس)** شجّع المسؤولين في (ناسا) ليخطّطوا لأعمال كبيرة جديدة في الفضاء، ومنها الإمساك بقمرين صناعيين آخرين تائهين في الفضاء، ويقول **العالم (سيبولينا)**: «إن





★ رائد الفضاء (نلسون) يطير من المكوك (شالنجر) باتجاه القمر (سولار ماكس) ★

عصر إلقاء الأقمار الصناعية وتركها لمصيرها في الفضاء قد ولّى».

والقمر الصناعي الشمسي (سولار ماكس) كان قد صُمم عام (١٩٧٢م)، لدراسة **التوهّج الشمسي** العنيف الذي يندفع جيشانه الحراري من سطح الشمس الخارجي في دورة **البقع الشمسية** sunspots التي تصل ذروتها كل (١١) عاماً مرة حيث يصل عدد البقع الشمسية على سطح الشمس حينها حدّه الأقصى، وبهدف دراسة هالة الشمس والظواهر الشمسية المختلفة، وتقذف الرياح الشمسية والعواصف المغناطيسية كواكب النظام الشمسي بما فيها الأرض فتؤدي إلى تشكل التيارات الكهربائية في الطبقة الخارجية المتشرّدة من الغلاف الجوي بعد أن يأتيه طوفان من أشعة (X) وجسيمات طاقة عالية، فيحدث هذا اضطراب وتشويش واسع في الاتصالات اللاسلكية والبث الإذاعي والتليفزيوني والهاتفي، واضطرابات في قراءات البوصلة التي تتوجّه على أساسها الطائرات والسفن، وتصبح الرحلات الجوية والفضائية والبحرية غير مأمونة.

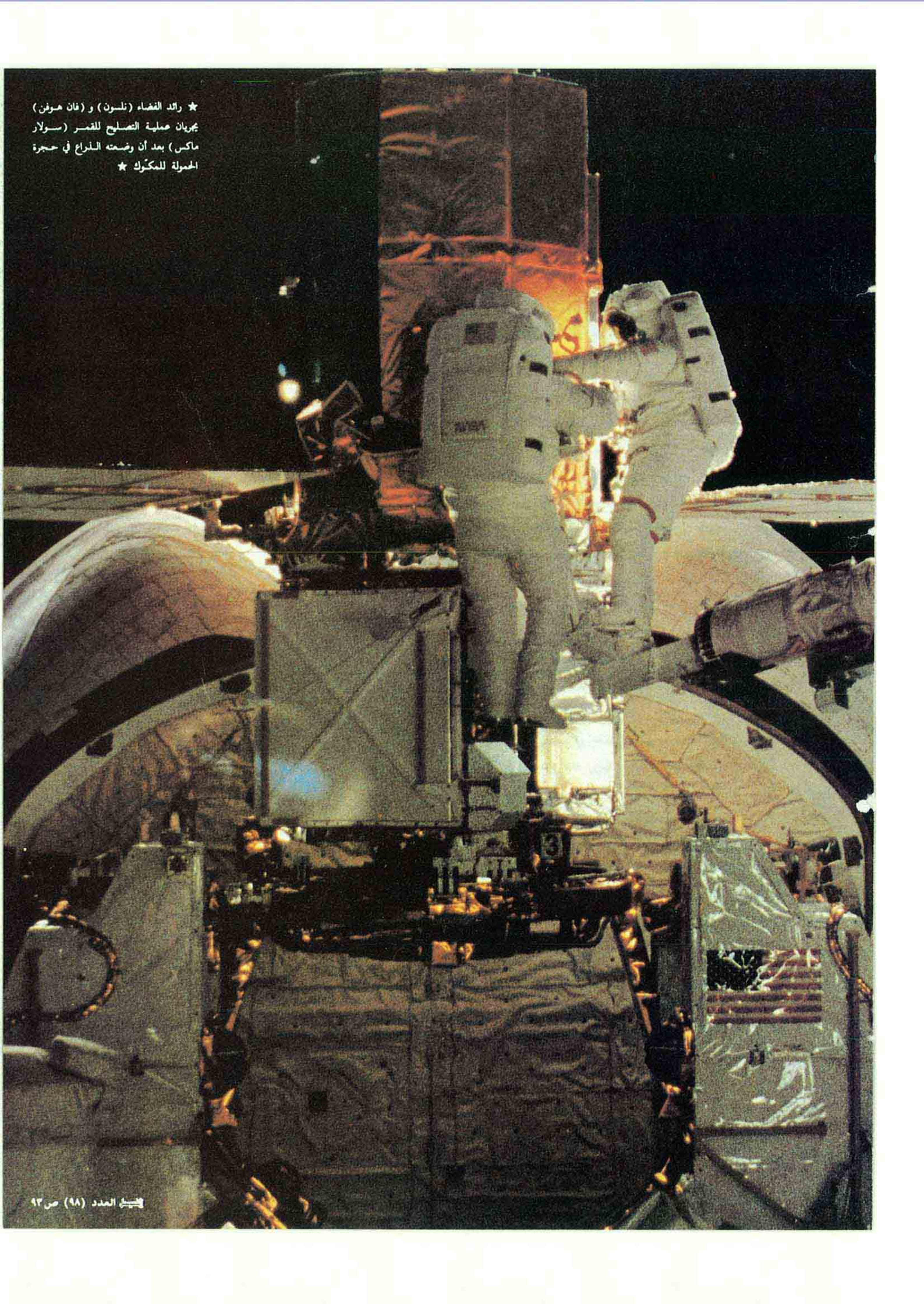
وفي يوم (١٤) فبراير (شباط) من عام (١٩٨٠م)، أرسل القمر الصناعي (سولار ماكس) الذي يعتبر أعقد قمر صناعي صُنع حتى الآن إلى الفضاء، وكان مقدراً له أن يبق يعمل في الفضاء لمدة عشر سنوات كاملة بعد أن وضع في مدار على ارتفاع (٢٥٠) ميلاً فوق الأرض، وكان مهندسو (ناسا) في مركز (جودارد) الفضائي قد صنعوا له أجهزة ذات قدرات تقنية عالية وأجهزة قابلة للتفكيك والنزع والاستبدال بسهولة، كما وضعوا فيه مركبة قمرية Modules فيها كومبيوترات تسيطر على عمليات التزوّد بالوقود وتوجيه القمر ونقل المعلومات إلى الأرض بدقة متناهية، وكان اختيار توقيت إرساله إلى الفضاء موفقاً حيث كانت دورة البقع الشمسية في ذروتها، وجوف الشمس يغلي والانفجارات النووية والجيشان الحراري في أوجها، وسطح الشمس يقذف بسيول عنيفة من الرياح الشمسية العاصفة والعواصف المغناطيسية والتوهّج الذي يخطف الأبصار، ويقول (دايفيد بوهلن David Bohlin) **عالم الفيزياء الشمسية** Solar Physicist والعالم الرئيسي في مشروع إرسال القمر (سولار ماكس): «لقد كان أمامنا حينها صيداً ثميناً».

واستمر القمر (سولار ماكس) يعمل في الفضاء لمدة عشرة شهور كاملة تمكّن خلالها من التقاط ما يربو عن (٥٠,٠٠٠) صورة لهالة الشمس Solar Corona، وكانت حصيلة دراساته أشياء عظيمة رائعة حيث استطاع أحد أجهزته أن يوجد الدليل الأكيد على حدوث عمليات الاندماج الحراري النووي في جوف الشمس، التي تقذف **بإشعاعات جاما** العالية الطاقة، **واستطاع جهاز آخر أن يقدّر السعة الكلية لطاقة الشمس**، واكتشف بأنها تتباين بشكل طفيف، وليس لأكثر من (٠,٢٪) وذلك عندما العنقود الكبير من البقع الشمسية يظلّل قرص الشمس في ذروة دورة البقع الشمسية، وهذه الاكتشافات أجابت على التساؤل القديم المحيّر وهو هل السعة الكلية لطاقة الشمس متفاوتة؟ ومثل الكثير من الاكتشافات العلمية فإنه برز سؤال جديد وهو كيف تخزّن الشمس الطاقة الزائدة التي تستعملها في ذروة دورة البقع الشمسية؟.

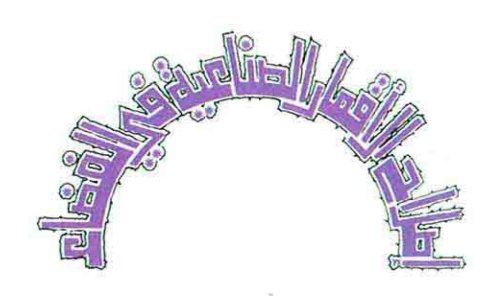
ولم يهنأ العلماء طويلاً بهذه الاكتشافات الهامة، فبعد عشرة شهور من العمل الرائع للقمر (سولار ماكس) بدأت الصمّامات fuses الكهربائية في نظام السيطرة والتوجيه الذي يوجّه العيون الإلكترونية الحساسة باتجاه أجزاء معيّنة من الشمس تتفجّر، وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام (١٩٨٠م)، انفجرت آخر ثلاثة صمّامات، كما تعطّلت الكاميرا التي تصوّر **هالة الشمس** Coronagraph، ولم يعد القمر يرسل الصور إلى الأرض، كما تعطّلت المركبة القمرية الإلكترونية بتأثير الإشعاع القوي الصادر من التوهّج الشمسي العنيف.. وبعد كل هذه الأعطال قرّر العلماء في مركز (جودارد) للفضاء أن يوجّهوا أوامرهم إلى النظام الخلفي العلوي في القمر لجعل القمر يدور دوراناً بطيئاً متمايلاً بحيث يتجه بوجهه للشمس لتتمكّن ألواحه الشمسية من التزوّد بالطاقة الكافية من الشمس وليتمكّن من الاستمرار في دورانه البطيء في الفضاء ولا يُفقد نهائياً، ويأمل أن يصلّح ويستعاد في يوم ما.

خطة إنقاذ (سولار ماكس)

تكوّن فريق عمل (لوبي lobby) من **العالم (سيبولينا)** ومن علماء ومهندسو (ناسا) في سبيل تنفيذ عملية إنقاذ القمر (سولار ماكس) في الفضاء، وذلك بعد أن عاد إلى الأرض مكوك الفضاء (شالنجر) من رحلته الأولى المظفرة التي طار فيها الإنسان لوحده في الفضاء، وكانت خطة الإنقاذ تقضي في البداية باستبدال مركبة التوجيه المعطّلة، التي هي بحجم براد صغير وتزن (٥٠٠) باوند (الباوند = ٤٥٤ غراماً)، ثم أضيفت إلى الخطة مهمة تصليح **الكوروناجراف**



★ رائد الفضاء (نلسون) و (فان هوفن) يجريان عملية التصليح للقمر (سولار ماكس) بعد أن وضعته الذراع في حجرة الحمولة للمكّوك ★





★ آثار احتراق وقود (شالنجر) عندما عاد ليدخل الغلاف الجوي للأرض فوق براكين جزر هاواي ★

Coronagraph وهي الكاميرا التي تصوّر هالة الشمس، رغم أن هذه الكاميرا لم تُصمّم لتستبدل في الفضاء، وكان الدافع التجاري هو الحافز المساعد في سبيل نيل موافقة المسؤولين في (ناسا) على عملية الإنقاذ، ذلك أن استبدال القمر (سولار ماكس) بكامله كان سيكلّف حوالي (٢٣٥) مليون دولار، في حين أن عملية الإصلاح وإعادته للعمل ثانية لن تكلّف أكثر من (٥٠) مليون دولار.

وفي صباح يوم الجمعة (٦) أبريل (نيسان) الماضي انطلق المكوك شالنجر من مركز كينيدي للفضاء في رحلته الثانية إلى الفضاء، وكان قائد الرحلة **رائد الفضاء (بوب كريبين Bob Crippen)** ـ ٤٦ ـ عاماً، الذي يقوم بثالث رحلة له في المكوك، والذي كان هو **ورائد الفضاء (جون يونغ)** قد قادا المكوك (**كولومبيا**) أول مكوك انطلق إلى الفضاء قبل أربع سنوات تقريباً (١٢ أبريل (نيسان) ١٩٨١ م)، وأما باقي أفراد الطاقم فكلهم كانت هذه رحلتهم الفضائية الأولى، وهم **(جورج نلسون** George Nelson) ـ ٣٣ عاماً ـ و **(فرانسيس سكوبي** Francis Scobee) ـ ٤٤ عاماً ـ وأخصائيو الإرسال **(تيري هارت** Terry Hart) ـ ٣٧ عاماً ـ و **(جيمس فان هوفن** James Van Hoften) ـ ٣٩ عاماً ـ، وكان من جملة حمولة المكوك قفير نحل مغلق مكوّن من (٣٣٠٠) نحلة ستشارك في تجربة أعدّها العالم **(دان بوسكيفيك)** الأستاذ في معهد تينيسي لمعرفة تأثير انعدام الوزن على حجم وشكل تركيبات قرص العسل.

المطاردة الكونية الكبرى

بدأت المطاردة الكونية الكبرى في الفضاء منذ لحظة ارتفاع المكوك (شالنجر) في الفضاء، وكان القمر (سولار ماكس) فوق **أندونيسيا**، وعندما كان (شالنجر) يطير لولبياً صاعداً ببطء إلى أعالي الفضاء باتجاه موضع (سولار ماكس) كان أكثر من نصف سكان الأرض يتابعون هذه المشاهد العظيمة على شاشات التليفزيون.. وتدريجياً وصل المكوك (شالنجر) لقرب القمر (سولار ماكس) وحطّ رحاله بقربه.

وكان اليوم الثاني لشالنجر في الفضاء موعداً لتنفيذ مهام خاصة يقوم بها الروّاد، فقد رفعوا علم بلدهم فوق الأسطوانة التي تزن حوالي (٢٢٠٠٠) باوند، ووضعوا في صواني على جوانبها معدات (٥٧) تجربة علمية ستجرى في الفضاء من كاشفات الأشعة الكونية إلى بذور البندورة إلى إيجاد إمكانية تركيب المواد التي ستستعمل في بناء محطة الفضاء.

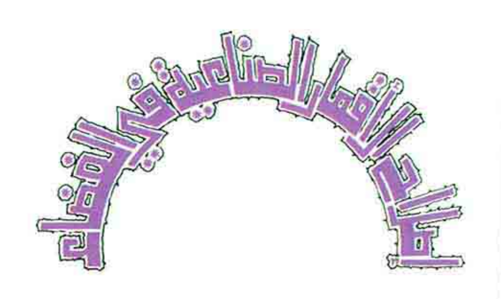
وفي صباح اليوم الثالث لشالنجر في الفضاء اقترب لمسافة (٢٠٠) قدم (القدم = ٣٥ سم) من القمر المعطّل (سولار ماكس)، وهتف رائد الفضاء اختصاصي الإرسال **(جورج نلسون)**: «انظروا إن هناك قمراً جميلاً ليس ببعيد عنّا»، ولتجنّب إمكانية الاحتكاك بالألواح الشمسية الكبيرة التي تدور ببطء في القمر (سولار ماكس)، والتي يمكن أن تعطّل المكوك أو ذراع الروبوت للمكوك كانت (سانا) قد قرّرت أن يطير رائد الفضاء (نلسون) لوحده من المكوك وهو بعيد عن القمر بهذه المسافة، ليصل إلى القمر ويثبّت ذراع الروبوت الممدودة من المكوك على مرتكز الدوران الشبيه بالوتد في القمر (سولار ماكس) بواسطة أجهزة الدفع النفاثة الموجودة في حقيبته الخلفية، وحالما يتمّ تثبيت القمر تعمل ذراع الروبوت على حمله ووضعه في حجرة الحمولة للمكوك، وهذه المهمة الصعبة أوكلت إلى (نلسون) الذي بدا بلباسه الفضائي كفارس مدرّع من القرون الوسطى، وبدا القمر أمامه كطاحونة هواء، وبعد أن قطع مسافة الـ (٢٠٠) قدم وهو طائراً باتجاه القمر راوغ وذهب من تحت الألواح الشمسية لئلا يصطدم بها، ثم دار حول القمر المترنح من كل جهاته، ثم ارتدّ إلى يمينه، وكان من المفترض أن تطبق زوج الفكوك المطاطية لجهاز الدفع الذي سيزلقها على الوتد فوق مرتكز الدوران في القمر.. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث.. وحاول (نلسون) مرة ثانية وثالثة، وكل مرة كانت أصعب ممّا قبلها، والفكوك المطاطية فشلت في الإمساك بالوتد.. وهنا قرر القائد (كريبين) أن يطير بنفسه من المكوك ويمسك بالألواح الشمسية بيديه وأن يشعل محركات الدفع في حقيبته النفاثة لتثبيت القمر المتمايل، وتقدّم منه بطيران سريع متواصل بعد أن أخذ (نلسون) طريقه بعيداً إلى حيث الأطراف الخارجية للألواح الشمسية، ثم أشعل نفاثات حقيبته الخلفية وقال **لكريبين**: «أخبرني عندما يستقر»، وللحظة بدا أن القمر المترنح سيثبت ويستقر، ولكن (نلسون) عاد مضطراً إلى (شالنجر) لأن وقود حقيبته الخلفية كاد أن

ينفد ، في حين كان من الضروري بقاءه قرب القمر ، والأزمة في الوقود منعته من تغيير حقيبته الخلفية والعودة ثانية إلى قرب القمر . واختار (كريبين) أن يتحرك داخل القمر ويحاول أن يثبّت القمر المتمايل بذراع المكوك ، لكن انفجاراً في نفاثات المناورة أصاب الألواح الشمسية ممّا زاد من تمايل القمر وجعل الأمر يزداد سوءً . . وتشاءم المسؤولون عن العملية في مركز المتابعة الأرضية في (هيوستون) بعد أن شاهدوا ما يحدث وسماعهم للأنباء غير السارة من (كريبين) الذي أكد على حقه كقائد للمكوك في أن يفعل ما يلائم الخطة الموضوعة ، وهنا سأله مركز (هيوستون) لماذا لا ترسل (نلسون) و (فان هوفن) غداً باتجاه القمر ليمسكا به بعد أن يستبدلا حقائبهما الخلفية ؟ وردّ (كريبين) : إن هذا حمل ثقيل عليهما بالإضافة إلى أن طيران ثلاثة روّاد حول القمر أمر لا يمكن تطبيقه عملياً ، وسأل مركز (هيوستون) هل إن روّاد الفضاء جاهزون لعمل مشي في الفضاء داخل حجرة حمولة المكوك دون الحقيبة الخلفية ويثبّتوا القمر إذا تمكّنت ذراع الروبوت من الإمساك به ؟ وردّ (كريبين) : أنا لا أريد هذا الآن ، وإذا استطعنا إعادة الإمساك به غداً أو بعد غد فسنحاول تثبيته وإيقاف تمايله بعد أن ندع الشدّادة تأخذ راحتها للإمساك به .

في هذه الأثناء كانوا قد عبروا سماء نصف القارة الأميركية ، والعلماء الموجهون في مركز (جودارد) كانوا يحاولون إيقاف تمايل القمر باستخدام نظام السيطرة الخلفي الموجّه فيه ، الذي يتكون من أسلاك مغناطيسية كهربائية موصلة التي عندما يمرّ التيار الكهربائي من خلالها تعمل كإبر مغناطيسية ، وحاول العلماء أن ينظّموا حركتها مع اتجاه الحقل المغناطيسي الأرضي ، لأن (سولار ماكس) كان ما يزال يستمد بعض القوة من المغناطيسية الأرضية ، لكن لم تكن هناك استجابة من القمر لأن الجيروسكوب (جهاز يستخدم لحفظ التوازن وتحديد الاتجاه) الذي يوجد على متن القمر كان يقيس سرعة دوران القمر ويأمر عزوم التدوير المغناطيسية بالاستجابة ، ولكن الإشارات المرسلة منه كانت خاطئة ولم تُفهم ، وعمل العلماء في مركز (جودارد) على إعادة برمجة الكومبيوتر

★ رائد الفضاء (نلسون) يراوغ من تحت الألواح الشمسية الدوّارة ويقترب من القمر (سولار ماكس) ★





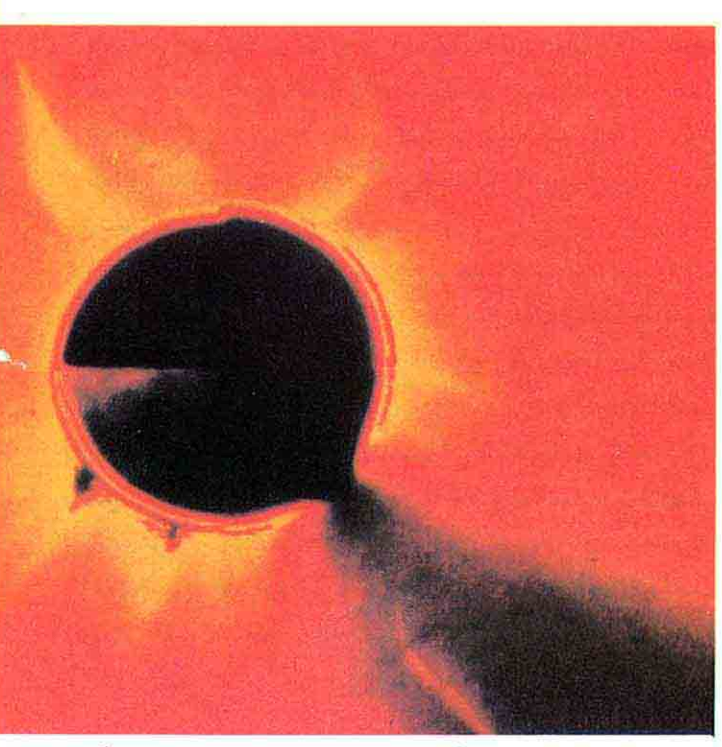
الذي كان يسرّع حركة القمر ، بحيث يستخدم الأسلاك الكهرومغناطيسية نفسيها لتقيس سرعة دوران القمر .

وفي مساء يوم الأحد بدأ يقلّ تمايل (سولار ماكس) وتغيّر وضع الألواح الشمسية ، المنتجة للكهرباء فيه بحيث صارت تواجه الشمس أثناء كل ترنّح ، ولأنها إذا لم تعد تجمّع طاقة شمسية كافية من الشمس تكفي للمحافظة على شحن البطاريات الدائم ، فإن الخلايا الشمسية ستتلف ، وإذا ما تلفت الخلايا فإنه لن يبقى أمام روّاد الفضاء ليمسكوا بالقمر سوى مهلة يوم واحد فقط ، وذلك قبل أن يتجمّد (سولار ماكس) من البرودة الفضائية ويتعذّر تصليحه نهائياً . وقال العالم الفيزيائي (بوهلن) من مركز (جودارد) لروّاد الفضاء : « إنه بعد كل هذا العمل المضني الشاق لا يكون ظريفاً أن نترك (سولار ماكس) يتجمّد ويذهب بعيداً في الفضاء » .

وكان الوقت يسرع على روّاد الفضاء وعلى فريق علماء مركز (جودارد) الذين أوقفوا الإرسال الراديوي في (سولار ماكس) لتوفير الكهرباء للبطاريات لتبقى على قيد الحياة أطول فترة ممكنة ، وليتمكن القمر من المرور التالي فوق الطرف المظلم من الأرض ، وكان هذا بأمر العالم (**وليام ستيوارت**) مدير الإرسال في مركز (جودارد) ، إضافة إلى أن روّاد الفضاء كانوا قد تمرّنوا واختبروا عدة تقنيات للإمساك بأشياء تترنّح لمدة عام كامل ، وقال العالم (سيبولينا) : « نحن لسنا انهزاميين ، وهذه الوكالة والعاملون فيها يملكون قدراً كبيراً من الثبات والعزم ، وأيضاً قدراً كبيراً من النضال » . وبينما هو يتكلم برز (سولار ماكس) من ظل الأرض وبدا أن الترنّح المتواصل قد قلّ ، وأن الألواح الشمسية قد استطاعت أن تأخذ جرعات كافية من أشعة الشمس ممّا أعاد شحن البطاريات ، وقال رائد الفضاء (هارت) : « إني أرى شمساً متألّقة مدهشة » ، وعندما رأى فريق علماء (جودارد) عزوم التدوير ما تزال تعمل على (سولار ماكس) أعادوا برمجة الكومبيوتر فيه بحيث تجعله يدور بسرعة بطيئة تعادل نصف سرعته السابقة ، وتجعل الألواح الشمسية باتجاه الشمس بشكل دائم .. وبعد تحقيق هذه السرعة البطيئة للقمر تستطيع ذراع الروبوت الآن أن تعالج الأمر وتمسك بالقمر دون أي خوف من أن تنكسر .

إنقاذ « سولار ماكس »

المحاولة الثانية للإمساك بالقمر (سولار ماكس) بدأت عندما هبط المكوك (شالنجر) وهو **أعلى المحيط الهندي** لمسافة (٣٠) قدماً تحت



★ اضطرابات عنيفة في هالة الشمس المتوهّجة .. صورة التقطها القمر (سولار ماكس) قبل أن يتعطّل ★

الألواح الشمسية الدوّارة للقمر ، واستطاع الرائد (هارت) أن يعلق القمر في ذراع الروبوت من المحاولة الأولى وبشكل رائع لا يصدق ، وعندما كتب القائد (كريبين) في تقريره وصفاً لهذه الحالة قال : « فجأة تحوّل خوفنا إلى ابتهاج لا يوصف » ، **وقال العالم (سيبولينا) : « يجب أن نعتقد جميعاً بأنه في لحظات الأزمات التي تعترضنا يأتي التدخل الإلهي لينقذنا »** ، ويضيف العالم (سيبولينا) : « والحقيقة أنه مع الرعاية الإلهية لنا كان هناك أيضاً القليل من الإبداع الإنساني والخبرة المكتسبة من التدريب الطويل على مثل هذه الأعمال ، إضافة إلى الجرأة الإنسانية التي لا توصف للروّاد » .. والليلة الطويلة الرهيبة كانت قد مرّت وانتهت أحداثها بالنسبة للروّاد والقمر وعلماء المتابعة الأرضية ، واتجه **العالم (بوهلن)** الذي لم يعد يستطيع فتح عينيه من التعب والسهر إلى النوم وإن كان ما يزال على حذر ، فقد قال : « نحن الآن قد اشترينا بطاقة لدخول واقع الحدث الرئيسي الأهم » .

وفي صباح اليوم التالي وهو اليوم الخامس للمكوك (شالنجر) في مداره في الفضاء بدأت الأحداث الرئيسية لتنفيذ مهمة إصلاح القمر المعطّل ، فاتجه الرائد (نلسون) والرائد (فان هوفن) إلى الخلف إلى حجرة الحمولة في المكوك حيث تأكدا من صلاحية السحب الميكانيكي للمحرك ، ثم ثبّتا نفسيهما على نهاية ذراع الروبوت ليكون عملهما بفعالية أكبر في بيئة انعدام الوزن ، ثم رفعا رتاج مركبة التوجيه القمرية واستبدلاها مباشرة بمركبة جديدة مجهزة بصمامات أقوى ، وفك الرائد (فان هوفن) اللوالب المغطّاة وفصل الأسلاك المفككة ، ثم غامر ومد يده إلى الأجزاء الداخلية للكوروناجراف واستطاع هو والرائد (نلسون) نزع الأجزاء الداخلية الإلكترونية منها ، ثم وضع (نلسون) علبة إلكترونية



★ طاقم مكوك الفضاء (شالنجر) يهنئون بعضهم بسلامة العودة إلى الأرض، وهم من اليسار (فان هوفن)، (سكوبي)، (هارت)، (نلسون)، و (كريبين) القائد.. ويرى المكوك (شالنجر) بجانبهم ★

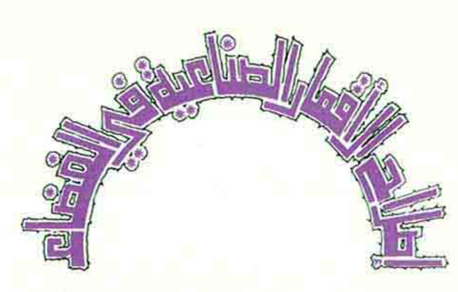
جديدة وأعاد وصل الأسلاك وتعليق البراغي مع تثبيتها بإحكام شديد.. وانتهى أداء المهمة بالكامل، وأُصلح القمر (سولار ماكس) خلال أقلّ من ساعة في مهمة قدر لهـا العلماء أن تستغرق أكثر من ساعتين ونصف، وقال (نلسون) مؤخراً في تقريره إن السر في هذا يرجع لكلمة واحدة هي (التدريب، التدريب، التدريب). وبعد أن انتهى إصلاح القمر نظر (نلسون) نظرة أخرى إلى خصمه العنيد (وتد مرتكز الدوران) الذي استعصى عليه الإمساك به ليعلّق به القمر في ذراع الروبوت، وقضى القمر (سولار ماكس) ليلته معلّقاً على نهاية ذراع الروبوت ليحصل على فحص نهائي من علماء مركز (جودارد) على الأرض الذين قرروا إطلاقه ثانية إلى الفضاء ليقوم بمهامه العلمية العظيمة في صباح يوم (١٢) أبريل (نيسان) في الذكرى السنوية الثالثة لرحلة المكوك (كولومبيا) أول مكوك يرسل إلى الفضاء.. وتركته ذراع الروبوت ينطلق إلى الفضاء، وانسحب (شالنجر) بعيداً عنه وهو يتمنّى له كلّ النجاح في مهمته، وعاد (سولار ماكس) إلى الفراغ الكوني ثانية، وتذوّق طاقم المكوك طعم الانتصار، وقال القائد (كريبين): «لقد قمنا بعمل رائع أكثر بكثير ممـّا حلمنا به، لكننا نأمل، في خلال السنوات الثلاث القادمة، أن نضع هذا العمل الجبار في الظل بما سنحقّقه من أعمال أكثر عظمة في مجال الفضاء».

ويوم الجمعة (١٣) أبريل (نيسان) وهو اليوم المحدّد لعودة (شالنجر) إلى الأرض حيث سيهبط في مركز كينيدي للفضاء كان عاصفاً ماطراً، وقبل (١٠) دقائق من إشعال محرّكات (شالنجر) استعداداً للعودة إلى الأرض أُبلغ طاقمه أنّ عليهم أن يغيّروا اتجاههم ليهبطوا في قاعدة القوى الجوية في (إدواردز) رغم أن المطر لا يؤثر على هبوط شالنجر، لكن يمكن أن يؤثر تصادم نقاط المطر التي كانت سرعتها أكثر من (٢٠٠) ميل في الساعة به على الرقائق الحرارية الهشة فيؤدي إلى تآكلها، وتذمّر (كريبين) وأجاب مدمدماً: «حسناً سأكون هناك»، وهبط (شالنجر) بسلام في قاعدة (إدواردز) ولقي طاقمه ترحيباً لا يوصف قبل أن يُسألوا عن عملية الإنقاذ.

وكان مهندسو (ناسا) قد تأكدوا قبل شهرين من إرسال (شالنجر) إلى الفضاء في مهمة إصلاح وإنقاذ القمر (سولار ماكس) من أن ذراع الروبوت كانت قوية كفاية، وتستطيع أن تمسك بالقمر المترنّح دون أن تنكسر. هذا رغم أن القمر (سولار ماكس) كان قد صنع له وتد كلاّب في الجزء الأوسط منه حتى قبل أن يُصنع ذراع الروبوت للمكوك ليقوم بعمليات الإمساك بالأقمار في الفضاء، وكان روّاد الفضاء قد تدرّبوا لأكثر من عام وهم يحملون النفاثات الخلفي، وذلك حسبما يقول العالم (إبراهامسون) الذي ترك وكالة (ناسا) ليرأس مشروع الرئيس (ريجان) لتطوير أنظمة دفاع الصواريخ (حرب النجوم).

والنجاح الذي حقّقته (ناسا) في عملية إصلاح القمر (سولار ماكس) زاد من تصميمها على الذهاب إلى الفضاء ثانية وإصلاح القمران المعطّلان في الفضاء، قمر الاتصالات الأندونيسي (بالابا) الذي صنعته أميركا، والقمر (لاندسات ٤)، والقمر (بالابا) هو أحد قمرين وضعا في مدارات خاطئة في شهر فبراير (شباط) الماضي، وهو الآن رغم كلفته الباهظة بلا أية فائدة في الفضاء، **والقمر الثاني هو (ويستر ٦) الذي يمتلكه الاتحاد الأوروبي**، ويقول مهندسو (ناسا) إنه إذا أُشعلت القوى الدافعة في القمر (**بالابا**) فباستطاعتهم تعديل انحرافه الذي اتجه به لأعالي الفضاء لحوالي (٨٥٠) ميلاً بعيداً عن سطح الأرض، والإتيان به لمدار لا يعلو عن الأرض لأكثر من (٢٠٠) ميل وهي المسافة التي يستطيع أن يصلها مكوك الفضاء فيلتقي به ويقوم الروّاد بإصلاحه وإطلاقه ثانية إلى الفضاء، ويعتقد علماء (ناسا) أن باستطاعتهم تخفيف سرعته من (٥٠) في الدقيقة إلى (٣) في الدقيقة، ثم إلى أقلّ من ذلك حتى تصير سرعته بمتناول ذراع الروبوت، إضافة إلى أن القمر (بالابا) ليس فيه كلاّب لتثبيت ذراع الروبوت وسيضطر روّاد الفضاء أن يطيروا فوقه ويمسكوه من بروز يوجد في واحدة من نهايتيه، ثم يشعلوا نفّاثاته حتى يهبط لأسفل بما يكفي لتمسكه ذراع الروبوت، وليوضع في حجرة الحمولة بالمكوك فيصلّح ويجدّد ثم يعاد قذفه إلى الفضاء، وتقول (ناسا) إن هذه العملية توفّر ملايين الدولارات، لكن حكومة أندونيسيا لم توافق بعد على هذه العملية المغامـَرة بالنسبة إليها رغم مشاهدتها نجاح عملية إنقاذ القمر (سولار ماكس)، ويقول (**إبراهامسون**): «علينا أن نقنع الدول بأن لا ترسل أقماراً إلى الفضاء دون كلاّبات تثبيت بعد الآن، وإن شركات التأمين ستدخل في حسابها ذلك مستقبلاً».

والقمر (لاندسات ٤) أُرسل إلى الفضاء عام (١٩٨٢م)، ووضع في مدار قطبي على علو (٤٥٠) ميلاً عن سطح الأرض بمهمة مسح الأرض، وينتقل من القطب الشمالي للأرض إلى القطب الجنوبي كل



(٤٥) دقيقة ، وقد تقطّعت الأسلاك فيه وتعطّل الكومبيوتر الرئيسي ، وتخطّط إدارة برنامج (لاندسات) في (ناسا) لإرسال مكوك فضاء عام (١٩٨٦ م) ، لتصليحه وتجديد وقوده وإعادة قذفه ، وتقضي الخطة بأن تستخدم محركات قوى الدفع بالهيدرازين فيه لإنزاله إلى مدار أخفض فيلاقيه المكوك في منتصف الطريق . . وما بين عام (١٩٨٠ م) ، إلى عام (١٩٩٠ م) ، سترسل إلى الفضاء أقمار صناعية معقّدة ومكلّفة كثيرة ، وسيوضع أيضاً تلسكوب الفضاء عام (١٩٨٧ م) ، وسيراعى في صنعها الدقة والتقنية العالية .

والقمر (سولار ماكس) موجّه الآن باتجاه الشمس بدقة أكثر من ذي قبل ، ويقول **العالم (بوهلن)** : إن القمر الذي ولد من جديد ستكون له الفرصة ليسجّل ويحلّل أكثر من (٥٠) توهجاً شمسياً خلال السنتين القادمتين ، وإن أجهزته الجديدة قوية وستعمل بكفاءة لأعوام كثيرة قادمة ، وسيبقى القمر في مداره حتى عام (١٩٩١ م) ، وهو الوقت الذي تصل فيه دورة البقع الشمسية لذروتها (الذروة السابقة حصلت عام ١٩٨٠ م) ، وربما أرسل مكوك الفضاء ثانية في ذلك العام ليعطيه عمراً جديداً ، والمركبة القمرية التي استبدلت ستصلّح ويعاد تركيبها في قمر أبحاث الغلاف الجوي الذي سيرسل إلى الفضاء عام (١٩٨٩ م) ، وستقيم (ناسا) معرضاً خاصاً في مركز (جودارد) للفضاء لهذه الأجهزة الفضائية ليراها كل العالم ، وستكون فرصة طيبة لعرض هذه المنجزات الرائعة التي تحقّقت في شهر أبريل (نيسان) الماضي .





شعر :
سعد البواردي

« حسنٌ في كل عين من تود »
شاقني فيها « تقاسيم » . . و « قدّ »
و « عيون » يبحر الموج بها
شاطئاه السمر « أجفان » و « خد »
« الضحى » و « الليل » في أحداقها
كتلة حوراء في « جزر » و « مد »
قال سلطان الهوى : « أطريتها .
وتماديت . . فللأوصاف حد » .
قلت : « دعيني غارقاً في وصفها . .
حسنٌ في كل عين من تود »







حيوانات تفكر بطريقتها الخاصة

لكي يحصل القُندس البحري Sea otter على وجبة شهية من اللحم الطازج فإنه يغطس إلى أعماق المياه حيث القعر ويلتقط قوقعة أو صدفة بلح البحر (وهي نوع من الرخويات) ثم يصعد إلى سطح الماء ، وبينما هو يعوم على ظهره والقوقعة بين كفيه ، يقوم بضربها بقوة مرة بعد مرة على حجر يضعه على معدته ، ويستمر في ضرب القوقعة إلى أن ينجح في فتحها والتهام محتوياتها ، وعادة لكي تنفلق هذه القوقعة الصغيرة وتُفتح ، يلزمها حوالي (٣٥) ضربة على الحجر .

وبعد أن يلتهم القندس هذا اللحم الطازج يُخبئ الحجر تحت ذراعه ويعود ويغطس للأعماق ليجلب قوقعة أخرى ، ليعود فيفتحها بنفس الطريقة ، وهكذا إلى أن يشبع .

وقد اكتشف علماء الحياة Biologists أمثلة كثيرة من عالم الحيوان لحيوانات وطيور وحشرات تستعمل الأدوات لتساعدها في نيل ما تريد بفعل مهارات فيها الكثير من الإبداع والذكاء الفطري والحيل المبتكرة .

فالفيل مثلاً يحك ظهره بعصا يحملها على جذعه ، والنسور المصرية تُسقط أحجاراً تحملها بمناقيرها من علو على بيض النعامة لتكسرها وتأكل محتوياتها . والدبّور (وهو من الحشرات) يستعمل الأدوات ، فالأنثى المهاجرة منه تضع كومة من النفايات فوق بيوضها وتمزجها مع حصاة لتصير على شكل كتلة تحملها بين فكيها ، والثعلب البري يحمل في فمه خرقة وينزل بها جدول ماء ويغطس فيه رويداً رويداً حتى يطير من على جسمه البعوض والحشرات ويتجمّع على هذه الخرقة ، ويظل سائراً في الماء هكذا إلى أن يصل إلى الضفة الثانية للجدول ، فيلقي بالخرقة بسرعة في الماء ويهرب بعيداً ، وواحد من أشنع الأمثلة هو ما يفعله الدب القطبي حين يسحب صغير الفقمة (عجل البحر) من الماء ويجرحه ويضعه على ظهره ويتركه يتألم ويصرخ صرخات استغاثة مؤلمة تقطّع أنياط القلوب بغية جذب أمه إليه ، ثم ما إن تهبّ الأم لنجدة وليدها حتى يعترضها الدب وينقض عليها ويقتلها ثم يأكلها .

علم النبات
Botany

«اكتشاف نوع من الفطر يأكل الديدان»

ـ أونتاريو ـ

هذه النظرة البريئة الساذجة التي ننظرها لفطر المحار oyster mushroom الجميل الشكل .. قد نغيّر من معناها إذا عرفنا أنه فطر سام آكل للحوم ، فقد اكتشف وبشكل غير متوقع أنه يهاجم ويلتهم الديدان السلكية (الخيطية) Nematado Worms (وهي دودة من الخيطيات التي هي طائفة من الديدان الأسطوانية المتطاولة التي تتطفّل على الحيوانات والنباتات أو تحيا في التربة أو المياه) التي تتسلل إلى الأشجار الميتة وتعيش فيها .

وقد اكتشف عالما الفطريات (**جريج ثورن** Greg Thorn) و (**جورج بارون** George Barrom) من جامعة (**جويلف**) هواية الفطر المسمى Pbrotusostreatus **بآكل الديدان** ، بينما كانا يدرسان أحوال أنواع أخرى من الفطر التي تتغذى باللحوم (الحشرات) Carnivorous ، ومعظم أنواع هذه الفطر يستخدم للإيقاع بفرائسه .. تقنيات وشراك باتت معروفة جيداً ، مثل الخلايا اللزجة التي تلتصق بها الحشرة وهي لا تدري ، أو نصب شباك من الخيوط لتعلق بها الحشرة ، أو خيوط تنقبض .

ولكن الفطر المحاري هذا هو النوع الوحيد من بين كل أنواع الفطر الذي يستخدم تقنية متطورة جداً ، فهو يُفرز قطيرات صغيرة جداً من **التوكسين** toxin (**السمّين**) من خيوط له شبيهة بجذور النبات .

وعندما تقترب الدودة من هذه الجذور وتعلق بها هذه القطرات تتجمّد حركتها وتشلّ وتقف في مكانها حيث تنمو شبه جذور hyhae إضافية للفطر تتحلّق وتلتف بالكامل عليها من كل جانب (انظر الشكل على يسار الصورة) ، ثم تهضمها .

ويقول العالم (**ثورن**) : « إن هذا السلوك الساحر الفتّان لهذا النوع من الفطر يجعل نسبة الكربوهيدرات carbohydrate (المواد النشوية) فيه تصل إلى مستويات مرتفعة ، في حين تنخفض نسبة النيتروجين Nit-rogen » .



حيوان Animal

اكتشاف بصمات أصابع للطيور

موسكو و (إداهو)



معجزة إلهية جديدة تتبدّى في خلقه (سبحانه)، فقد كشف الطبيب البيطري Veterinary العالم (**إريك ستاوبر** Erik Stauber) من جامعة (إداهو) عن أن **مقياس مدى ما بين أصابع الطيور يتفاوت في المسافة والحجم والشكل والموضع والترتيب في كل طير**، وأن لكل طير نماذج منفردة لكل ما يتعلق بهذه الأصابع، يتميّز بها عن كل طيور الأرض، كما نرى في أرجل هذه الصقور ذات الأذناب الحمر (**انظر الصورة**).

وكانت الطيور غالية الثمن (كالصقور) تعلّم بأربطة مرقّمة تلفّ بها أرجلها للدلالة على أهميتها، وكانت عادة سارقي الطيور الثمينة أنهم يلجأون إلى فك هذه الأربطة المرقّمة من أرجل الطيور التي تموت، ثم يُعيدون استخدامها، بلفّها على أرجل الطيور التي يسرقونها ليخفوا معالمها عن عيون أصحابها.

والصيادون وأصحاب مزارع حيوانات الاستيلاد ووكالات الحيوانات البرية، بدأوا أخيراً وبعد هذا الكشف باستخدام صور واضحة دقيقة التفاصيل لآثار أقدام الطيور. ويقول (**جون ويت**) الأخصائي المنفذ في عمليات استخدام الصقور لحماية الحيوانات البرية والأسماك:

«إن انتزاع الأربطة المرقمة كان شيئاً يقوم به سارقوا الصقور بكل سهولة، ولكن عليهم الآن أن ينتزعوا بصمات الأصابع أو يُغيّروا من هذه السمات والميّزات الفريدة لكل طير إن استطاعوا».







اللوحة: الصباح الأزرق

تصور الفنانة فرانسواز في اللوحة المعروضة موضوعاً يبدو للوهلة الأولى أنه مجرد منظر طبيعي .. وما أكثر الفنانين المصورين الذين قد صوروا المناظر الطبيعية .. فالطبيعة هي ملهمة الفنان، والموحية إليه بما تزخر به من كنوز وجمال كامن فيها، وعلى الفنان اكتشافه والتعبير عنه .. والفنانة هنا لا تحاكي الطبيعة كما يبدو للوهلة الأولى .. وإنما تستمد منها عناصرها، وتستخدمها لإبراز دلالة المضمون، وهي تعبِّر عن لحظة أو لحظات زمنية هي لحظات «الصباح»، وذلك من خلال الطبيعة.

● واللحظات الزمنية بصفة عامة هي لحظات مؤثرة في النفس البشرية، فلحظات الشروق لها تأثير على النفس مختلف عن تأثير لحظات الغروب أو لحظات الليل .. ولحظات الصباح هي لحظات غنية ومتنوعة ومؤثرة في النفس البشرية أيضاً .. فهناك الصباح المشرق، وهناك الصباح الضبابي .. ومن هنا استمدت الفنانة فرانسواز رؤياها بما تركه هذا الصباح من تأثير في نفسها، فاتخذت منه موضوع لوحتها، فسمى اللوحة هو «الصباح الأزرق» .. فهل هناك صباح أزرق أو أخضر أو أحمر أو أسود أو أبيض .. ؟ .

إذن الفنانة تضع المتلقي أو المشاهد أمام موضوع إنساني عبَّرت عنه من خلال ذلك الصباح الأزرق.

● اللون الأزرق هو لون البحر، والسماء، هو لون اللانهايات .. هو لون الصفاء والأحلام .. هو أحد الألوان الفنية المؤثرة والموحية للشعراء والفنانين التشكيليين .. وقد استخدمته الفنانة هنا استخداماً درامياً لم تقصد به التعبير عن الصباح المشرق الذي يدعو إلى التفاؤل والبهجة .. وإنما صباح يثير في النفس التأمل والتساؤلات .. يضعنا أمام وقفة مع تلك اللحظة .. وقفة مع الزمن، لنتساءل عن أسباب حزن هذه الطفلة «وهي المشخص الوحيد في اللوحة» الغارقة وسط الثلوج وبين أحضان الطبيعة .. فسمات الحزن ترتسم على وجهها، ولا يظهر منها سوى رأسها .. وقد غطت الثلوج كل جسدها .. وبهذا التعبير تُشعر الفنانة المشاهد بالبرودة، وتثير عقله وعاطفته معاً نحو تلك الطفلة، ونحو قضايا الطفولة بوجه عام في العالم أجمع، فهي تدعونا إلى التفكير، فهناك أطفال معذبون وآخرون مشردون، وأطفال يموتون من البرد القارس، وآخرون يموتون من الجوع في إفريقيا .. وهذا هو مضمون اللوحة، عبَّرت عنه الفنانة من خلال هذا الصباح الأزرق الجميل الحزين.

● نجحت الفنانة في استخدام الألوان الباردة، وأقصى التباين في الدرجات اللونية والأضواء والظلال للتعبير عن المضمون، ولتأكيد الحس الدرامي في اللوحة، كما جمعت الفنانة بين التشخيصية والمناظر الخلوية في أسلوب يجمع بين الواقعية والتعبيرية والرمزية والسيريالية، والتشويه الفني ولا سيما المشخص الأول ذو الملامح الصارمة في أسفل اللوحة .. ويندرج أسلوب الفنانة تحت المدرسة التجريدية التعبيرية.



الفنانة: فرانسواز زينال

● ولدت في بريتاني بفرنسا عام ١٩٥٠ م.

● درست الفن بمدرسة خاصة للرسم في نيس عام ١٩٦٩ م.

● مارست الفن في أتيليه الفنانين في برلين الغربية.

● رسمت رسوماً توضيحية للشعر في الأعوام ٧٢ ـ ٧٣ ـ ١٩٧٤ م، وقد باعت الكثير من لوحاتها.

● شاركت في الكثير من المعارض الجماعية والمسابقات منها:

★ معارض بقاعة الفنون بكولون في برلين الغربية في الفترة من ١٩٧١ ـ ١٩٧٦ م، وصالون المارسليليز للخريف عام ١٩٧٨ م، وصالون فانيس عام ١٩٧٨ م، وصالون تولون، وحصلت على الميدالية الفضية عام ١٩٧٩ م.

★ معارض في بروكسل وأرليس .

★ معرض باريس للفنانين الفرنسيين ، وفازت بالجائزة الثالثة عام ١٩٧٩ م .

★ معارض الصالون في الأعوام ٨١ ــ ٨٢ ــ ١٩٨٣ م .

★ معرض نيويورك الدولي عام ١٩٨٤ م .

★ أقامت معرضاً ثلاثياً في بونكيفي .

● أقامت العديد من المعارض الخاصة منها :

★ معرض بفندق كيوبرون عام ١٩٧٨ م ــ بمركز ريدون الاجتماعي عام ١٩٧٩ م .

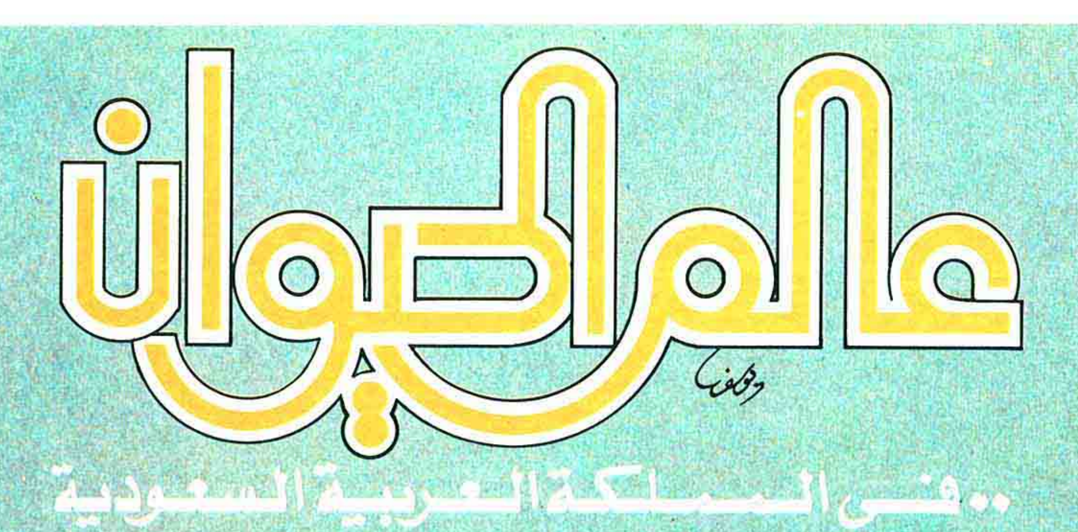
★ معارض بجاليري كيوبرون في الأعوام ٨٠ ــ ٨٢ ــ ١٩٨٤ م .

★ معرض بجاليري ماكسيم عام ١٩٨١ م ، وآخر بمدينة بون في نفس العام .

★ معرض بجاليري بونكيفي عام ١٩٨٣ م .

★ معرض بألمانيا الغربية عام ١٩٨٤ م .





عالم الحيوان

.. في المملكة العربية السعودية

بقلم: محمد فكري أنور

إن الدارس الباحث في عالم الحيوان في المملكة العربية السعودية ، يكتشف أن قصة الحيوان على أرض هذه البلاد تعتبر تجسيداً كاملاً - أو بانوراما - لقصة تاريخية تمتد جذورها إلى عشرات الملايين من السنين ، وتحكي قصة الجو والأرض والحيوان على هذا الجزء من المعمورة .

قصة الجو

في دروب الماضي السحيق ، حدثت تطورات جذرية في أجواء الجزيرة العربية . **في العصر الجليدي** ، كانت الجزيرة تتمتع بجو أكثر اعتدالا مما هي عليه الآن . وكانت أعشاب وغابات **السافانا** تفترش أراضيها . . . تلك الأراضي التي كانت جداول وأنهار المياه العذبة تتدفق في جنباتها .



★ غزال ★

★ الوعل العربي ★



يقول «ديفيد . إل . هاريسون» : «مع نهاية العصر الجليدي، ساد الجزيرة العربية جو قاري، أدى إلى وجود الصحارى القاحلة الممتدة من شمال إفريقيا، وعبر الجزيرة، إلى إيران وباكستان .. فاختفى اللون الأخضر، واندثرت الغابات من أغلب أرجائها، كما جفت وديان الكثير من الأنهار ومجاري المياه العذبة».

... والأرض

وفي دروب الماضي السحيق أيضاً، كانت حدود الجزيرة العربية ـ غرباً وشرقاً ـ أكثر اقتراباً من حدود آسيا وإفريقيا. وكانت تلك الحدود ـ الشبه متلاصقة ـ تعتبر بمثابة جسر استراتيجي أتاح لحيوانات هاتين القارتين الهجرة بحرية ويسر عبر أراضي الجزيرة العربية. أما بعد أن حفرت العصور الجيولوجية المتعاقبة ذلك الأخدود الهائل الذي جرت فيه



★ ذئب : حديقة الحيوان بكلية التربية ـ أبها ★

المياه فأصبح معروفاً باسم « البحر الأحمر » . . وبعد أن حدث الشرخ الذي غمرته المياه فأصبح خليجاً عربياً .

عندئذ انفصلت أرض الجزيرة العربية : غرباً عن إفريقيا ، وشرقاً عن الأراضي الآسيوية ، فانقطعت هجرة الحيوان منها وإليها .

وهكذا ، حوصرت كافة أنواع الحيوان التي كانت موجودة على أرض الجزيرة قبل نهاية العصر الجليدي . . . فلا هي استطاعت العودة من حيث جاءت ، ولا هي حظيت ـ مع العصور الجوية المتجددة والسائدة منذ ما بعد العصر الجليدي ـ بالاستمتاع بالظروف الجوية التي كانت تعيش وتتنقل تحت ظواهرها من قبل .

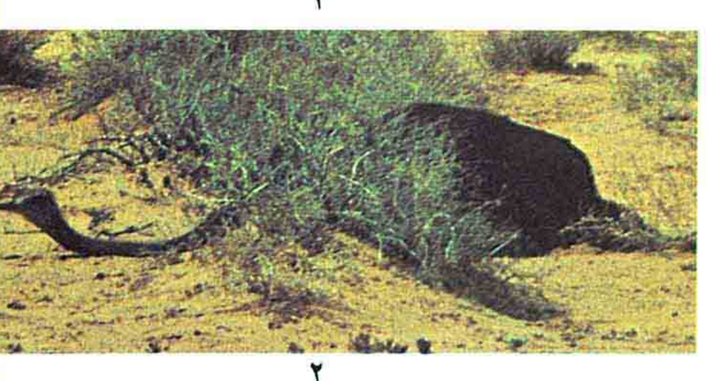
وتضافرت العوامل الثلاثة : (الجو ، والصحراء ، وغياب الكثير من المجاري المائية العذبة) . تكاتفت هذه العوامل ، فكانت لها آثارها على الحيوان ، خصوصاً تلك السلالات التي عجزت ـ كما أسلفنا ـ عن العودة إلى أوطانها الأم ، ومن ثم تجسدت هذه الآثار في تغييرات في الوزن ، والحجم ، ولون الفراء أو الوبر ، وطول الذيل أو قصره ، وعدد أصابع الأرجل . بل إن بصماتها قد رُسمت على دورة الحياة عند البعض من تلك الحيوانات .

وبدهي أن يصدق حديث « المتغيرات » هذا على سلالات الحيوان التي استطاعت احتمال تلك « المتغيرات » الجوية والجغرافية والتعايش معها . أما تلك التي ناءت كواهلها بالظروف الجديدة ، فقد قلّ وجودها وتلاشى ظهورها ، فلم يعثر منها على غير حفريات تقع بين أيدي الباحثين بين الحين والآخر .

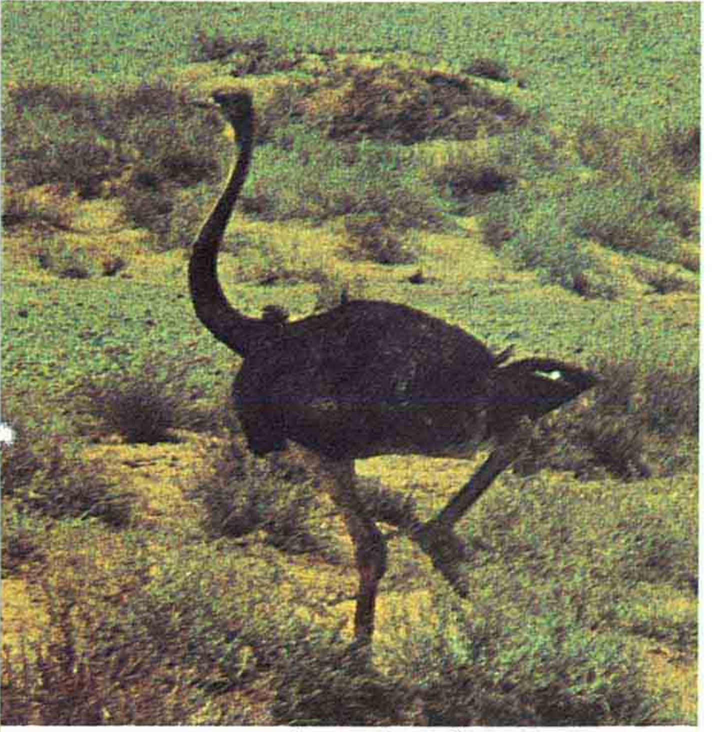
على أن ظاهرة اختفاء بعض أصناف الحيوان لا تزال متواترة حتى الآن . . مثال ذلك :



١



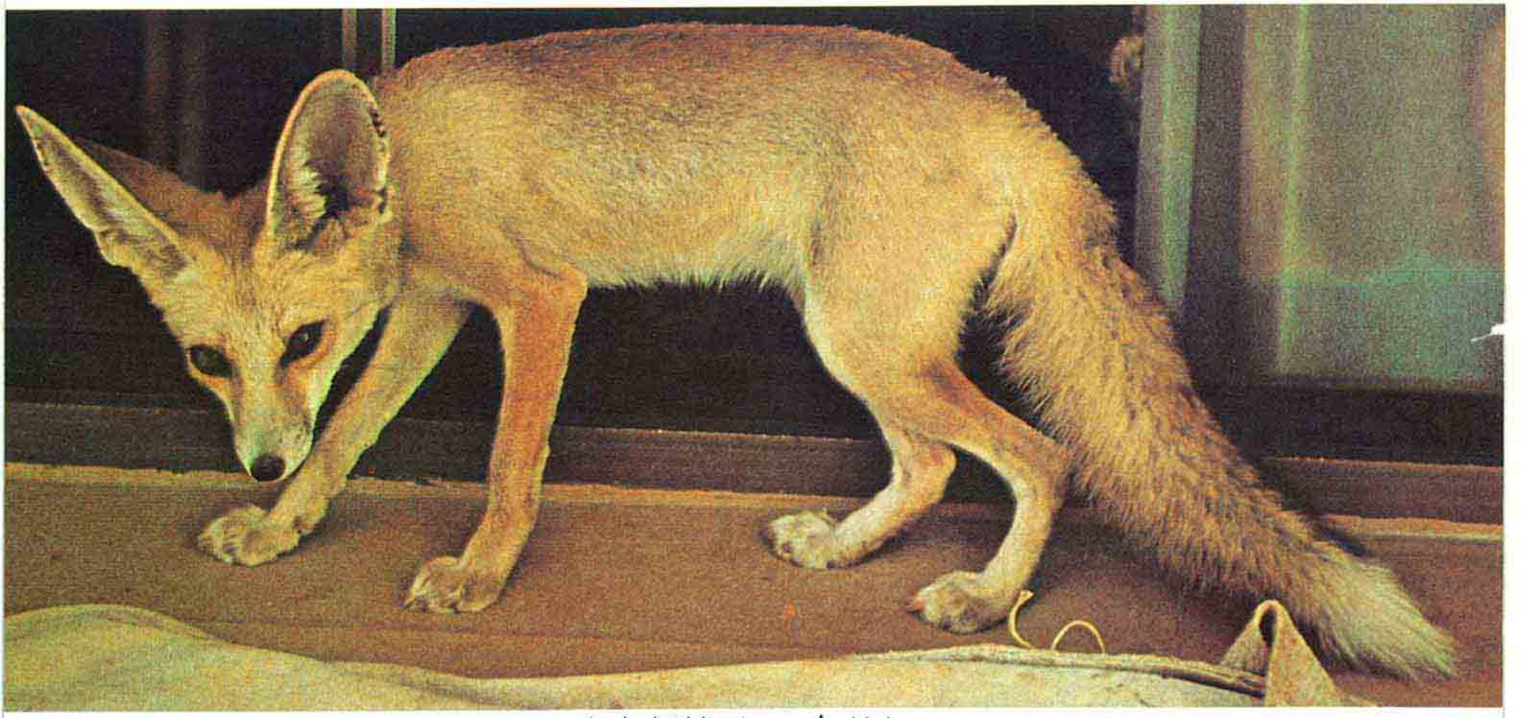
٢



٣ ★ النعامة . . والتكاثر ★

★★ القرد الآسيوي ، المعروف باسم « **جيتا** » ، الذي شوهد مع بداية القرن العشرين الميلادي في الأجزاء الشمالية من المملكة العربية السعودية . أما الآن ، فيكاد وجوده أن يكون شديد الندرة في تلك المناطق . وإن البعض ليرجحون ـ ولكن بكثير من الشك ـ أن تظل بعض أفراد منه موجودة بالمناطق الجنوبية من **الربع الخالي** حتى الآن .

أما الأصناف التي استطاعت احتمال تلك « المتغيرات » ،



★ ثعلب أحمر : صحارى المنطقة الوسطى ★

★★ الفأر الإفريقي : ويعيش بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية .

★★ الفأر الآسيوي : وهو موجود بالمنطقة الشرقية من البلاد .

لكن العلماء يرجحون أن يكون الإنسان هو الذي جلب الفأر بسلالتيه إلى الجزيرة العربية بصفة عامة .

وهنا تقول « **ليبسكوم فينسيت** » في كتاب لها بعنوان « **حياة الحيوان في المملكة العربية السعودية** » :

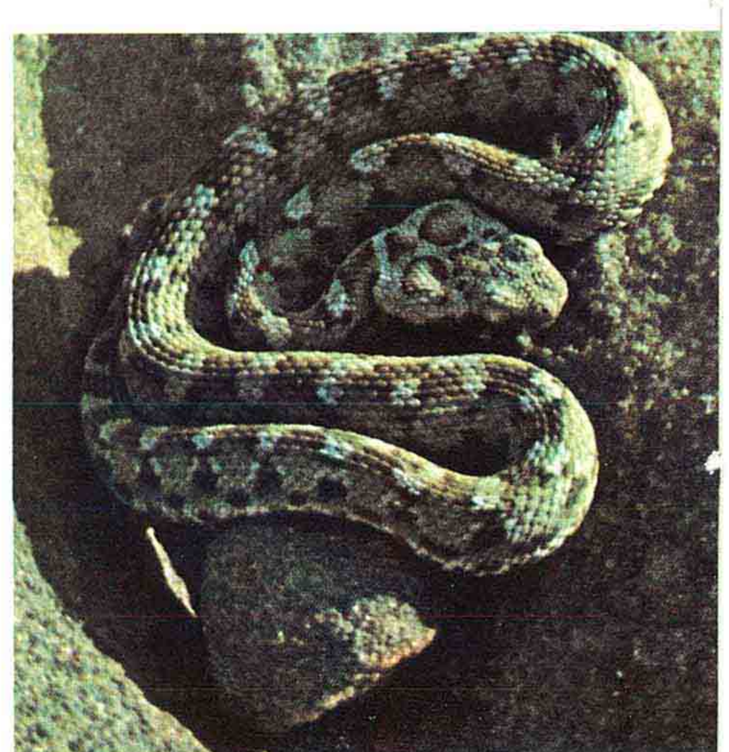
« إنني مع الذين يبرئون هجرة الحيوان ، أو الظروف الجوية أو الجغرافية ، عن أن تكون هي المسؤولة عن جلب هاتين السلالتين أو عن عزلهما داخل حدود الجزيرة العربية من بعد أن شُق البحر الأحمر وتكوّن خليج العرب » .

★★ القرد الأثيوبي : ويشاهد بجنوب غربي المملكة ، خصوصاً بمنطقة عسير .

★★ النمس الأبيض الذيل : ويتميز بالطول الواضح والبياض الناصع لذيله . وهو موجود أيضاً بمنطقة عسير وبعض المناطق الشمالية الغربية لليمن .

★★ الفأر الجبلي الأثيوبي : وهو ناعم الفراء ، طويل الذيل . وقد شوهدت أعداد منه في **منطقة عسير** ، وفي شمال اليمن .

★★ الجربوع : وفيه تتضح كثير من « المتغيرات » التي ذكرنا . ويتميز بأن له خمسة أصابع في قدميه الأماميتين ، وبضيق المسافة بين أذنيه بدرجة أكبر منها في الأصناف الأخرى . وهو يعيش بالمناطق الشمالية من المملكة .



★ أفعى : شمال الرياض ★

والتي كانت قد عبرت إلى أراضي الجزيرة إبان العصر الجليدي ، فنجد منها :

★★ القنفذ الأثيوبي : وفد من الحبشة . ومن آسيا وفد ابن عمومته « القنفذ الآسيوي » . . وكلاهما موجود بجنوب وشرق الجزيرة . لكنه نادر الوجود بالمملكة العربية السعودية .




★ دمّوسة : سحلية بالوادي الأوسط ★



★ الوَشَق : من فصيلة القط.. جبال عسير ★

★★ الوطواط : ويوجد منه بالبلاد حوالي سبعة عشر صنفاً ، أشهرها هو الوطواط الموجود بمنطقة **الهفوف** ، الذي يتميز بأذنيه الكبيرتين ، وجناحيه المائل لونهما إلى البياض .

... والحيوان

عرضنا ، في الحديث عن « المتغيرات » لحيوانات القنفذ والفأر والقرد والنمس والجربوع والوطواط ، وهي من الحيوانات غير المستحبة للإنسان غالباً . ولقد كنا في ذلك نعتمد الحقيقة القائلة إن المتغيرات الفسيولوجية تبدو أكثر وضوحاً ـ في أغلب الأحوال ـ في الحيوانات الصغيرة الحجم .

بيد أن الصحراء لا يمكن أن يكون حيوانها فأراً وجربوعاً وقرداً وحسب . إنها ـ بالعكس ـ تزخر بالعديد من أنواع الحيوانات ، على اختلاف عائلاتها وأجناسها وأنواعها .

وإذا كانت الصحراء (الصفة الغالبة لأرض الجزيرة العربية) تغطي مساحة أكبر مما تشغله الرقعة الخضراء من المعمورة ككل ، فلا بد ـ والأمر كذلك ـ أن تحفل بوجود أنواع عديدة من الحيوان ، نختار منها على سبيل المثال :

الغزال

من أجمل الحيوانات شكلاً ، وأكثرها رشاقة ، وأشهرها اكتحال عين ، وأشهاها لحماً ، وأبلغها إثارة لخيال الشعراء وقصيدهم .. ابن عمومة للوعل والغنم والماعز .

عاشت أعداد كبيرة منه في السهول الشمالية **من المملكة العربية السعودية** ، كما رعت عشب الوديان الخضراء في منطقة عسير ، وفي المنطقة الوسطى كذلك .

وتوجد منه الآن أعداد قليلة على بعد ثلاثمائة كيلومتر جنوب **مدينة الرياض** ، إلى جانب أعداد بسيطة أخرى تتناثر على كافة بقاع المملكة .

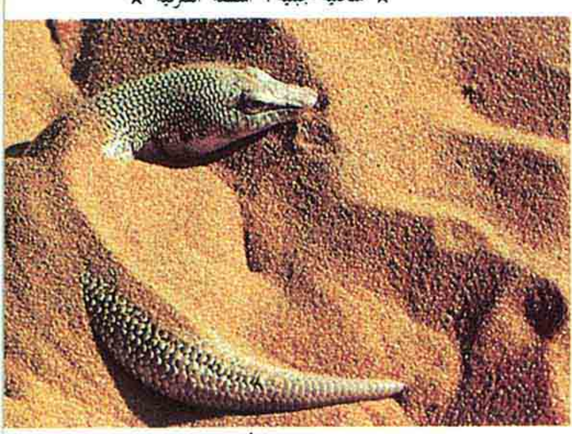
ينقسم غزال المملكة العربية السعودية إلى ثلاثة أنواع ، تميز فيما بينها فروق ضئيلة ـ قد لا يدركها المرء ـ في اللون والحجم :

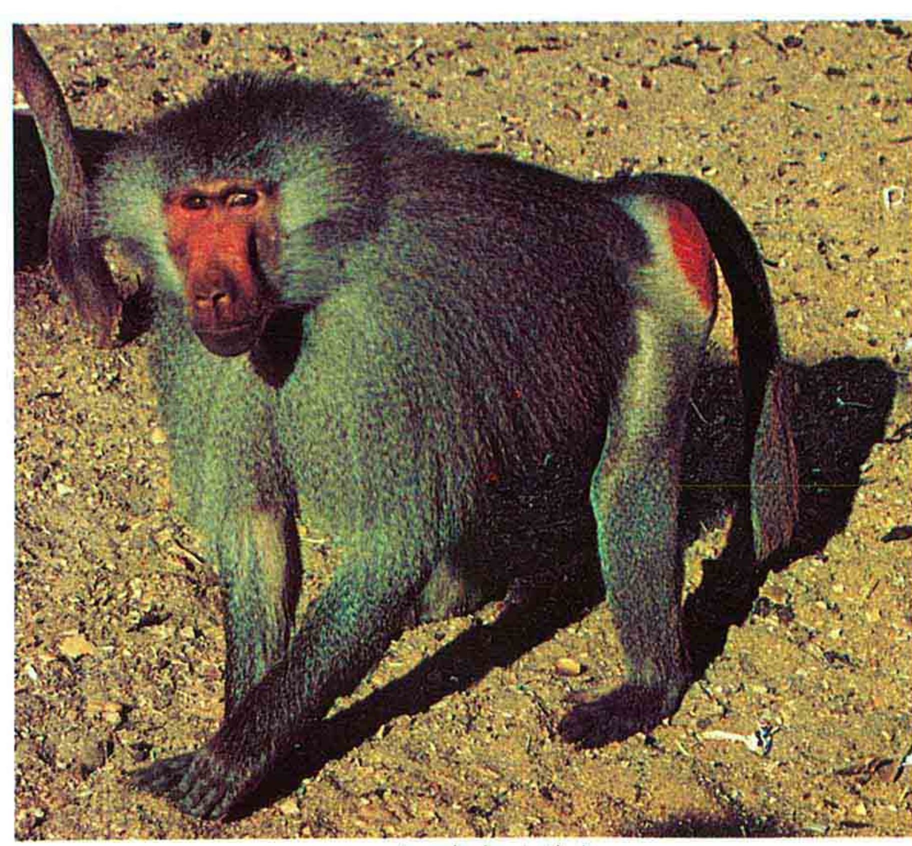
●● النوع الأول : هو الإيدمي ، ولونه بني داكن مائل إلى الاحمرار ، مع خطوط بنية داكنة على الخدين . ويعيش هذا النوع بمنطقة عسير ، وأنثاه تضع مولوداً واحداً في المرة الواحدة .

●● النوع الثاني : هو « الريم » ويتميز عن الأول باختفاء الخط الداكن على الخدين ، وتقوس القرنين وتقاربهما عند قاعدتيهما ، وأنثاه تضع مولوداً واحداً ، وقد تلد توأماً . وهو يشاهد بوسط وشمال البلاد .

●● أما النوع الثالث : فهو « العفراء » ، وهو أصغر من النوعين السابقين حجماً ، كما أن أقدامه أقصر من أقدامهما . ويعرف بقرنيه الطويلين نسبياً والمستقيمين ، مع أذنين أطول منها عند النوعين السابقين .


★ سحلية جبلية : المنطقة الشرقية ★


★ سقنقور : من أنواع السحالي ★


★ القرد : جبال الجنوب ★

الوعل « العربي »

الاسم الشائع هو « الوضيحي » ، ويرجع الكثيرون أن نعت هذا الحيوان بصفة « العربي » يرجع إلى سببين :

★ **أولهما :** انفراده بين جميع أبناء جنسه من ناحية الحجم ، وارتفاعه لا يتجاوز ٩٠ سنتيمتراً .

★ **والثاني :** وجود سنام صغير فوق كتفيه .

وللوعل العربي جلد أبيض فضي ناصع ، مع وجود بقع سوداء على جبهته وخديه وتحت ذقنه . أما أقدامه ونهاية ذيله فهي بنية اللون . كما أن له قرنين طويلين (حوالي ٧٥ سنتيمتراً) ومستقيمين تقريباً ، بحيث إذا نظرنا إليهما من جانب واحد لرأيناهما قرناً واحداً . ولعل هذا هو مرد تسمية « **وحيد القرن** » في الأساطير القديمة . وهو من الحيوانات المجترة ، وأقدامه تشبه أقدام البقرة ، ولكنها تكبرها بشكل ملحوظ . وصغير الوعل يكون رملي اللون ، مشوباً باللون البني ، وقرنيه سريعا النمو ، يصل طولهما إلى ٣٠ سنتيمتراً مع إتمامه العام الأول من عمره .

هذا ، ويقال إن الوعل لا يشرب الماء . فهو ـ كغيره من حيوانات الصحراء ـ يشرب الماء إذا توفر لديه ، ومن ثم يستطيع الحياة بدون ماء ، مرتوياً بقطرات الماء التي تحتويها الأعشاب والنباتات الصحراوية التي يتغذى عليها .

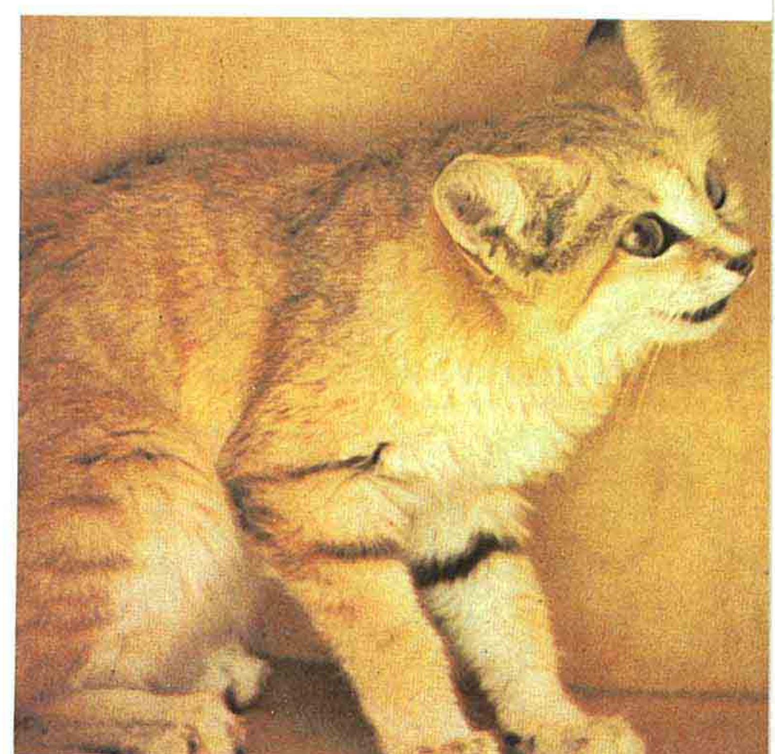
ولقد كانت الوعول ترعى ـ بأعداد كبيرة ـ في الكثبان الرملية بمناطق النفود ، والربع الخالي ، والدهناء . ومع بداية القرن العشرين الميلادي ، أشارت بعض الدراسات إلى وجودها بمنطقة النفود ، فيما بين الجوف وتيماء . ويقول « **دوجلاس كاروترز** » في كتابه « **صحراء النفود والبحث عن الوعل** » ، إنه وجد آثاراً له بمنطقة النفود في عام ١٩١٠ م ، كما رأى مجموعة تقدر بالعشرين وعلاً ترعى بتلك المنطقة . أما « **فيلبي** » فيقرر أنه رأى آثاراً لها في **وادي الدواسر** عام ١٩٣٣ م ، بينما يشير « **ثيسايجر** » إلى أنه رأى الوعل العربي بالقرب من **مدينة نجران** .

الجدير بالذكر أن أهل البادية يعتقدون أن رائحة عظام الوعل المحترقة تطرد الأفاعي السامة ، وأن دمه يصلح ترياقاً لسم الثعبان .

النعامة « العربية »

أضخم الطيور حجماً .. تشتهر بطول ساقيها ورقبتها ، كما تتميز بركلتها البالغة القوة عند تعرضها لخطر قريب . تستطيع فصل رأس الأفعى عن جسدها بنقرة واحدة من منقارها القوي الحاد . أما إن كان خصمها أقوى من أن تردعه الركلة ، أو تصرعه النقرة ، فإنها تبرم ذيلها وتطلق ساقيها للريح ، بسرعة رهيبة . غير أن الخطر الحقيقي على حياة النعامة هو الإنسان !

اكتسبت الصفة « العربية » أخيراً ، لاختلافها عن النعامة « الإفريقية » في بعض الصفات .



★ قط صحراوي ★

ذكر النعام يكون أسود الريش ، أبيض الذيل . أما الأنثى ، فيغطي جسمها ريش رمادي اللون مبقعاً ، يبدو وكأنه أسود اللون إذا رؤي من مسافة بعيدة . وهي تضع بيضها في فصل الشتاء بما يبلغ الواحد والعشرين بيضة ، تفقس بعد حوالي شهرين وخمسة أيام .

التصق بالنعامة لجوءها إلى دفن رأسها في الرمال عند إحساسها بالخطر . ثم انتقل هذا الوصف ليكون تشبيهاً بالإنسان الذي يتهرب من المسؤولية بسلوك مناف للنهج الصحيح . بيد أن وصف النعامة بهذه الخصلة فيه إجحاف بها . ذلك أنها ـ إذا داهمها الخطر وعجزت عن الفرار ـ حاولت أن تختبئ ، بطريقة بها قدر من الفعالية وضمان التمويه . إنها تمدد رقبتها ورأسها وتلصقهما بالأرض جداً ، ولكن دون أن تدفن رأسها في الرمال . ولعل سبب هذا التشبيه راجع إلى أنها ـ بتصرفها هذا ـ تعجز عن أن تحفر لنفسها سرداباً تنسل إليه ، إذ هي ليست مؤهلة لذلك فسيولوجياً . ولكن ماذا تفعل غير ذلك وقد داهمها الخطر وحال دون تمكنها من الفرار ؟

ويطلق أهل البادية على ذكر النعام اسم « الزازيلهوم » وعلى الأنثى « الربدة » . وقد قال « **بيرتون** » في كتابه « الحج إلى المدينة ومكة » إن البدو يعتقدون أن النعامة تقذف صيادها بالحجارة . لكن هذا الظن يرجع إلى تطاير الحجارة من تحت أقدامها عندما تنطلق هاربة من قناصها .

هذا ، ومع الولوج إلى عالم الحيوان في المملكة العربية السعودية ، تجدر بنا الإشارة إلى بعض المعلومات الجغرافية الأساسية عن البلاد .

* تبلغ مساحة **المملكة العربية السعودية** حوالي الثمانمائة

★ قنفذ : منطقة الرياض ★

والخمسين ألف ميل مربع ، أي بما يعادل حوالي أربعة أخماس المساحة الكلية للجزيرة العربية .

* يمر **مدار السرطان** بوسط البلاد تقريباً . إذ يكون مروره على بعد حوالي مائتي كيلومتر شمال **مدينة جدة** ، ومائة كيلومتر جنوب **مدينة الرياض** .

* تصل نسبة الرطوبة في هواء المنطقتين الساحليتين (شرقي وغربي البلاد) إلى حوالي ٩٠٪ .

* توصف جغرافية البلاد عموماً بأنها صحراوية ، رغم أن أراضيها لا تخلو من المناطق الجبلية التي يفترشها العشب وتزدانها الزهور وتسمق بها الأشجار وتتفجر فيها عيون الماء العذب ، خصوصاً في منطقة عسير .

* يوجَد العشب والزهور والأشجار ـ برية كانت أو مزروعة ـ في جميع الوديان التي تمرق في مناطق شتى من البلاد ، كبيرة كانت هذه الوديان أو صغيرة .

* تنمو الزراعة في مناطق شاسعة ذات إنتاج وفير بوسط البلاد ، كالقصيم والخرج ، وفي الواحات الكبيرة بالمنطقة الشرقية كما في الهفوف والقطيف .

رحلة في الصحراء

وبعد . . . فتلك معلومات الكتب : جامدة . . ساكنة . . فاترة . لكن . . شتان ما بين جمود معلومة نستقيها من كتاب ، ونبض حي لمشهد نراه رأي العين !

فإذا كانت الكتب تقول إن الصحراء هي : « الأرض القاحلة

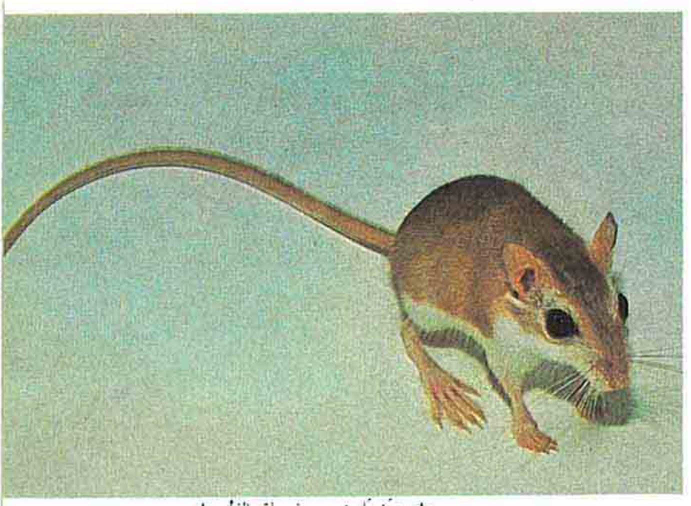
المعزولة ، الخالية من الإنسان والحيوان والنبات » . وإذا أوجزت بعض الكتب وصف الصحراء بالقول إنها : « أرض لا حياة فيها » ، فهلا خرجنا إلى الصحراء ، حول أي مدينة أو قرية من مدن أو قرى المملكة ، حيث نرى معاً الصورة التالية ، تاركين لبعضنا البعض حرية الحكم على مدى صدق الوصف الذي تضعه الكتب لتلك « الصحراء » ؟

قد نرى بين الرمال فرعاً ذابلاً جافاً . . . قد يكون ملقياً على الأرض ، أو معتمداً على جذوره لا يزال . فإذا نقلنا هذا الفرع من مكانه ، أو حركناه ذات اليمين أو إلى اليسار . . أو لو أننا تركناه على حاله ، واكتفينا بالتطلع إليه وحواليه عن كثب . . لماذا نرى ؟ .

يقول المتأثر برأي الكتب : « أرى شيئاً ما يتحرك من حول ذاك الفرع » .

ويقول البعض ممن يؤمنون بأن الحياة تدب في كل شيء وكل مكان : إننا نرى **عالماً . . حياً . . نابضاً . .** عالماً يتخذ من هذا الفرع **الجاف** مأواه ومورد طعامه وساحة صيده ومنتدى لهوه ولعبه .

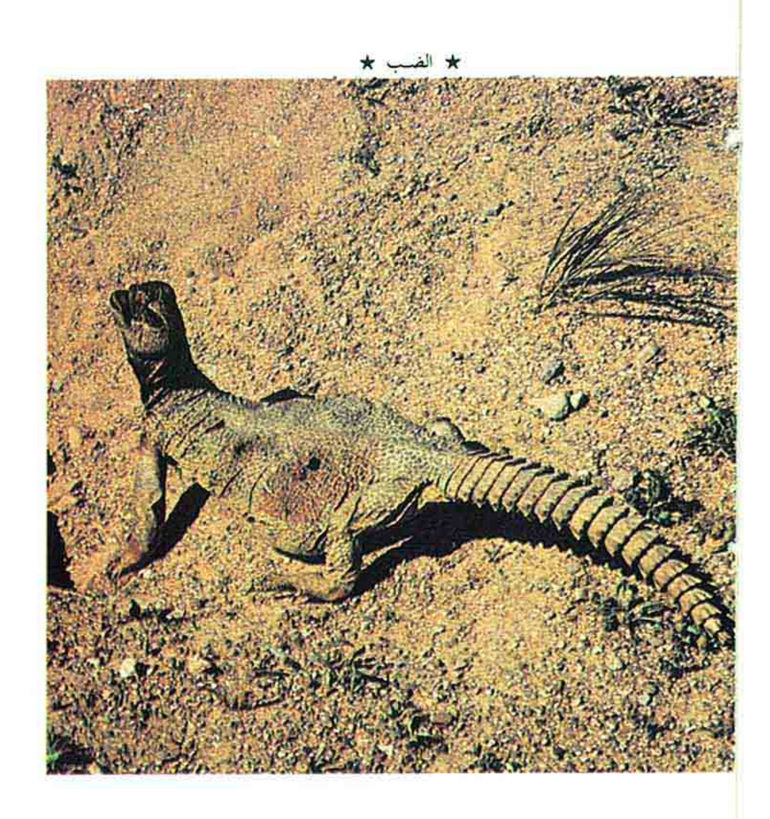
بادئ ذي بدء لن ينال منا الجهد قبل أن نرى حول الفرع اليابس فروعاً أخرى . . خضراء يانعة . . لا تعدم براعم الزهور البرية تتبصص من ثناياها . . كي تصافح ضوء الشمس . فإذا دنونا منه ، رأينا أعداداً كبيرة من الحشرات تحوم حوله ، ويتناثر طنينها وهي سعيدة لاهية بما يوفقها الله من رزق عليه . بعضها يدس جسده بين حبات الرمال باحثاً عن قطرة ماء ـ لن يعدم وجودها ـ وبعضها ـ **أسراب من النمل** ـ ينفذ من بين حبات الرمال ، صاعداً الفرع الأخضر حيث الزهرات البرية . وفي طريقه ذاك ، قد يصادف برقة فتجعلها عشيرة النمل وليمة شهية . ولأن النمل مجتمع اقتصادي ينتهج التخطيط ، فإنهم يحملون بقايا



★ عَضَل : من فصيلة الفأر ★



★ الجربوع ★

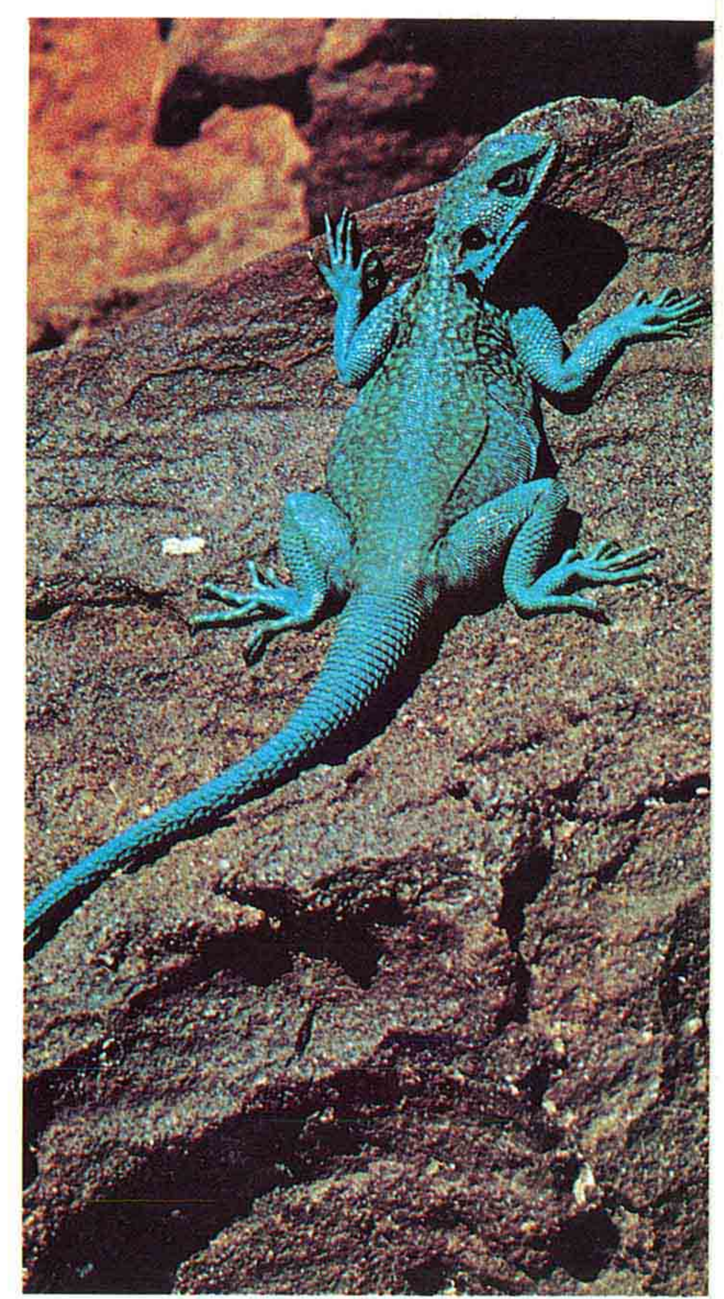


★ الضب ★

البرقة ، عائدين بها إلى مساكنهم ، متخذين منها زاداً محفوظاً لأيام قاسية يخشون لقاءها .

وما تكاد لحظات تنقضي حتى يمرق « **الدبور** » بطنينه المعروف ، طائراً حول الفرع ، ناشراً الذعر بين فلول النمل الذين سبقوه إلى « الوليمة » وبقاياها . . . فإن كانوا من صغار النمل أنزل بهم عقابه وفاز بالوليمة ، وإن كانوا كبار الحجم كفى نفسه مغبة الدخول في عراك معهم . ثم إنه قد يترك المكان كله ، وبقلبه غصة من ألم إذ يرى أن رفيقاً له . . . دبور آخر ، قد فاز ببرقة أخرى حين كان هو مشغولا بمراقبة فلول النمل . وقد يحوم حول المكان ، وكأنه سادي النزعة ، يعذب نفسه بما يسعد به رفيقه إذ يحمل برقته إلى مكانه المختار ليتغذى عليها . ومما يزيد نزعته تعذيباً له أنه يعلم أن رفيقه لن يسمح له بمشاركته وليمته عن طيب خاطر . وهنا يعود الدبور المسكين إلى فلول النمل ، محاولا سحب بقايا برقتهم منهم والفرار بها . وتدور بينه وبين النمل معركة يتخذها الإنسان رياضة ويسميها « رياضة شد الحبل » ، وبالطبع يفوز بها الطرف الأكثر عدداً ، وتصميماً وإرادة . . وهو النمل ، فيطير الدبور خائباً محسوراً .

هنا ـ وبنفس الطريقة التي تكاد أن تنطبق على دخول الممثلين



★ ضب أزرق ★

بالترتيب إلى خشبة المسرح ـ تنفلت من الرمال «**سحلية**» كانت قد دست جسدها في الرمال عند اقترابنا من المكان ، فتقف لحظات ترقب صراع النمل والدبور على اليرقة . فإذا ما انتهى تحس وكأن دروها قد حان أداؤه ، فتهز ذيلها ببطء إلى الأمام وإلى الخلف ، ثم تتطلع ذات اليمين وذات الشمال ، وفجأة تثب إلى الفرع وتقتلع منه ثمرة أو حبة ، ثم تقفز عائدة إلى الأرض وهي نشوى . . . بين فكيها الثمرة ، وفي حوزتها طعامها . وتمر لحظة فإذا فكيها مطبقان أحدهما على الآخر ، ولكن بعد أن ضاعت الثمرة .

نعم ! . . انقض طائر فاختطف الثمرة من بين فكيها وأرسلها إلى جوفه ، بما لا نستطيع نحن حسابه بمقاييس السرعة . . . .

وعلى ارتفاع بسيط من ذلك نرى «**اليعسوب**» بلونه الأزرق الجميل ، وطيرانه المتأني الرشيق ، يحوم حول ساحة المشهد ، ثم يقترب منا وكأنه يتفرس وجوهنا ويتساءل عن أرقام حوافظ النفوس التي نحملها ، ثم يودعنا إلى حال سبيله .

وإذا أدرنا ظهورنا لهذا الفرع ، وسرنا خطوات إلى صخرة ، أو حصاة كبيرة ، فنظرنا تحتها بحذر ، لرأينا **قنفذاً** يستظل بها واقياً نفسه من لفحة الشمس .

إذن ، فالصحراء ليست كلها خواء ، كما أنها ليست مواتاً مطلقاً . . فالقضية ، إذن ، ليست هي عدم وجود الشيء ، بقدر ما هي بذل الجهد في البحث عن هذا الشيء ، بدرجة من الدقة ، ومستوى من الرغبة في الرؤية والمشاهدة .

وهذا الخطأ في التقدير ، عند المتعصبين لآراء الكتب ـ راجع إلى أنهم يربطون بين الخضرة وكافة مظاهر الحياة .

وقد يكون هذا صحيحاً إلى حد ما . لأنه حيث يوجد الشجر ، تكون الفروع التي يضع الطائر بيضه في زواياها ، وتكون الفرصة مهيأة لليرقة كي تتحول إلى فراشة زاهية الألوان . وحيث تكون الحقول ، تصبح التربة رخوة ، ومن ثم يستطيع الأرنب مثلاً أن يشق له تحت الأرض سرداباً يقيم منه عشاً للزوجية . ومن ثم تتيح الخضرة عموماً فرصة لاكتمال دورة الحياة على وجه الأرض .

نعم . . إنسان يأكل الحيوان والطير والنبات ، وحيوان يلتهم الطير والنبات ، وطائر يتغذى على الحشرات ، وحشرات تتطفل على أوراق النبات . . .

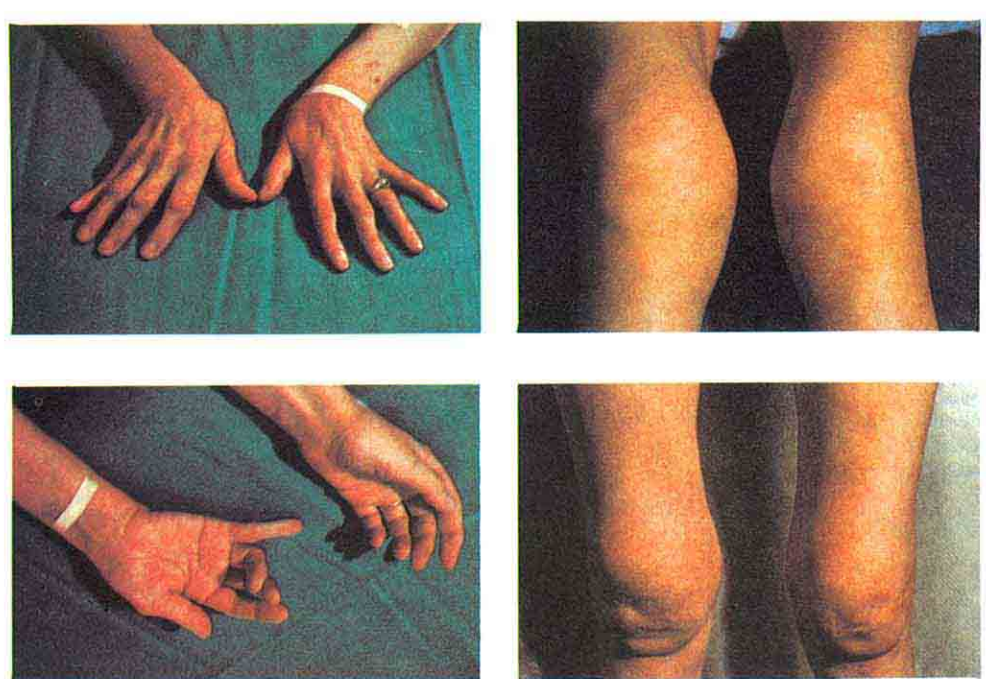
فلو أن أحدنا قال ـ وهو مقطب الجبين ـ إن الصورة التي تعرضها تفترض وجود الماء كأساس للحياة ، فإن بدوياً شيخاً ، صهرته حنكة المدى الفسيح ونقاء الرمال يقول :

« لا عليك يا ولدي . . إن الفرع الذابل والحشرة والطائر اللذين رأيتهما حول الفرع الواهن هناك . . إنما هم خير دليل على وجود الماء . قد تبعد المسافة أو تقصر ، ولكنه موجود على أية حال . لا بأس ، فلعلك لا تأخذك الدهش إذا عرفت أن الماء الذي ترتوي منه هذه الكائنات قد يبعد مسافة أربعين كيلومتراً عن موقعها الذي رأيتها عنده » .

وإذا مررت بواد جاف ويابس ، فبأي شيء تفسر رؤيتك **لأشجار الأكاسيا** الناضرة وهي تفترش جانبيه ؟

وإذا لذت بظلال إحدى الأشجار ، وأمعنت النظر تحت قدميك ، فإن ترى أعداداً كبيرة من **الخنافس** الزاهية الألوان ، تروح وتجيء ، مسرعة نشطة ، حتى لا تكاد ـ من فرط سرعتها ـ أن تستطيع حصر عددها ، أو اصطياد واحدة منها ، أو حتى تعقب إحداها في حركتها لعدة دقائق .

تلك صورة واقعية معاشة ، أبعد ما تكون عن الخيال . . نرى فيها عدة آلاف من الطير والحيوان والهوام في لحظات وقفناها في موقع محدد من صحارى البلاد .



★ حالة روماتويد مفصلي في مراحله الأولى .. لاحظ التغيرات الحادثة في مفاصل الأصابع واليدين ومفاصل الركبتين ★

الروماتويد المفصلي .. ما هو؟!

بقلم: د. سامي عزيز

في سنة ١٨٥٨م، أطلق السير «ألفريد جارود» المصطلح العلمي «الروماتويد المفصلي» لأول مرة على مجموعة من الأعراض المرضية تتميز باختلافها البيِّن عن الحمى الروماتزمية. وحقيقة الأمر أن ما وصفه السير «ألفريد» وأطلق عليه الروماتويد المفصلي، لا يختلف كثيراً عن التعريف الحالي المعروف لنا.. فمرض الروماتويد المفصلي يصيب، فضلاً عن المفاصل، بعض أجهزة الجسم الأخرى.. فقد يؤثر على العين والرئة والقلب والأعصاب الطرفية والأوعية الدموية والجلد ويسبب الأنيميا.. وهو غير معروف السبب إلى الآن.







★ حالة متأخرة لمرض الروماتويد المفصلي.. لاحظ التشوهات التي انتهى بها المرض ★

نسبة حدوث المرض

آخر النتائج تشير إلى أن المرض يصيب من ١ إلى ٣٪ من سكان العالم. وتكثر الإصابة في الإناث عن الذكور بنسبة ٣ : ١، كما تزيد الإصابة بالمرض ما بين ٣٠ و ٤٠ سنة، لكن يمكن أن يحدث المرض في أي سن. فالمرض قد

يصيب الأطفال دون سن الخامسة والمسنين فوق سن الستين . وقد يظهر المرض في أكثر من فرد لأسرة واحدة . وقد وجد حديثاً أن أكثر من ٦٠٪ مرضى الروماتويد المفصلي تحتوي أمصالهم على الجسم الغريب HLA DW4 .



باثولوجيا المرض

أهم ما يميز المرض الالتهاب للغشاء السينوفي المبطن للمفاصل مع حدوث ارتشاح التهابي وتسرب جلدي (خلايا ليمفاوية وخلايا الدم البيضاء المتعددة النوايا) . . ولا يحدث التآكل والضمور في المفاصل نتيجة أول إصابة ، ولكن نتيجة لتكرار الإصابة ينتج ضمور في العضلات المحيطة بالمفاصل مع تآكل للجزء الغضروفي ، ثم يعقب ذلك تليف وتضخم بالمفاصل وتقلصها في وضع شبه منقبض ، وتتبع ذلك التشوهات المميزة للمرض .

أما بالنسبة للإصابات خارج المفاصل فتشمل :

١ ــ في ٢٠ ــ ٣٠٪ من مرضى الروماتويد المفصلي تظهر بعض العقد الروماتزمية في الجلد (وهي عقد جلدية أو ارتفاعات جلدية في الأماكن المعرضة للضغط) مثل ظهر اليد والكوعين والركبتين والظهر .

٢ ــ يحدث التهاب تآكلي في معظم الأوعية الدموية ، ويتبع ذلك بالتالي اضطراب في الأجهزة التي تغذيها هذه الأوعية الملتهبة . . فمثلاً يظهر التهاب أعصاب الأطراف ، كما وقد تظهر بعض القروح المزمنة بالجلد ، خاصة قرب نهاية الساقين .

٣ ــ يصاحب ذلك التهاب العين وضعف في قوة الإبصار . . وقد تستمر الإصابة في العين لعدة سنين مع إصابة القرنية .

٤ ــ يحدث التهاب في غشاء التامور (الطبقة الخارجية المحيطة بالقلب) ، وربما يظهر الفحص الباثولوجي للمريض بعد الوفاة عدد من العقد الروماتزمية في غشاء التامور ، وفي عضلة القلب ، أو حتى على الصمامات ومع بداية الشريان الأورطي .

٥ ــ الفحص الباثولوجي للرئة يتميّز بالآتي :

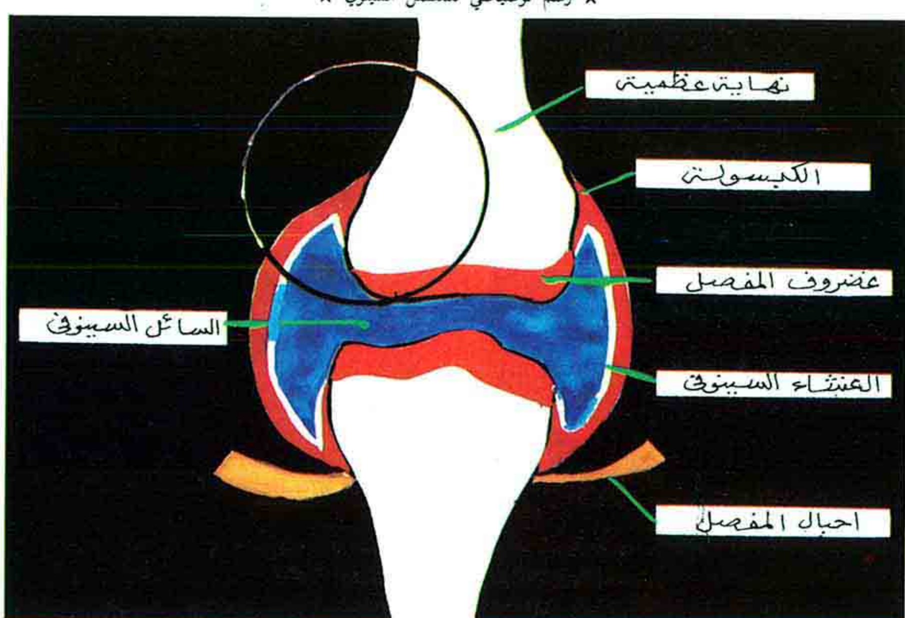
أ ــ ارتشاح بلّوري مزمن (انسكاب بلّوري) .

ب ــ ظهور عدد من العقد في نسيج الرئة .

جـ ــ مرض كابلان .

د ــ تليف أنسجة الرئة .


★ رسم توضيحي للمفصل السينوفي ★



أسباب المرض

السبب الحقيقي لهذا المرض غير معروف .. وكل ما كتب في هذا الموضوع هو في حيّز النظريات والملاحظات ، لذلك فالأسباب التي يمكن أن تساعد على ظهور المرض هي :

١ ــ **العدوى :** قد يكون السبب الإصابة ببعض الميكروبات الدقيقة غير معروفة النوع ، إلا أن بعض هذه الميكروبات قد تم بالفعل عزلها من الغشاء المخاطي لبعض المفاصل المصابة بالروماتويد . . مثل ميكروب (**الميكوبلازما**) ، إلا أن الأجسام المضادة لهذا الميكروب لم يتم بعد فصلها والتعرف عليها من مصل هؤلاء المرضى . وفي السنوات الأخيرة تم فصل بعض الفيروسات من خلايا الغشاء السينوفي لبعض المفاصل المصابة بالروماتويد .

٢ ــ **اضطراب الجهاز المناعي :** هنا يحدث خطأ ما في الجهاز المناعي للجسم ، إذ تحدث تفاعلات زائدة في الحساسية ينتج عنها أن تتعامل الأجهزة المناعية مع بعض المركبات الطبيعية للمفصل على أنها مركبات غريبة ودخيلة على الجسم . . وتكوّن ضدها أجساماً مضادة تعمل على التخلص منها أو طردها ، ويكون نتيجة هذا التفاعل تكسر والتهاب المفصل المزمن ، ونتيجة لهذا التفاعل تظهر في الجسم أجسام مضادة تسمى (عوامل الروماتويد) التي تهاجم بعض البروتينات المناعية فينتج التهاب في **الغشاء السينوفي** للمفصل وكذلك أوعيته الدموية .

٣ ــ **الوراثة :** تزيد نسبة حدوث الروماتويد المفصلي في الإناث عن الذكور . . كما تزيد نسبته في التوائم الناتجين من انقسام زيجوت واحد أكثر من التوائم الناتجين من زيجوتين مختلفين ، **والحقيقة أن العامل**

الوراثي لا يمثل أهمية كبيرة في هذا المرض . ويجب هنا أن نشير إلى أن هناك ارتباطاً واضحاً بين الإصابة بمرض الروماتويد المفصلي ووجود الجسم الغريب HLA DW4 .

٤ ـ **الأحوال الجوية :** يقل انتشار المرض في المناطق الاستوائية الشديدة الحرارة ، وأيضاً في منطقة **الأسكيمو** الشديدة البرودة . . بينما ينتشر المرض في المناطق المعتدلة الحرارة .

٥ ـ **الإصابة :** غالباً ما يرتبط ظهور المرض مع الإصابة في هذه المفاصل . . كما أن المفاصل المصابة غالباً ما ينتشر المرض فيها بصورة سيئة عن غيرها من المفاصل .

٦ ـ **الغدد الصماء :** رغم أنه لا يوجد ارتباط مؤكد بين اضطراب الغدد الصماء ومرض الروماتويد المفصلي ، إلا أن هناك بعض الحقائق الهامة منها :

أ ـ تكثر الإصابة بالروماتويد المفصلي في الإناث .

ب ـ تقل شدة المرض مع حدوث الحمل (هرمونات المشيمة تلطف من شدة المرض) .

جـ ـ تزيد شدة المرض أثناء الدورة الشهرية في الإناث .

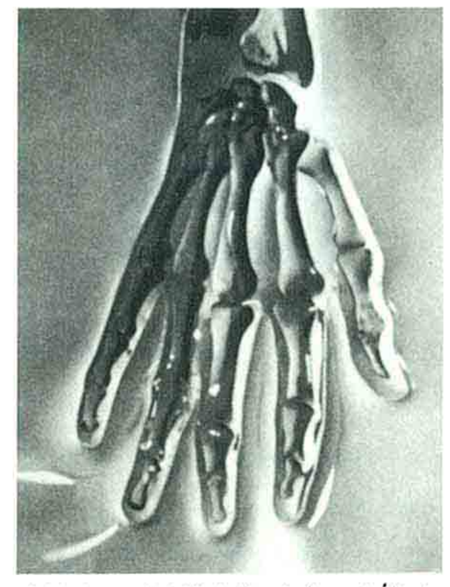
د ـ يظهر التهاب مفصلي مشابه لمرض الروماتويد المفصلي مع مرض تضخم الأطراف ACROMEGALY .

هـ ـ هرمونات الغدة فوق الكلوية وخاصة الكورتيزون تحد من شدة المرض .

و ـ حالات زيادة إفراز الغدة الدرقية نادراً ما يصاحبها مرض الروماتويد المفصلي .

٧ ـ **العامل النفسي :** غالباً ما يرتبط ظهور مرض الروماتويد المفصلي بحدوث صدمة نفسية أو أزمة عاطفية شديدة ، كما يكثر حدوث المرض في مرضى الاكتئاب النفسي والإناث ذات الحس المرهف .

٨ ـ **تأثير أمراض الكبد :** تقل شدة الروماتويد المفصلي عند الإصابة بالصفراء **(اليرقان)** الناتج عن التهاب الكبد أو انسداد القنوات المرارية خارج الكبد . . وربما يكون



★ غالباً ما يصيب الروماتويد المفصلي المفاصل الصغيرة مثل مفاصل الأصابع واليدين والقدمين . . ولكنه قد يصيب مفاصل أخرى ★

السبب في ذلك تأخر تكسير الهيدروكورتيزون في الكبد (نتيجة المرض) وبالتالي ارتفاع نسبة **الكورتيزون** في الدم الذي يصل إلى المفاصل المصابة وبالتالي تخف شدة المرض .

الصورة الإكلينيكية

●● أولا : أعراض المرض الناتجة عن إصابة المفاصل :

(١) **تحدث الإصابة بالمرض تدريجياً** . . وفي أية سن في الأطفال ابتداء من عدة شهور بعد الولادة . . ويصيب البنات بنسبة أكبر منها في الأولاد بصفة عامة . . ويكثر في الإناث ذات الحس المرهف . وقد تحدث الإصابة بعد صدمة عاطفية أو أزمة نفسية شديدة .

(٢) **يصيب المرض أساساً المفاصل** وخصوصاً المفاصل الصغيرة في اليد والأصابع أو القدمين ، كذلك المفاصل الكبيرة مثل : مفصل الفخذ ، ومفصل الركبة ، ومفصل الكوع أو الكاحل ، أو مفصل اليد . . وربما تصاب أيضاً مفاصل الفقرات العنقية في الرقبة ، أو مفصل الفك مما يحدث معه ألم شديد أثناء فتح الفك أو الأكل .

(٣) **تبدو المفاصل المصابة متضخمة** ومؤلمة عند الحركة ، ولون الجلد فوقها يشوبه اللون الأحمر وكأنها معبأة بسائل . . كما أن حركة المفاصل تكون محدودة نظراً لإصابة العضلات المحيطة بالمفصل .

(٤) **يظهر التقلص وعدم القدرة على تحريك المفاصل المصابة** ، أكثر ما يظهر في الصباح عند الاستيقاظ من النوم . . ويقل تدريجياً مع انتصاف النهار .

(٥) **في حوالي ٢٠ ـ ٣٠٪ من الحالات تظهر العقد الروماتزمية في الجلد** ، وخاصة في الأماكن المعرضة للضغط مثل ظهر اليد والكوعين والركبتين .

(٦) **تشوه المفاصل :** ويحدث في المراحل المتأخرة للمرض . . فتبدو الأصابع على هيئة رقبة بجعة . . وتقل قدرة اليد في القبض على الأشياء .

●● ثانياً : الأعراض الناتجة عن الإصابة خارج المفاصل :

(١) **بعض الأعراض العامة مثل :** القلق ، وفقد الشهية ، الأنيميا ، وارتفاع درجة الحرارة ، الشعور بالتعب . . وغالباً ما تظهر هذه الأعراض في المراحل المبكرة للمرض .

(٢) **الجلد والأوعية الدموية :** زيادة إفراز العرق ، وخاصة في اليدين والقدمين ، كما تبدو الأطراف باردة ، ويشعر المريض بألم شديد عند تعرضه للبرد .

(٣) **تضخم بعض الغدد الليمفاوية** (في ٣٠٪ من الحالات) ، وتضخم الطحال (١٠٪ من الحالات) ، وقد يحدث تضخم بسيط في الكبد في بعض الحالات .

(٤) **العين : قد يظهر ذلك في صورة :**

● الالتهاب الحاد أو المتكرر للصلبة .

● التهاب القرنية والجسم الهدبي والمشيمية . وهذه الالتهابات الأخيرة قد تؤدي إلى ضعف الإبصار إذا لم يتم تشخيصها وعلاجها في الوقت المناسب .

● الالتهاب المباشر لقزحية العين مما يؤدي إلى احمرار شديد في العين مع ترسيات بالقرنية والتصاقات بين القزحية والعدسة .

(٥) **القلب :** نادراً ما يتأثر القلب في حالات الروماتويد المفصلي ، لكن ربما يشكو المريض من ألم في الصدر نتيجة إصابة غشاء القلب الخارجي .

(٦) **الجهاز التنفسي :**

● التهاب الحنجرة وعدم القدرة على التحدث أو التحدث بصعوبة .

● قد يصاب الغشاء البلّوري بالتهاب أو التصاقات (انسكاب بلّوري) مما يؤدي إلى صعوبة التنفس أو النهجان .

● أحياناً تصاب الرئة ويؤدي ذلك إلى تليفات بها تصيب الجزء المختص بتبادل الغازات (الحويصلات الهوائية ، والأوعية الدموية الرئوية) .

(٧) **الجهاز العصبي :** مرض الروماتويد المفصلي ربما يؤثر على الجهاز العصبي كالآتي :

● التهاب الأعصاب الحسية بالأطراف .

● التهاب الأعصاب الحركية بالأطراف .

(٨) **الأنيميا (فقر الدم) .**

(٩) **تورم القدمين :** ربما يحدث في بعض الحالات .

(١٠) **الكليتان :** تزيد نسبة الزلال في بول مرضى الروماتويد المفصلي نتيجة التهاب الكليتين ، أو نتيجة التأثير الضار لمركبات الذهب والمسكنات المستخدمة في العلاج .

التشخيص

تشخيص المرض في المراحل الأولى منه قد يكون صعباً .. لكن وجود بعض الفحوص المعملية قد يساعد على التشخيص المبكر ، وبالتالي على العلاج السريع .

ويتميّز المرض معملياً بالآتي :

١ ــ ظهور الأنيميا مع ارتفاع بسيط في عدد كرات الدم البيضاء ، وارتفاع نسبة جلوبيولين الدم .

٢ ــ ارتفاع نسبة أو معدل ترسيب الدم .

٣ ــ ظهور أجسام مضادة لنواة الخلية بنسب مختلفة حسب حالة المريض .

٤ ــ وجود عامل الروماتويد (نوع من الجلوبيولين المناعي) .. ويوجد بنسبة ٨٠٪ في البالغين .. بينما لا يتعدى ١٠٪ في الأطفال . ويلاحظ أن عامل الروماتويد يظهر في العديد من الأمراض الأخرى ، لذلك لا يمكن الأخذ به بمفرده كدليل تشخيصي .

٥ ــ ارتفاع نسبة الزلال في البول .

٦ ــ عند سحب عيّنة من السائل السينوفي الموجود داخل المفاصل وتحليله يبدو أنه معكر .. وبه كمية كبيرة من الخلايا والبروتينات وإنزيم الليزوزوم ولاكتيك دهيدروجيناز .

٧ ــ الفحص بالأشعة لعظام المفاصل .. غالباً ما يكون عديم الجدوى في المراحل الأولى للمرض .

الروماتويد المفصلي وأمراض أخرى

يجب عند تشخيص مرض الروماتويد المفصلي تميزه من الأمراض الأخرى والالتهابات التي قد تتداخل أعراضها وتتشابه معه فتعطي صورة قريبة منه ، وأهم هذه الأمراض :

١ ــ **مرض القناع الأحمر :** SYSTEMIC LUPUS ERYTHEMATOSUS ، ويتميّز بآلام بالمفاصل مع طفح بشكل واضح في الجلد يظهر على الوجنتين والأنف على هيئة قناع أحمر . والمرض يصيب عادة الإناث أكثر من الذكور بنسبة ٩ : ١ .

٢ ــ **التيبس الجلــدي العضلي :** DERMATOMYOSITIS ، يتميّز هذا المرض بضعف شديد بالعضلات خاصة عضلات الأطراف والأرجل ، ويلي ذلك طفح جلدي مع آلام بالمفاصل وضعف عام .

٣ ــ **التيبس الجلــدي المفصلي :** SCLERODERMA ، هنا يبدو الجلد سميكاً ولامعاً ، خاصة في اليدين والأصابع والساعدين .. وقد يمتد للوجه والصدر .. ومع التيبس والتكلس تنبعج الأصابع وتصعب حركتها ويشعر المريض بتنميل في الأطراف .

٤ ــ **الحمى الروماتزمية :** في هذا المرض تصاب المفاصل بهذا الترتيب : الركبة ، رسغ القدم ، رسغ اليد ، الكوع ، الكتف .. والمفصل المصاب يتورم ويحمر لونه ، وقد يمتلئ بسائل .. وتنتقل الإصابة من مفصل إلى آخر بسرعة وخلال أيام قليلة .. وقد يصل الالتهاب إلى القلب ، وهنا يلتهب الغشاء التاموري المحيط بالقلب ، وقد تلتهب عضلة القلب وينتج عن ذلك زيادة في عدد ضربات القلب مع انخفاض قوتها بالإضافة إلى الالتهاب المزمن لصمامات القلب الذي يؤدي إلى تلف الصمامات ، خاصة الصمامين الميترالي والأورطي .

ويحدث أثناء الإصابة بالحمى الروماتزمية ارتفاع في درجة الحرارة ، وقد تظهر بعض العقد الروماتزمية ، خصوصاً حول مفصل الكوع .. وربما تحدث بعض حركات لا إرادية تصيب الوجه أو اليدين أو الساقين نتيجة إصابة أغشية المخ أو خلاياه ، وتسمى مثل هذه الحالات (الكوريا) .. **وأخيراً يجب أن نؤكد على أن التهابات المفاصل في الحمى الروماتزمية تستجيب بسرعة لعقار الأسبرين .**

٥ ــ **النقرس (داء الملوك) :** GOUT ، في الحالات الحادة يعاني المريض من آلام حادة مبرحة ، خاصة في مفصل الإصبع الأكبر للقدم .. والجلد حوله يصبح شديد الجفاف أحمر اللون لامعاً مع بروز أوردة صغيرة منتشرة .. وقد يصاحب ذلك قيء وارتفاع في درجة الحرارة .. والمرض يحدث على هيئة

نوبات ، ويستجيب المريض لعقار (الكولشيثين) ٥ ملليجرامات كل ساعتين .. حتى يختفي الألم .. كما يتميّز المرض في الحالات المزمنة بوجود تراسيب من أملاح يوريات الصوديوم تحت الجلد حول المفاصل المصابة وعلى أطراف الأذن والأنف مكونة تورمات جلدية جافة (توفاي) .. وقد تحدث هذه التراسيب في أنسجة الكليتين .. فتتكون الحصوات المتعددة بهما مع حدوث ارتفاع في ضغط الدم الكلوي ، وينتهي المرض بفشل كلوي مزمن .

٦ ــ **أشباه النقرس** (النقرس الكاذب) .

٧ ــ **مرض بهجت :** يتميّز المرض بقرح مؤلمة بالفم .. التهاب بقزحية العين .. مع قرح بالجهاز التناسلي وخاصة الخصيتين .. هذا بالإضافة إلى التهاب المفاصل .. وربما في بعض الأحيان تظهر بعض أعراض الشلل نتيجة تأثر الجهاز العصبي .

٨ ــ الصدفية المصحوبة بالتهاب المفاصل .

٩ ــ بعض أمراض الدم : مثل اللوكيميا أو سرطان الدم .

العلاج

يختلف العلاج بحسب شدة المرض .. فالحالات البسيطة التي يتم تشخيصها في المراحل الأولى للمرض تحتاج إلى :

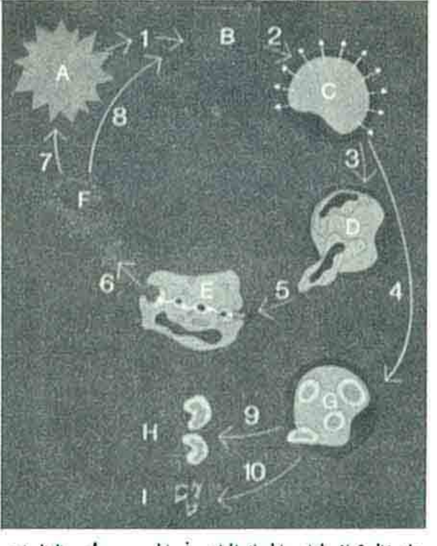
١ ــ راحة في الفراش .

٢ ــ عمل جبائر لبعض المفاصل (الركبة واليد) في فترة الليل حيث تقل الحركة ، حتى لا يحدث تشوه في هذه المفاصل .

٣ ــ وصف بعض العقاقير مثل الأسبرين أو أحد العقاقير الأخرى المضادة للروماتزم .

أما في الحالات الأخرى المتقدمة من المرض فيمكن بالإضافة إلى ما ذكرنا اتخاذ إجراءات أخرى منها :

١ ــ عقاقير الكورتيزون ومشتقاته .



★ نظرية اضطراب الجهاز المناعي في الجسم من أهم النظريات التي قد تفسر لنا السبب في حدوث مرض الروماتويد ★

٢ ــ أملاح الذهب .. الكلوروكين .. دي بنسيللامين .

٣ ــ بعض العقاقير المثبطة ، أو المنشطة ، للجهاز المناعي للجسم .

٤ ــ الحقن الموضعي للكورتيزون في المفاصل المصابة .

٥ ــ العلاج الطبيعي .. والعلاج التأهيلي .

٦ ــ علاج الأمراض التي قد تصاحب الإصابة المفصلية مثل : الأنيميا ، التهابات العين ، وتأثر الجهاز العصبي .

٧ ــ استخدام الإبر الصينية .

٨ ــ الاتجاه الجراحي .. والمفاصل الصناعية .

● **الراحة في الفراش :** في الحالات البسيطة التي يتم تشخيصها في المراحل الأولى للمرض ، يمكن إلحاق المريض بأحد المستشفيات لعدة أسابيع .. حيث إن الراحة في السرير من الوسائل الهامة في العلاج .

● **عمل الجبائر :** هذه الجبائر تصنع من مادة « البولي أيثيلين » وتستخدم عادة في الحالات الحادة حتى تقل شدة الألم .. ولتجنب حدوث أية تشوهات .. وحتى تكون العضلات المحيطة بالمفصل المصاب في حالة استرخاء .

● **الأسبرين :** يعطى الأسبرين في الحالات الأقل خطورة ، وفي المراحل الأولى للمرض .. ويعطى عادة من ١٢ ــ ١٤ قرصاً يومياً (القرص الواحد ٣٠٠ ملليجرام) .. ثم تقل الجرعة تدريجياً فيما بعد . وللأسبرين تأثير مسكن وخافض لدرجة الحرارة ومضاد للالتهاب . ولكن له أضرار جانبية منها : الشعور بالغثيان ، والقيء ، تقرحات المعدة ، نزيف المعدة ، طنين الأذن وغيرها .

● **العقاقير الأخرى المضادة للروماتزم :** مثل البيوتازون ــ الأندوميثاسين ــ النبروكسين ــ فينوبروفين ــ وغيرها .. ويجب هنا الاكتفاء بإعطاء أحد هذه المركبات ، إذ إن تناول أكثر من مركب سيؤدي إلى ظهور الأعراض الجانبية بطريقة مضاعفة . وأهم الأعراض الجانبية لها : قرحة المعدة .. زيادة الحموضة في العصارة المعدية .. التأثير الضار على وظائف الكبد والنخاع العظمي .

● **عقاقير الكورتيزون ومشتقاته :** تستخدم في الحالات المتقدمة من المرض وتحتاج إلى متابعة طبية دقيقة .. إذ إن للكورتيزون العديد من الأعراض الجانبية الخطيرة منها :

١ ــ ارتفاع ضغط الدم .

٢ ــ مرض كوشنج (تورم الوجه واحمراره وظهور بثور .. وامتلاء الجسم بالشعر في أماكن غير طبيعية مع ارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة السكر في الدم) .

٣ ــ قرحة المعدة .

٤ ــ تآكل العظام وسهولة كسرها .

٥ ــ تغيرات سيكولوجية والميل للاكتئاب .

● **أملاح الذهب :** تستخدم أملاح الذهب (ميوكريزن) في الحالات التي يستمر فيها الألم وزيادة نسبة ترسيب الدم بالرغم من اتباع طرق العلاج السابق ذكرها . وتعطى أملاح الذهب بالحقن (لا تزيد الجرعة الكلية عن جرام واحد) . ويبدأ عادة العلاج بإعطاء جرعة صغيرة (١٠ ملليجرامات) على سبيل الاختبار .. وإذا لم تظهر أية أعراض جانبية ،



النقص عجزه عن السيطرة عليها . فيتفاقم لديه الشعور بعجزه ، ويتساءل رغماً عنه ، لماذا هو دون غيره من الناس ولم يقترف ذنباً ، وينتهي تساؤله ومحاكمته بأنه مظلوم ومضطهد ، ويتأكد هذا الشعور لديه بالمواقف التي يقفها بعض الأفراد منه ، وذلك حين يعتدون على حقوقه ، وخصوصاً الأطفال الذين لا يدركون إدراكاً كاملاً عمق المأساة والحرمان اللذين يمزقان الكفيف . ولعل أقسى المواقف وأشدها إذلالا لشخصية الكفيف هي مواقف السخرية ، والإبعاد التي يقفها الأطفال المبصرون منه ، وتتجلى بمنعه من مشاركتهم في العابهم ، وضحكهم عليه وهزئهم منه . وهو يفسر هذه المواقف بأنها اضطهاد له وإساءة إليه ، أما السبب ـ فهو برأيه ـ لأنه كفيف .

وقد يجد الكفيف نفسه أمام مواقف أخرى تغلب عليها سمات الشفقة والرأفة وتوفير الحاجات له ، يجد هذه المواقف في البيت ، حيث توفر له أمه كل وسائل راحته وتلبي كل حاجاته ، لأنه برأيها (مسكين عاجز) وقد تجهر الأم برأيها على مسمع منه ، فيزداد اقتناعاً بعجزه واقتناعه بالظلم الذي يحيق به . فلا أقل من أن يعرض هذا الظلم بتمثل **الشخصية الاتكالية** ، فيطالب ما حوله بتلبية كل حاجاته ، ويبرر مطالبه الكثيرة وقعوده عن بذل أي جهد ، بأنه عاجز .

الميل إلى العزلة

ولأنه يجد تناقضاً كبيراً بين المعاملة التي يلقاها من الأطفال ، وهي معاملة تتسم بالقسوة ، وبين المعاملة التي يلقاها في البيت ، وتتسم غالباً بالاستجابة لكل مطالبه ، وبالعفو عنه إذا أخطأ (لأنه كفيف) فإنه يفضل الانزواء في البيت ، ولعله يختار غرفة ، يعتزل فيها ويمارس بعض ألوان النشاط الفردي ، كالاستماع للموسيقى مثلاً ، أو يترك لخياله أن يحلق في أحلام اليقظة كوسيلة تعويضية لشعوره بعجزه . وقد يغلق الكفيف على نفسه باب حجرته ، ويظل ساعات طويلة يرفض التحدث إلى إنسان ، وذلك إذا لحقت به إهانة بسبب عجزه .

هذه المواقف المتناقضة المتراخية في البيت من جهة ، والقاسية في الخارج من جهة أخرى ، تجعل الكفيف أميل إلى العزلة ، ليتفادى ما يمكن أن يوجه إليه من إهانات تمس شخصيته ، وتؤدي به العزلة إلى المزيد من المطالب ، يطلبها من أفراد أسرته ، ويصبح شيئاً فشيئاً ـ بحكم العادة ـ أكثر ميلاً إلى الاعتماد عليهم في قضاء شؤونه ، ويوافقهم على أنه عاجز ، إلا أن هذه المواقف نفسها قد تجعله يتجه اتجاهاً مخالفاً للموقف الانسحابي الاتكالي ، وذلك حينما يحاول الاستقلال عن الجماعة ورفض عونها ، لكنه ينهار أمام المصاعب الكثيرة التي تعترضه ، فيمتلئ بالحقد ، وتنمو لديه الاتجاهات العدوانية[٢] .

الصراع النفسي

وتتنازعه نتيجة ذلك أنواع من **الصراع** . فهو في صراع بين الدافع إلى تحصيل اللذة ، والتمتع بمباهج الحياة ، كما يفعل المبصرون ، لكنه يعرف في نفس الوقت أنه دون ذلك صعوبات ومشقات قد تعرضه للإيذاء ، فإما أن يؤثر السلامة وينزوي دون أن يتمادى في مطالبه ، أو أن يجازف بسلامته وأمنه ليفوز بما يفوز به المبصرون .

ثم إنه في صراع بين الدافع إلى الاستقلال ، والدافع إلى الرعاية ، فهو يرغب من جهة أن تكون له شخصية مستقلة دون تدخل أحد ممن حوله ، لكنه يدرك أنه مهما نال من استقلال ، فإنه يظل إلى درجة محدودة ، لا يستطيع أن يتعداها ، مرتبطاً بمن حوله لخدمته ورعايته في بعض الأمور التي لا يستطيع لوحده إنجازها .

وأخيراً هو في صراع بين الدافع إلى الاستقلال ، والدافع إلى الأمن . إذ هو في محاولاته ليكون شخصية مستقلة يخشى في الوقت نفسه أن يتعرض أمنه للخطر ، وينتهي الصراع بين الدافعين إما إلى تغلب الدافع إلى الاستقلال فينمو باتجاه **الشخصية القسرية** التي تطغى عليها المواقف العدوانية ، أو أن يتغلب الدافع إلى الأمن فينمو باتجاه **الشخصية الإنسانية** .

وتنتاب الكفيف ، نتيجة هذه الصراعات ونتيجة المواقف التي يقررها ، أنواع من

القلق : فهو يخشى أن يرفض ممن حوله بسبب عجزه ، ويخشى أن يستهجن الناس سلوكه ، ويستنكرون أفعاله ، وهو في خشية دائمة من أن يفقد حب الأشخاص الذين يعتمد أمنه على وجودهم واستمرار حبهم له . ويخشى كذلك أن تقع له حوادث لا يمكنه أن يتفاداها لأنه كفيف ، وأكثر الحوادث التي يترتب عليها أن يفقد الأشخاص الذين يقومون على رعايته ، ويوفرون له الشعور بالأمن . ثم إنه يخشى الوحدة ، رغم أنها تشعره بنوع من الاستقلال ، إلا أنها تشعره من ناحية أخرى بفراغ قد تملؤه أوهام تخيفه وترعبه . ثم إنه أخيراً يخشى اعتداء الناس عليه . **ورغم أن بيئتنا تقف من الكفيف موقف الاشفاق والمساعدة ، فإن أوهامه تجعله يتخيل بأن ثمة احتمالا للاعتداء الخارجي قد يقع عليه ولا يستطيع رده لعجزه . وقد لا يكون الاعتداء عليه بالضرب بل قد يكون بالسخرية منه أو إهانته أو اغتصاب حقوقه[٣] .**

الحيل الدفاعية

ويلجأ الكفيف لأنواع من الحيل الدفاعية لمواجهة أنواع الصراع والمخاوف أهمها **التبرير** ، فهو إذ يخطئ ، ويبرر أخطاءه بأنه كفيف وعاجز . رغم أن عجزه قد لا يكون له دخل كبير فيما ارتكب من أخطاء .

وهنا يثور السؤال التالي : ما مسؤوليات الأسرة في تربية طفلها الكفيف لضمان حسن تكيفه مع من حوله وما حوله ؟ .

إن الطفل الكفيف يولد ومعه مقومات الإنسان الكامل ، فهو يحس ويتأثر بالحياة والناس والأشياء من حوله ، وينعكس أثر ذلك على حالته النفسية والصحية ، وعلى ذلك فإن من واجب الأسرة أن تضع في اعتبارها أسلوب معاملة وليدها منذ الصغر .

ويتميز سلوك الأسرة بصفة عامة والوالدين بصفة خاصة نحو الطفل الكفيف بالتغير ، وعدم الثبات ، وخاصة في السنوات الأولى من حياته ، ومهما كانت صفة وقوع هذا السلوك فله تأثيره الفعلي على حالة الكفيف النفسية والعقلية والثقافية .

وتوجد ثلاث أنماط رئيسية لسلوك الوالدين نحو الطفل الكفيف :

(١) تقبل ضعيف للطفل على أساس عدم إمكانية إدراك ذلك بصرياً .

(٢) الرفض بدلا من قبول الأمر الواقع .

(٣) بين هذين الاتجاهين يوجد نمط آخر من سلوك الوالدين غير المتعادل الذي يشير إلى وجود نوع من **الثنائية في المعاملة نحو الكفيف** ، ودوافع هذا السلوك يتذبذب بين طرفين ؛ الرفض القائم على عدم معرفة حقيقة العمى ، والحاجة إلى التأكيد غير المعروف بأن العمى سبب الشذوذ .

ويتطلب الأمر تقييم معاملة الأسرة الخاصة نحو طفلها الكفيف حتى يمكن الوقوف على الاتجاه التربوي الذي تتخذه الأسرة نحو طفلها ، وبعد هذا التقييم يمكن توجيه الأسرة إلى اتباع أفضل السبل والمواقف التربوية العلمية في معاملتها للكفيف ، ولأجل الوقوف على اتجاه سلوك الأسرة يمكن تطبيق الطرق التالية وكل منها لا تعتبر كاملة في حد ذاتها فلكل قيمتها وكل منها تكمل الأخرى .

(أ) الملاحظة المباشرة

لأجل الوصول إلى نتيجة لها قيمتها الإيجابية من استخدام هذه الطريقة يستلزم الأمر الإقامة بالقسم الداخلي بإحدى مدارس المكفوفين لفترة ما ، فإذا أراد المرء أن يتعمق في فهم سلوك الكفيف يجب عليه أن يعايشهم في مواقف اجتماعية مختلفة من حياتهم .

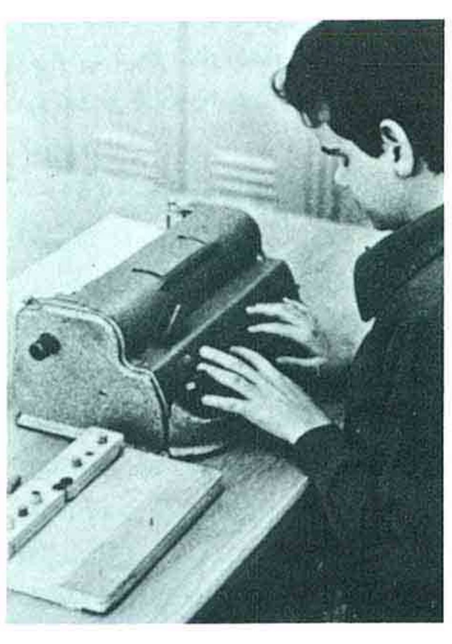
(ب) سؤال الشخص الكفيف

مثل سؤال الطفل أو الشاب الكفيف عن زمن ومكان تربيته الأولى ، وعن المشاكل التي صادفته ، وعن معاملة الآخرين له ، وانطباعاتها في نفسه . . . إلخ .

(ج) سؤال الوالدين

مثلاً أثناء الاجتماعات التي تتم بين المدرسين والوالدين في المدرسة أو عن طريق تقديم استمارة . . وهذه الطريقة تتطلب كثيراً من الجهد تبعاً لاختيار وقوع الأسئلة ، وكذا بالنسبة لمهارة صياغة الأسئلة وطريقة عرضها والإجابة عليها .

وقبل الحكم على مسؤولية الأسرة تجاه طفلها الكفيف يجب مراعاة الحقائق التالية :



تربية الكفيف



النقص عجزه عن السيطرة عليها . فيتفاقم لديه الشعور بعجزه ، ويتساءل رغماً عنه ، لماذا هو دون غيره من الناس ولم يقترف ذنباً ، وينتهي تساؤله ومحاكمته بأنه مظلوم ومضطهد ، ويتأكد هذا الشعور لديه بالمواقف التي يقفها بعض الأفراد منه ، وذلك حين يعتدون على حقوقه ، وخصوصاً الأطفال الذين لا يدركون إدراكاً كاملاً عمق المأساة والحرمان اللذين يمزقان الكفيف . ولعل أقسى المواقف وأشدها إذلالا لشخصية الكفيف هي مواقف السخرية ، والإبعاد التي يقفها الأطفال المبصرون منه ، وتتجلى بمنعه من مشاركتهم في العابهم ، وضحكهم عليه وهزئهم منه . وهو يفسر هذه المواقف بأنها اضطهاد له وإساءة إليه ، أما السبب ـ فهو برأيه ـ لأنه كفيف .

وقد يجد الكفيف نفسه أمام مواقف أخرى تغلب عليها سمات الشفقة والرأفة وتوفير الحاجات له ، يجد هذه المواقف في البيت ، حيث توفر له أمه كل وسائل راحته وتلبي كل حاجاته ، لأنه برأيها (مسكين عاجز) وقد تجهر الأم برأيها على مسمع منه ، فيزداد اقتناعاً بعجزه واقتناعه بالظلم الذي يحيق به . فلا أقل من أن يعرض هذا الظلم بتمثل **الشخصية الاتكالية** ، فيطالب ما حوله بتلبية كل حاجاته ، ويبرر مطالبه الكثيرة وقعوده عن بذل أي جهد ، بأنه عاجز .

الميل إلى العزلة

ولأنه يجد تناقضاً كبيراً بين المعاملة التي يلقاها من الأطفال ، وهي معاملة تتسم بالقسوة ، وبين المعاملة التي يلقاها في البيت ، وتتسم غالباً بالاستجابة لكل مطالبه ، وبالعفو عنه إذا أخطأ (لأنه كفيف) فإنه يفضل الانزواء في البيت ، ولعله يختار غرفة ، يعتزل فيها ويمارس بعض ألوان النشاط الفردي ، كالاستماع للموسيقى مثلاً ، أو يترك لخياله أن يحلق في أحلام اليقظة كوسيلة تعويضية لشعوره بعجزه . وقد يغلق الكفيف على نفسه باب حجرته ، ويظل ساعات طويلة يرفض التحدث إلى إنسان ، وذلك إذا لحقت به إهانة بسبب عجزه .

هذه المواقف المتناقضة المتراخية في البيت من جهة ، والقاسية في الخارج من جهة أخرى ، تجعل الكفيف أميل إلى العزلة ، ليتفادى ما يمكن أن يوجه إليه من إهانات تمس شخصيته ، وتؤدي به العزلة إلى المزيد من المطالب ، يطلبها من أفراد أسرته ، ويصبح شيئاً فشيئاً ـ بحكم العادة ـ أكثر ميلاً إلى الاعتماد عليهم في قضاء شؤونه ، ويوافقهم على أنه عاجز ، إلا أن هذه المواقف نفسها قد تجعله يتجه اتجاهاً مخالفاً للموقف الانسحابي الاتكالي ، وذلك حينما يحاول الاستقلال عن الجماعة ورفض عونها ، لكنه ينهار أمام المصاعب الكثيرة التي تعترضه ، فيمتلئ بالحقد ، وتنمو لديه الاتجاهات العدوانية[٢] .

الصراع النفسي

وتتنازعه نتيجة ذلك أنواع من **الصراع** . فهو في صراع بين الدافع إلى تحصيل اللذة ، والتمتع بمباهج الحياة ، كما يفعل المبصرون ، لكنه يعرف في نفس الوقت أنه دون ذلك صعوبات ومشقات قد تعرضه للإيذاء ، فإما أن يؤثر السلامة وينزوي دون أن يتمادى في مطالبه ، أو أن يجازف بسلامته وأمنه ليفوز بما يفوز به المبصرون .

ثم إنه في صراع بين الدافع إلى الاستقلال ، والدافع إلى الرعاية ، فهو يرغب من جهة أن تكون له شخصية مستقلة دون تدخل أحد ممن حوله ، لكنه يدرك أنه مهما نال من استقلال ، فإنه يظل إلى درجة محدودة ، لا يستطيع أن يتعداها ، مرتبطاً بمن حوله لخدمته ورعايته في بعض الأمور التي لا يستطيع لوحده إنجازها .

وأخيراً هو في صراع بين الدافع إلى الاستقلال ، والدافع إلى الأمن . إذ هو في محاولاته ليكون شخصية مستقلة يخشى في الوقت نفسه أن يتعرض أمنه للخطر ، وينتهي الصراع بين الدافعين إما إلى تغلب الدافع إلى الاستقلال فينمو باتجاه **الشخصية القسرية** التي تطغى عليها المواقف العدوانية ، أو أن يتغلب الدافع إلى الأمن فينمو باتجاه **الشخصية الإنسانية** .

وتنتاب الكفيف ، نتيجة هذه الصراعات ونتيجة المواقف التي يقررها ، أنواع من

القلق : فهو يخشى أن يرفض ممن حوله بسبب عجزه ، ويخشى أن يستهجن الناس سلوكه ، ويستنكرون أفعاله ، وهو في خشية دائمة من أن يفقد حب الأشخاص الذين يعتمد أمنه على وجودهم واستمرار حبهم له . ويخشى كذلك أن تقع له حوادث لا يمكنه أن يتفاداها لأنه كفيف ، وأكثر الحوادث التي يترتب عليها أن يفقد الأشخاص الذين يقومون على رعايته ، ويوفرون له الشعور بالأمن . ثم إنه يخشى الوحدة ، رغم أنها تشعره بنوع من الاستقلال ، إلا أنها تشعره من ناحية أخرى بفراغ قد تملؤه أوهام تخيفه وترعبه . ثم إنه أخيراً يخشى اعتداء الناس عليه . **ورغم أن بيئتنا تقف من الكفيف موقف الاشفاق والمساعدة ، فإن أوهامه تجعله يتخيل بأن ثمة احتمالا للاعتداء الخارجي قد يقع عليه ولا يستطيع رده لعجزه . وقد لا يكون الاعتداء عليه بالضرب بل قد يكون بالسخرية منه أو إهانته أو اغتصاب حقوقه**[٣] .



ويلجأ الكفيف لأنواع من الحيل الدفاعية لمواجهة أنواع الصراع والمخاوف **أهمها التبرير** ، فهو إذ يخطئ ، ويبرر أخطاءه بأنه كفيف وعاجز . رغم أن عجزه قد لا يكون له دخل كبير فيما ارتكب من أخطاء .

وهنا يثور السؤال التالي : ما مسؤوليات الأسرة في تربية طفلها الكفيف لضمان حسن تكيفه مع من حوله وما حوله ؟ .

إن الطفل الكفيف يولد ومعه مقومات الإنسان الكامل ، فهو يحس ويتأثر بالحياة والناس والأشياء من حوله ، وينعكس أثر ذلك على حالته النفسية والصحية ، وعلى ذلك فإن من واجب الأسرة أن تضع في اعتبارها أسلوب معاملة وليدها منذ الصغر .

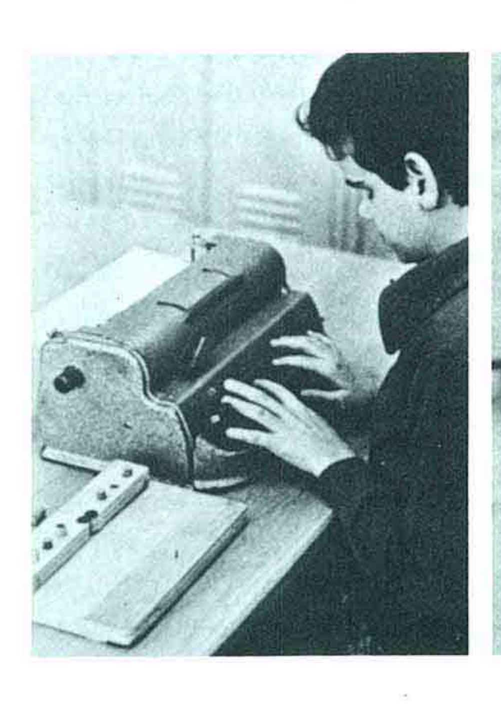
ويتميز سلوك الأسرة بصفة عامة والوالدين بصفة خاصة نحو الطفل الكفيف بالتغير ، وعدم الثبات ، وخاصة في السنوات الأولى من حياته ، ومهما كانت صفة وقوع هذا السلوك فله تأثيره الفعلي على حالة الكفيف النفسية والعقلية والثقافية .

وتوجد ثلاث أنماط رئيسية لسلوك الوالدين نحو الطفل الكفيف :

(١) تقبل ضعيف للطفل على أساس عدم إمكانية إدراك ذلك بصرياً .

(٢) الرفض بدلا من قبول الأمر الواقع .

(٣) بين هذين الاتجاهين يوجد نمط آخر من سلوك الوالدين غير المتعادل الذي يشير إلى وجود نوع من **الثنائية في المعاملة نحو الكفيف** ، ودوافع هذا السلوك يتذبذب بين طرفين ؛ الرفض القائم على عدم معرفة حقيقة العمى ، والحاجة إلى التأكيد غير المعروف بأن العمى سبب الشذوذ .



ويتطلب الأمر تقييم معاملة الأسرة الخاصة نحو طفلها الكفيف حتى يمكن الوقوف على الاتجاه التربوي الذي تتخذه الأسرة نحو طفلها ، وبعد هذا التقييم يمكن توجيه الأسرة إلى اتباع أفضل السبل والمواقف التربوية العلمية في معاملتها للكفيف ، ولأجل الوقوف على اتجاه سلوك الأسرة يمكن تطبيق الطرق التالية وكل منها لا تعتبر كاملة في حد ذاتها فلكل قيمتها وكل منها تكمل الأخرى .

(أ) الملاحظة المباشرة

لأجل الوصول إلى نتيجة لها قيمتها الإيجابية من استخدام هذه الطريقة يستلزم الأمر الإقامة بالقسم الداخلي بإحدى مدارس المكفوفين لفترة ما ، فإذا أراد المرء أن يتعمق في فهم سلوك الكفيف يجب عليه أن يعايشهم في مواقف اجتماعية مختلفة من حياتهم .

(ب) سؤال الشخص الكفيف

مثل سؤال الطفل أو الشاب الكفيف عن زمن ومكان تربيته الأولى ، وعن المشاكل التي صادفته ، وعن معاملة الآخرين له ، وانطباعاتها في نفسه . . . إلخ .

(جـ) سؤال الوالدين

مثلاً أثناء الاجتماعات التي تتم بين المدرسين والوالدين في المدرسة أو عن طريق تقديم استمارة . . وهذه الطريقة تتطلب كثيراً من الجهد تبعاً لاختيار وقوع الأسئلة ، وكذا بالنسبة لمهارة صياغة الأسئلة وطريقة عرضها والإجابة عليها .

وقبل الحكم على مسؤولية الأسرة تجاه طفلها الكفيف يجب مراعاة الحقائق التالية :

١ ــ عندما تعامل الأسرة الطفل الكفيف معاملة عادية كالطفل المبصر . في هذه الحالة لا يكون نظام التربية مسؤولا عن أخطاء النمو ، ومن ثم يمكن مقارنة نتائج التربية بين كل من المبصرين والمكفوفين حتى يمكن الوقوف على الفروق الفردية عند كل منهم .

٢ ــ عندما لا يكون النمو المنحرف في شخصية الكفيف نتيجة مباشرة لهذه الحالة فإنه يكون غير مرتبط بتأثير البيئة لصفات مثل التكبر ، وحب الذات . فهذه الصفات تحمل مضمون تأثير البيئة ، وتمثل التأثيرات الاجتماعية تبعاً للمواقف السلوكية للكفيف .

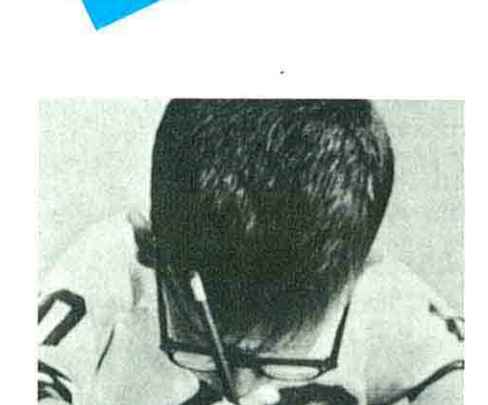
٣ ــ عندما يوجد في البيئة أفكار خاصة عن العمى فإن صفة هذه الأفكار ، ومدلولها ، يقع عليها اللوم في الانحراف الموجود في نمو الكفيف ويكون مرتبطاً ببيئته الاجتماعية ، وتأثيراتها ، هي التي تحدد ، أو تنظم الصفات المنسوبة إلى الكفيف ، وهذا ينطبق مثلاً على الشعور بالضعة الذي ينشأ أو يتولد نتيجة لكثير أو لقليل من الإدراك بالتناقض ، أو التباين بين إمكانات الكفيف ، وإمكانات المبصر ، ولا يمكن أن يحاسب الكفيف على الاختلاط والتعامل مع المبصرين ، فهم مثلاً يدركون ما يقاسي منه الكفيف ، وماذا ينتظره الكفيف منهم .

إن الموقف الخاطئ للأسرة يلعب دوراً كبيراً في عدم التكيف الاجتماعي للكفيف ، لأن ردود الأفعال مع هذا الموقف السلبي تسبب ميولا غير اجتماعية ، وتؤدي إلى نقص في تربية الأسرة للشخص الكفيف ، كما تعوق بصفة عامة النمو الطبيعي المتعدد الجوانب لشخصية الكفيفة[٤] .

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا الموقف ما يلي :

(١) فقدان الشعور بالأمن والطمأنينة :

يفقد الطفل الكفيف خلال الموقف السلبي لأسرته الشعور بالطمأنينة النفسية التي يتولد منها أمن وسلامة شخصيته ، ومن ثم يفقد



الطفل الخبرة الفطرية بالطمأنينة في السنوات الأولى من حياته ، بمرور الوقت يزداد فهم وإدراك لغة الطفل تعمقاً وإدراكاً لمظاهر عدم الطمأنينة ، والنقص في الشعور بالأمن يؤدي إلى ممارسة سلوك غير اجتماعي ، مما يؤدي إلى نمو يتميز بالصراع النفسي ، وهذه الحالة تقوّي ميل الكفيف إلى الانعزال ، وتساعده على العدوان ، ومعاداة المجتمع ، وفي ذلك يقول « **بييره هنري» أستاذ علم الاجتماع والنفس للمكفوفين :** « إن الهدوء عند الكفيف ليس هو السبب لزيادة القلق والشعور بالعزلة ، إنما مرد ذلك إلى البيئة الاجتماعية وأساليب التنشئة التربوية » .

(٢) الوضع غير العادي في الأسرة :

عادة لا يأخذ الطفل الكفيف في أسرته مكانه العادي مثل إخوته ، فهذا ما يدلل أو يرفض ، ونتائج ذلك تنحصر في خلق أنماط من السلوك تتميز بحب الذات ، وبالتطفل والعدوان . . بينما نتائج إهماله تنحصر في رغبة متزايدة لإظهار قدرته وميله إلى سوء الخلق والحقد والكراهية ، والشعور بالضعة ، والقلق ، **وهكذا فإن الرعاية الزائدة أو الإهمال للكفيف يؤدي إلى اضطرابات اجتماعية تتميز بها شخصيته وسلوكه .**

(٣) النقص في الخبرة :

يعطي الوالدان الكفيف اتجاهاً سلبياً عند التعامل ، وتحصيل الخبرة من الأشياء المحيطة به ، وخلال هذا لا يتعلم الواجبات التي يجب أن يعد لها ، والنتيجة تكون عدم الوصول إلى نوع من التدريب ، أو الاعتماد على النفس ، وعدم استقلال خبراته ، وتنمية قدراته التحصيلية ، فمثلاً : عدم تدريب اليد على طريق اللعب ، والقبض على الأشياء وفحصها ، عدم تقديم الأشياء له ، النقص في حرية الحركة في بيئته ــ إعاقة ــ استخدام حواسه الباقية .

والخلاصة فإن سلبية موقف الأسرة نحو الكفيف تؤدي إلى إعاقة نموه طبيعياً واجتماعياً ونفسياً ، وخلال هذا تنمو جذور سلوك الأمراض الاجتماعية ، وبذلك يدخل الكفيف في مجتمع غير طبيعي ، ومع ذلك يمكن للمرء أن يتجنب نتائج هذه التربية السلبية عندما تسير التربية الاجتماعية في مجراها الطبيعي .

مراجع الدراسة

(١) انظر مثلاً :

* Cutsforth, Phomas, D.; The Blind in School and Society; New York, American Foundation for the Blind, 1951, PP. 71 – 75.

* Rurlock Elizabeth, B.; Child Development. New York, Mc. -- Graw, Hill Book Company Inc. 1942 P. 410. Ibid. P. 408.

(٢) Sommers Vita, S.; The influence of Parental Attitudes and Social Environment of the personality Development of the Adolescent Blind, New York, American Foundation for the Blind, Inc. 1944. PP. 148 – 152.

(٣) Cruickahank, W.N. : Psychology of Exceptional Children and Youth, U.S.A., Prentice - Hall, Inc. 1955 PP. 261 – 262.

(٤) Zahl Paul, A.; Blindness; Modern Approaches to the Unseen Environment, Princeton, W.J.; Princeton University Press1950 PP. 302 – 309.

الامتحانات في التاريخ

بقلم: وحيد مصطفى هندي

الامتحانات في الصين

يذكر التاريخ أنه كان للصينيين نظام خاص بالامتحانات منذ سنة ٢٢٠٠ ق . م ، ومدتها عدة أسابيع يموت خلالها عدد من الطلبة متأثرين بشدتها وصعوبة الكتابة فيها وفرط التعب وإرهاق الجهاز العصبي[١] .

ويعتبر السيد **هارتغ الصيني** أول ممتحن ، كما يعتبر امتحان الخدمة الوطنية في الصين أول امتحان . واتصفت الامتحانات الصينية بالديمقراطية ، لأنها كانت مفتوحة للجميع تقريباً ، وكان شعارها (وظف القادر ، ورفع المستحق) . وقد اعتمد الصينيون في البدء الأسلوب المباشر في الامتحان والوقوف على مدى إتقان المرشح للعمل الذي سيمارسه .

وقد تطورت أساليب الامتحانات عندهم فيما بعد وأصبحت تعتمد الأسلوب غير المباشر الذي يتطلب من المرشح للامتحان الإلمام بمعلومات نظرية نافعة يمكن اختيارها على مقعد الامتحان واتباع أسلوب المناقشة الموضوعية فيها التي تتطلب توافر بعض الصفات كالذكاء ، وإتقان مهارات معينة والقدرة على نظم الشعر وإتقانه مواضيع إضافية لها علاقة بالعمل الذي سيوكل للمرشح ، كدراسة الأحوال العسكرية والمدنية والزراعية والجغرافية للإمبراطورية الصينية وغيرها من الأمور .

ويعتبر نظام الامتحانات الصينية الذي استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، من أصعب الامتحانات لما ينطوي عليه من سلسلة معقدة وشائكة من الدورات هي :

●● امتحانات الدرجة الأولى :

وتجري مرة كل ثلاثة أعوام ، وفيها يطلب إلى المفحوص أن ينشئ ثلاث رسائل في موضوعات مختارة من كتب كونفوشيوس ، إذ يعزل الطالب في حجرة خاصة لمدة أربع وعشرين ساعة يجهد الممتحن خلالها ذهنه في كتابة الموضوعات ونسبة النجاح في هذه الامتحانات لا تتجاوز ٤ ٪ من المتقدمين .

●● امتحانات الدرجة الثانية :

وتقام بعد مضي أربعة أشهر على امتحانات الدرجة الأولى وتجري مرة كل ثلاثة أعوام أيضاً وتستمر لمدة ثلاثة أيام ، وتشبه في أسلوبها ونهجها ، امتحانات الدورة الأولى إلا أنها أكثر صعوبة وأشد عمقاً ونسبة النجاح فيها لا تتجاوز ١ ٪ .

●● امتحانات الدرجة الثالثة :

وتقام في العاصمة ويشرف عليها ممتحنو المديرية وتدوم ثلاثة عشر يوماً ، ونسبة النجاح فيها أعلى منها في الامتحانات السابقة .

وقبل أن يمنح الناجح المؤهل العلمي ، عليه أن يجتاز امتحاناً آخر بغية التأكد من أنه قد احتفظ بمعلوماته التي درسها في السنوات الثلاث الأخيرة .

ومن الأمثلة على الموضوعات التي كانت تطرح للمعالجة ما يلي :[٢]

١ ـ أن يكون الإنسان مقتدراً ويطلب المعونة من العاجزين . أن يكون الإنسان عالماً ويطلب العلم من الجهال . أن يكون غنياً ويظهر بمظاهر الفقر .

٢ ـ أن يكون الرجل مخلصاً ذكياً ويجب أن يكون الرجل الذكي أميناً .

وأما من يرغب أن يصبح شاعراً أو مؤرخاً في المحكمة الصينية ، أو ممتحناً في إحدى قطاعات الإمبراطورية فعليه أن يجتاز بعد هذه السلسلة الشاقة من الامتحانات امتحاناً أخيراً يؤهله لهذه الأعمال[٣] .

عند الإغريق

في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كان النشء في **إسبرطة وأثينا** يؤدون امتحانات بدنية واختبارات عقلية في منتهى الشدة والقسوة وتطبق على الذكور والإناث على حد سواء . وقد عثر علماء الآثار في أثينا على قطعة فخارية حفر عليها أسماء قادة الجيش الإغريقي ، عرفوا منها أنها كانت من صنع أحد التلاميذ ليستعين بها على تذكر الأسماء في الفحص ، **وهذه القطعة هي أقدم وثيقة لغش الامتحانات في العالم حتى الآن .**

عند العرب

لم تكن الامتحانات عند العرب في **العصر الجاهلي** معروفة بشكلها الحالي ، لأن التعليم كان عن طريق الممارسة والمحاكاة وما يأخذه الطفل من أسرته وعشيرته أو ما يتعلمه من معلمه بشكل إفرادي[٤] .

أما **بعد الإسلام** فقد أكد العرب على ضرورة تعليم الأطفال القراءة والكتابة وخاصة قراءة القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي في الكتاتيب والمساجد وغيرها . وكانت المدارس



الامتحانات في التاريخ

وقفاً على طبقة الأمراء في البدء وأصبحت متوافرة لعامة الشعب ، ولم تعتمد هذه الفترة على أي نظام للامتحانات . ويعتبر أول نظام صريح للامتحانات هو ما فرضه الخليفة **المقتدر بالله العباسي** على من يريد اتخاذ الطب مهنة له ، من امتحان ينال على إثره إجازة التطبيب . وعين الممتحن (**سنان بن ثابت بن قرة**) لذلك . ومنذ ذلك الحين فرض على من أتم دراسة الطب أن يتقدم إلى رئيس الأطباء لامتحانه وأخذ الإجازة ، في العراق ، أو في الشام ، أو سائر الأقطار العربية .

إلا أن الإجازات العلمية كانت تعطى للمحدثين منذ عهد مبكر في الإسلام ، فكان الأئمة يعطون طلابهم الذين يأخذون عنهم شهادة بما رووا لهم من أحاديث ويجيزون لهم روايتها عنهم ، ثم أصبحت الإجازات تعطى للطالب المثابر على الاستماع لأمالي الشيخ في الأدب أو التاريخ أو غيرها ، أو لدى استفادة الطالب من شرح المدرس لكتاب ما .

وأقدم إجازة معروفة هي التي أعطاها محمد بن محمد بن الأشعث[*] **إلى هارون بن موسى العكبري** عام ٣١٣ هـ .

وقد ورد في كتاب **المعيد في أدب المفيد للعلموي** أنه : (كان يطرح على التلاميذ أسئلة كثيرة يفهم منها مقدار ما استوعبوه من دروسه وما فهموه من مقدراته ، فإن لم يجدهم قد استفادوا أعاد عليهم الكرة وإن وجدهم قد فهموا منه أثنى على البارع منهم وشجع المتوسط .

كما اعتمد العرب على رأي المعلم في توجيه الطالب فقد نصح **الزرنوجي في كتابه (تعليم المتعلم)** أن يفوض المعلم في توجيه الطالب فإنه قد حصل له من التجارب ما جعله أعرف بما ينبغي لكل واحد أن يعمل وما يليق بطبيعته . واعتمد العرب طريق التشجيع والمكافآت وتكريم المتفوقين من الطلاب . فكان يحمل المتفوق على حصان أو بعير ، وقد ارتدى أزهى ملابسه وأحاط به إخوانه وأقرانه ، ويسير ذلك الموكب في طرقات المدينة المعروفة ، ويطل الناس من النوافذ والشرفات لتحية الموكب .

وقد جاء بتوصية من الملك المعظم : (من حفظ « الفصل » للزمخشري فله مائة دينار ، ومن حفظ « الجامع » الكبير فله مائتا دينار ، ومن حفظ « الإيضاح » فله ثلاثون ديناراً سوى الخُلَع) .

ولجأ العرب إلى إجراء امتحانات للقبول في **الدراسات العليا** فيما بعد ، فكان على الطالب الذي يحصل على إجازة من الفقيه الذي أشرف على تدريسه وامتحانه في حفظ القرآن الكريم بشكل فردي ، إذا رغب في الالتحاق بالجامع الأزهر أن يؤدي امتحان قبول لمتابعة الدراسة . وكذلك فلا بد من إجراء امتحان لمن يرغب متابعة التحصيل والإعفاء من الخدمة الوطنية إذا كان من حَفَظَة القرآن الكريم ، أمام لجنة لتقويمه وبيان رأيها في صلاحيته[٥] .

وقد اتبع **محمد علي الكبير** نظاماً خاصاً لامتحان طلبة الدراسات العليا الموفدين للبلاد العربية ، فكان يحجزهم بعد عودتهم وانتهاء دراستهم في قلعة خاصة ويكلفهم بترجمة كتاب من اللغة الأجنبية إلى اللغة التركية في المادة التي تخصصوا فيها ولم يكن يسمح لهم بالخروج من القلعة إلا بعد انتهائهم من الترجمة[٦] .

في العصور الوسطى

يطالعنا التاريخ بأن المبشرين هم أول من أتوا بنظام الامتحانات من الصين إلى أوروبا . وقد استخدمت المدارس البروتستانتية واليسوعية عام ١٥٣٠ م ، الامتحانات الدورية لطلاب المرحلة الابتدائية بغية إعطاء منح دراسية للمتفوقين .

وفي عام ١٥٦٨ م ، صدر الأمر الكنسي الذي حدد مواد الامتحان والشروط الواجب اتباعها لقبول معلمي المدارس الابتدائية ، وهي :

١ ـ حسن سير المرشح وسلوكه الديني ،

٢ ـ إلمامه بمواد الإيمان المسيحي ، ٣ ـ عدم تأثره بمذاهب وأباطيل ضارة ، ٤ ـ إلمامه بطريقة تعليم الأطفال للحروف والمقاطع قراءة وكتابة وإتقانه تعليم الحساب . أما طلبة الدراسات العليا فكان عليهم أن يجتازوا اختبار مناقشة يجريه أساتذة الكليات بحضور رؤساء الكاتدرائيات ، وكان هذا الاختبار يتم في الصباح إذ يجلس المفحوصون على القش الرطب في مدارس شارع (**آل فوار**) ، أما كافة طلبة المدارس المتفرقة فكانت تجري امتحاناتهم على جبل **القديسة جنفياف** .

ولقد كانت هذه الامتحانات تتميز بفوضى الطلاب الذين كانوا يملون الانتظار مما يجعلهم يتشاجرون فيما بينهم مما يضطر الأساتذة إلى تعديل الامتحان أو إلغائه[٧] .

وقد نظمت **الجمهورية الفرنسية** امتحاناتها بصورة رسمية تمنح بموجبها الشهادات للناجحين حسب تسلسل مراحل التعليم واتبعت في تلك الامتحانات **الأسلوب الشفوي**، واستمرت فرنسا في اتباع هذا الأسلوب حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إذ تركته عدا بعض المدارس والجامعات حيث لا تزال تعتمده كطريقة أساسية في التقويم.

وفي أميركا استخدم الامتحان الشفوي، فقد عينت **جامعة بوسطن** عام ١٧٠٩م، لجنة ممثلة للمجتمع تضم عدداً من الرجال الأكفاء وبعض الوزراء ومهمتها زيارة المدارس والوقوف على طرق الامتحان المتبعة وقسمت تلك اللجنة فيما بعد إلى لجان فرعية للإشراف على كل مدرسة وإجراء الامتحانات الشفهية بحضور عدد غفير من الجماهير.

واتبع نفس الأسلوب في إنجلترا. فهذا (**جون سكوت**) أحد خريجي جامعة أكسفورد يحدثنا عن طريقة الامتحانات في أيامه عام ١٧٦٦م، قائلاً: «لقد كان الامتحان لأي درجة علمية أمراً مضحكاً. فعندما امتحنت في العبرية والتاريخ سألني الفاحص ما مكان العبرية في الرأس؟ فأجبته: مكان صلب السيد المسيح. وطرح علي سؤالا آخر: من أسس الجامعة؟ فأجبته بطريقة المتردد: أوجدها الملك ألفريد، قال الفاحص: حسن جداً. أنت كفء لدرجتك».

وفي عام ١٨٢٧م، أوجد (**بنتام**) طريقة موضوعية لامتحان مرشحي الخدمة المدنية، وتقوم هذه الطريقة على وضع أسئلة ذات جواب صحيح واحد. وقد نشر بنتام الأسئلة مع أجوبتها في كتب خاصة على المرشح شراؤها وحفظ محتوياتها.

ومن الطريف في الأمر أن نجاح المرشح في هذا الامتحان الشفوي لم يكن يؤهله لممارسة العمل، بل كان عليه أن يكتب للدائرة المركزية مقدار الراتب الذي يرغب فيه في حال تعيينه ويرسله في ظرف مختوم وغني عن القول أن التعيينات ستنصب على أقل العروض.

أما تاريخ بدء استعمال الأسلوب الكتابي في الامتحان فإن (**روزبول**) لم يجد خلال بحثه عن تاريخ دراسة الرياضيات أي سجل لأي امتحان كتابي في أوروبا قبل عام ١٧٠٢م، إذ أدخل بينتلي واحداً من الامتحانات الكتابية لمادة الرياضيات في كلية التدريب في **كامبردج**، وعزا بعض المؤرخين استعمال الأسلوب الكتابي إلى أنه يتناسب وطبيعة مادة الرياضيات.

وبسبب الاهتمام بتدريس الرياضيات فقد ازدادت أهمية الأسلوب الكتابي في الامتحان خلال الفترة ما بين ١٧٧٠ ـ ١٨٤٠م، ونظراً لتزايد عدد الطلاب فإن هذا الأسلوب اعتمدته جامعتا **كامبردج وأكسفورد** كطريقة رسمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ومن بعدها جامعات الولايات المتحدة الأميركية وغيرها من البلدان.

وقد ورد في تقرير اللجنة الفرعية لامتحان القواعد في بوسطن عام ١٨٤٥م، ما يلي:

(من المستحيل اختبار سبعة آلاف طفل بصورة عادلة في زمن محدود لذا رأينا اعتماد الامتحان الكتابي لكافة الطلاب لجميع المواد كأسلوب لتوفير الوقت وتحقيق العدالة).

مما تقدم نجد أن الامتحانات ازدادت أهميتها وتغلغلت في الحياة العامة وازدادت شدتها حتى غدت مواسمها تبعث على الخوف والرهبة. وقد ذكر **الدكتور أمير بقطر** شواهد على ما كان يقاسيه الطلاب أثناء الامتحانات. إذ إن فتاة في الجامعة الأميركية فقدت بصرها عدة أيام، كما فقد رجل في جامعة أخرى عينيه فقداناً تاماً مؤبداً.

الهوامش

١ ـ بقطر، أمير ـ مشكلة الامتحانات في مصر.
٢ ـ عبد الدائم، عبد الله ـ تاريخ التربية.
٣ ـ مشنوق، عبد الله ـ تاريخ التربية.
٤ ـ شلبي، أحمد ـ تاريخ التربية الإسلامية.
٥ ـ محرز، زينب ـ نظم الامتحانات في مدارس التعليم العام.
٦ ـ الأبراشي، محمد عطية ـ روح التربية والتعليم.
٧ ـ سنقر، صالحة ـ نظرة تاريخية على نشوء الامتحانات.

(★) في علمنا أن محمد بن الأشعث شهد وقعة صفين حول سنة ٣٨هـ، وأنه توفي بعد ذلك بقليل (المجلة).

★ بعد حدوث الانفجار البركاني ★

وللكوارث أيضاً موسوعاتها

بقلم: سمعان إسكندر

قد يبدو غريباً أن يكون للكوارث موسوعة .. غير أنه إذا ما تصورنا أن تساؤلا يمكن أن يطرح عمن نجا من فريق مانشستر لكرة القدم عندما تحطمت به طائرته على أرض مطار ميونخ يوم ٦ فبراير (شباط) ١٩٥٨م ، أو عن عدد ضحايا زلزال سان فرانسسكو في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٠٦م ، أو عن تاريخ حريق لندن الكبير الذي راح ضحيته ١٣٢٠٠ منزل .. إذا ما تصورنا أنه من الممكن أن تطرح تساؤلات على ذلك النحو أو غيره ، ثم تصورنا أنه ينبغي أن يكون لهذه التساؤلات إجابات موثقة .. إذا ما تصورنا ذلك تزول غرابة الأمر عندما يصل إلى أسماعنا أنه حتى الكوارث لابد أن يكون لها موسوعاتها .

من هنا نستطيع أن نرسم في أذهاننا صورة بسيطة لما ينبغي أن يكون عليه تنظيم المعلومات داخل أية موسوعة من موسوعات الكوارث حتى تستطيع هي بدورها أن تمدنا بما يجيب على تساؤلاتنا .



★ مشهد يمثل بعض ضحايا بركان «فيزوف» في بومبي ★

في البداية وقبل أي شيء آخر ينبغي أن تعلن الموسوعة عن التزامها أو عدم التزامها بتغطية أحداث فترة زمنية محددة . . ليتسنى للباحث معرفة مدى صلاحية الموسوعة التي بين يديه لأن تمده بالمعلومة أو مجموعة المعلومات التي يريد الحصول عليها .

يأتي بعد ذلك أن تصنف هذه المعلومات على شكل رؤوس موضوعات عريضة مقننة أو غير مقننة مرتبة هجائياً أو غير مرتبة على نحو مثل : انهيارات جليدية ـ براكين ـ حرائق ـ زلازل ـ سفن ـ سيارات ـ طرق ـ قطارات ـ مناجم إلى آخره ، ثم توضع تحت رأس كل موضوع من هذه الموضوعات العريضة عناوين فرعية للكوارث التي وقعت مرئية زمنياً تضم كل واحدة منها جرعة المعلومات الخاصة بكل كارثة من هذه الكوارث . . تاريخها ـ ضحاياها ـ ظروفها ـ خسائرها المادية إلى آخره ، على أن تكون هذه الجرعة متوازنة كماً وتنظيماً مع زميلاتها من الجرعات الأخرى الخاصة بنفس النوع من الكوارث ، ثم تختم الموسوعة صفحاتها بكشاف يضم كل ما ورد فيها من أسماء أشخاص وأماكن وسفن وقطارات وشركات ملاحة بحرية وجوية مرئية هجائياً ومبيناً أمامها أرقام الصفحات التي وردت بها .

ذلك هو التصور البسيط الذي يمكن أن نرسمه في أذهاننا لمحتوى أية موسوعة من موسوعات الكوارث . غير أنه لما كانت هذه الكوارث ذاتها مختلفة في طبيعتها وأسبابها ونتائجها وأحجام خسائرها وغير ذلك من مظاهر أخرى كثيرة كان من الصعب أن يتحقق التوازن المطلوب في جرعات المعلومات الخاصة بها من ناحيتي الكم وطريقة التنظيم .

موسوعات اللغة وموسوعات الكوارث

المعروف عن قاموس اللغة أنه يتعامل مع المفردات جميعاً بنفس القدر من الأهمية ، فهو يفسر معنى المفردة ويبيّن هجائيتها وطريقة نطقها وكتابتها ومشتقاتها ومترادفاتها وأضدادها وأخيراً يستخدمها في جملة أو أكثر . هو لا يؤثر مفردة على حساب مفردة أخرى إلا في القليل النادر وهو بذلك يحقق توازناً في حجم المعلومات كما يحقق إلى حد كبير كفاءة في تنظيم هذه المعلومات بحيث يسهل أن نعثر على موقع معلومة محددة منها دون بذل أي جهد أو وقت يذكر .

يحدث هذا بالنسبة لقواميس اللغة وقواميس الأماكن والأشخاص وقواميس المصطلحات المتخصصة ، وحتى بالنسبة لكثير من الموسوعات العامة وغير العامة ، الأمر الذي

تفتقده إلى حد ما بعض موسوعات الكوارث بحكم طبيعة المعلومات التي ترد بها وإن كان تحقيق ذلك ليس بالأمر المستحيل أو المتعذر.

على أن هناك شيئاً آخر يتميّز به موضوع الكوارث ذلك أن طبيعة مثل هذا النوع من الموضوعات يشد القارئ ويجتذب انتباهه ليعرف كل شيء عنه بدءً بوقوع الكارثة حتى حصر نتائجها وخسائرها البشرية والمادية. من هنا خرجت إلى الوجود كتب كثيرة في هذا المجال لتحقق هذا الهدف، ولما كان الأطفال والشباب هم أكثر الناس إقبالا على قراءة مثل هذا النوع من الكتب فإن الكثيرين من المؤلفين يعاونهم كثيرون من الناشرين راحوا معاً يعملون على إخراج هذه الأنواع من المؤلفات بحيث تخدم تلك الفئات من الأعمار.

هي إذن ليست موسوعات في الموضوع وإن كانت تضم كل ما ينبغي معرفته عن الموضوع وهي قد صيغت في أسلوب قصصي وبغير تنظيم معين هجائي أو زمني، كما أنها أيضاً بلا كشاف في النهاية مما يجعل استخدامها كمرجع لاسترجاع معلومة أو أكثر من المعلومات المتناثرة بها أمراً صعباً ومتعذراً.

الكتاب الأول ـ كوارث مشهورة

وقد جاء مطابقاً لهذه المواصفات كتاب يحمل عنوان «**كوارث مشهورة**» بقلم **برندا أبسلي** نشره «الموزعون العالميون» ـ ليمتد ـ مانشستر بريطانيا العظمى.

يحتوي الكتاب على (١١) رأس موضوع هي على سبيل المثال: غرق التيتانيك ـ يوم احتراق هندنبرج ـ اختفاء سان بيير ـ كارثة جسر ملبورن ـ يوم أن دفنت **بومبي** ـ الموت في السباق ـ دمار مدينة داروين ـ يوم أن انتهت سان فرانسيسكو وغير ذلك من موضوعات تميّزت كلها بطريقة سرد شيق وتحليل قصصي جذاب. وقد زينت صفحات الكتاب برسوم ملونة لفنانين استطاعوا أن يضيفوا من رؤاهم الخاصة شيئاً إلى الواقع المخضب بالدم، كذلك زين الكتاب بصور مختلفة تمثل الدمار والخراب. كما استخدمت

وللكوارث أيضاً موسوعاتها

طريقة المعلومات الإضافية داخل مساحات.. مربعات ومستطيلات.. هي الأخرى ملونة ودون أن يعترض ذلك سير السرد القصصي للموضوع أما الخرائط التوضيحية فقد أضيفت كي ما تكتمل بالكلمة وبالصورة وبالخريطة كل المعلومات داخل ذهن القارئ.

الكتاب الثاني ـ الكوارث الضخمة

وفي عام ١٩٧٧م، ظهر للناشر الإنجليزي **بيرنل** كتاب بعنوان «**الكوارث الضخمة**» مسح مصور للأحداث التي هزت العالم.. جمع المعلومات **فيل دراكيت**.. ظهر الكتاب مغلفاً بجاكيت أسود قاتم محلّى ببعض الصور الملونة التي يغلب عليها اللون الأحمر.. لون النار والدم. أما الكتاب نفسه فقد ظهر هو الآخر في غلاف أسود ينبئ عما يحتويه أو يملأ صفحاته من صور مأساوية وموضوعات تبعث على الأسى بطبيعتها بسبب ما لقيه مئات من الناس في أماكن متفرقة من العالم راحوا ضحية مصائب حدثت بسبب خطأ في الحساب أو بسبب غضبة من تلك الغضبات التي تعلنها الطبيعة أحياناً من وقت إلى آخر.

تقودنا فهرسة الكتاب إلى مفاتيح محتواه لتعلن أنه ينقسم إلى:

★ **أولا: مقدمة.**

★ **ثانياً:** (١٣) باباً برؤوس موضوعات عريضة غير مفصلة هي على النحو التالي: الهواء ـ سفن الهواء ـ الجسور ـ الزلازل ـ الانفجارات ـ الحرائق ـ الفيضانات ـ انحناءات الطرق ـ انهيارات الجليد ـ السكك الحديدية ـ السفن ـ حوادث الرياضة ـ وأخيراً البراكين.. وهي غير مرتبة أبجدياً.

★ **ثالثاً:** كشاف يشير إلى أهم ما ورد في الكتاب والصفحة التي ورد بها من أسماء أشخاص كطيارين أو ملاحين أو رياضيين أو قائدي سيارات، وأسماء أماكن كمدن أو أنهار أو جبال أو جسور أو مطارات، وأسماء شركات طيران أو ملاحة وغيرها، ونوع الكارثة مرتبطاً بالمدينة التي حدثت فيها مثل زلزال **سان فرانسيسكو** أو حريق **لندن** الكبير.. كل هذه الأسماء مرتبة معاً في ترتيب هجائي كالقاموس بحيث يسهل للباحث عن معلومة معيّنة أن يعثر عليها في سهولة بمجرد أن يتاح له المدخل الذي يقوده في النهاية إلى هذه المعلومة.

★ **رابعاً:** قائمة بأسماء وكالات الأنباء والصحف والدوريات والإذاعات والجمعيات العلمية ومجموعات الكتب واللوحات والمكتبات التي جاء ذكرها في الكتاب مشيراً إلى رقم الصفحة التي وردت بها، وهي كلها ممتزجة ومرتبة بنفس الترتيب الهجائي القاموسي المعروف.

الكتاب إذن يتناول بالصورة وبالكلمة نفس الموضوع الذي تناوله الكتاب الأول وبنفس أسلوبه المثير الذي يدفع القارئ إلى قراءته قراءة كاملة من الغلاف إلى الغلاف، لولا أن الكشاف الذي ألحق به قد أضاف إليه بعداً موسوعياً أتاح للقارئ الباحث أن يستخدمه عند الحاجة إلى استخراج معلومة أو أكثر منه.

على أن المستفيد من الكتاب كمرجع سوف يلحظ أن الكشاف قد أغفل الترتيب الزمني للأحداث كمدخل بحيث لم تعد معرفة السنة صالحة لاستخراج المزيد من المعلومات.. دليل ذلك أن الباحث الذي يجد نفسه في حاجة إلى أن يجمع معلومات عما حدث من كوارث خلال عام معيّن دون أن يكون لديه كمدخل إلا معرفة ذلك العام سوف يتعثر أمام صعوبة الوصول إلى ما تناثر حوله من معلومات هنا وهناك.. ربما كان السبب هو طبيعة الترتيب الأبجدي للكشاف الوحيد الموجود في الكتاب وهي طبيعة أملتها أسماء الأماكن والأشخاص والشركات وهي كلها كلمات من الممكن أن ترتب هجائياً الأمر الذي يصعب القيام بمثله مع أرقام السنوات. ومع أنه كان من الممكن التغلب على تلك الصعوبة بإضافة كشاف زمني

إلى الكشاف الموجود بحيث تصير المداخل المتعددة مفاتيح متعددة في يد الباحث لتصل به في النهاية إلى المعلومات التي يريدها ، لكن ذلك لم يحدث واكتفي بالكشاف الذي يضم أسماء الأماكن والأشخاص والشركات في ترتيب قاموسي ، مشيراً أمام ذلك وفي بساطة شديدة ، إلى السنة التي حدثت فيها الكارثة المشار إليها وبعد ذكر الصفحات التي وردت بها .

الكتاب الثالث ـ الكارثة

أما الكتاب الثالث فقد جاء على موعد مع الاستخدام الموسوعي الأمثل . صدر عام ١٩٧٩ م ، **وأعدَّه القائمون على دائرة المعارف البريطانية .**

الكتاب بعنوان « **الكارثة** ـ عندما يفقد الإنسان القدرة على التحكم » . . يتكون المضمون الرئيسي له من سبعة أقسام رئيسية تحمل سبعة رؤوس موضوعات هي : كوارث الطيران ـ الحرائق والانفجارات ـ أخطار البحر ـ كوارث المناجم ـ حوادث القطارات ـ حوادث السيارات ، ثم كوارث أخرى متنوعة بالإضافة إلى أجزاء أخرى فيه هي : كلمة تمهيدية ـ المقدمة ، وفي النهاية التذييل ـ الببليوغرافيا ـ الكشاف .

جاء التمهيد للكتاب على شكل مقال قصير بعنوان « معرفة عالم اليوم » ، تحدث فيه الكاتب عن الحاجة الملحة عند إنساننا المعاصر بعد أن ينتهي من قراءة الصحيفة أو مشاهدة الأنباء المصورة في الإذاعة المرئية إلى معرفة ما وراء الأحداث أو التفسير لها أو ما يمكن أن نطلق عليه الاستزادة من المعرفة أو الرغبة المستمرة في البحث أو حب الاستطلاع أو تقصي الخبر ودس الأنف وراءه لمعرفته . من هنا جاء الكتاب ضمن سلسلة كتب أخرى في موضوعات أخرى تستهدف كلها نفس الأغراض السابقة وتحمل اسم « **بانتام بريتانيكا** » ، إشارة إلى أنها من إصدارات هيئة تحرير دائرة المعارف البريطانية .

ولقد تحدثت صحيفة « **شيكاغو تريبيون** » عن هذه السلسلة من الكتب فقالت إنها تستقي معلوماتها من مصادر عالية القيمة ، الأمر الذي يجعل من هذه المعلومات معلومات موثقة كما يجعل من عملية البحث فيها عملية ممتعة .

ولما كانت هذه المعلومات قد اختزنت ونظمت داخل الكتاب بطريقة تتيح استرجاعها عند الحاجة إليها فقد تميّز هذا الكتاب عن الكتابين السابقين بقدر من التنظيم أتاح له أن يُستخدم ذلك الاستخدام الموسوعي الأمثل .

أما الطريقة التي اتبعت في تناول موضوعات الكتاب فقد كانت كلها على نسق واحد بالنسبة لجميع الموضوعات . . وهي على النحو التالي :

١ ـ رأس موضوع عريض .

٢ ـ مقدمة قصيرة .

٣ ـ عناوين الكوارث التي حدثت دون تحديد زمني لها إلا في سياق السرد .

٤ ـ كوارث أخرى في الموضوع مرتبة زمنياً من عام ١٩٥٩ م ، حتى عام ١٩٧٨ م ، مع ذكر السنة والشهر واليوم وبمعلومات مركزة ومنظمة : موقع الكارثة ـ ظروف الحادث ـ عدد الضحايا .

ذلك هو النظام الذي اتبعه الكتاب بالنسبة لكل رأس موضوع من الموضوعات العريضة السبعة مثال :

١ ـ كوارث الطيران ، رأس موضوع عريض .

٢ ـ مقدمة قصيرة تؤكد أن كثيرين يعتقدون أن معظم كوارث الطيران يحدث في الجو . وهذا خطأ . الصحيح أن أخطر كوارث الطيران يحدث على الأرض . بالإضافة إلى أن نسبة حوادث الطيران أقل من نسبة حوادث السيارات .

٣ ـ عناوين الكوارث : هندنبرج ـ باريس ـ سان ديجو كاليفورنيا ـ كولومبو ـ سيري لانكا . . إلى آخره .

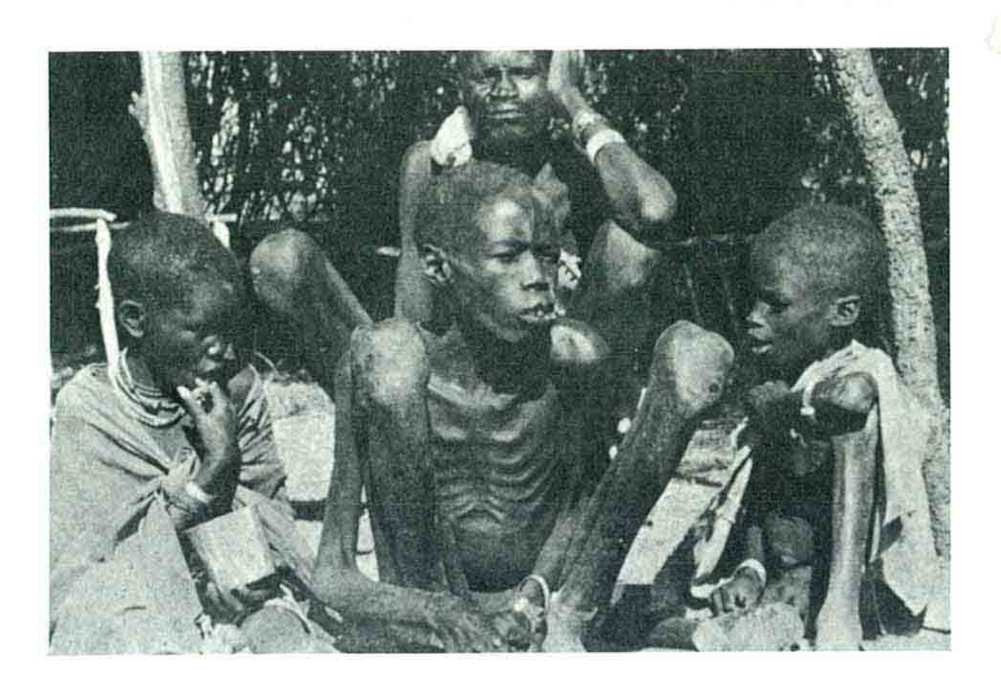
٤ ـ كوارث أخرى من عام ١٩٥٩ م ، حتى عام ١٩٧٨ م ، مع ذكر اليوم والشهر والسنة ثم موقع الكارثة ـ ظروف الحادث ـ عدد الضحايا .

مثال آخر :

١ ـ كوارث البحر ، رأس موضوع عريض .

٢ ـ مقدمة قصيرة تتناول مقارنة سريعة بين كوارث البحر في الزمن القديم وكوارث البحر هذه الأيام .

٣ ـ عناوين الكوارث وهي التي تكون عادة أسماء بواخر أو سفن : الملكة شارلوت ـ الميدوزا ـ فكتوريا ـ الايستلاند ـ قلعة مورو ـ



سان فرانسسكو ــ أندريا دوريا . . إلى آخره .

٤ ــ كوارث أخرى بحرية من عام ١٩٥٩ م ، إلى عام ١٩٧٨ م ، وبنفس المواصفات السابقة من ذكر اليوم والشهر والسنة ومكان الكارثة وظروفها وعدد ضحاياها .

هكذا تناول الكتاب رأس كل موضوع من موضوعاته السبعة حتى الموضوع الأخير الذي جاء تحت عنوان « كوارث أخرى متنوعة » تلته مقدمة قصيرة فأربعة رؤوس موضوعات عريضة هي : حوادث التسمم ــ انهيارات المباني ــ كوارث الذعر وهي نوع من الكوارث ينجم عن الزحام الشديد أو الانفجار المفاجئ أو مجرد موجات ذعر تنتشر بين الأطفال أو الحيوانات فتحدث إصابات بالغة بسبب ذلك . وأخيراً حوادث أخرى متنوعة .

وقد نظمت المعلومات الخاصة بهذه الموضوعات بنفس طريقة التنظيم التي تم بها ما سبق أن عُرض . . وذلك على النحو التالي :

١ ــ حوادث التسمم ، رأس موضوع عريض .

عناوين الكوارث : أتلانتا ، جورجيا ١٩٥١ م ــ البصرة ، العراق ١٩٧١ م ــ نيودلهي ، الهند ١٩٧٢ م ، إلى آخره .

٢ ــ انهيارات المباني ، رأس موضوع عريض .

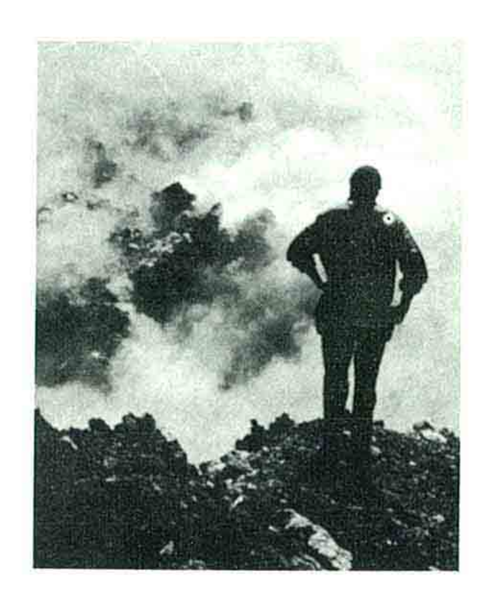
عناوين الكوارث : بوسطن ١٩١٩ م ــ وياموند ، هاربر ١٩٤٦ م ــ سانت ماريز ، وست فرجينيا ١٩٧٨ م ، إلى آخره .

٣ ــ كوارث الذعر ، رأس موضوع عريض .

عناوين الكوارث : أنديانا بوليس ١٨٦٩ م ــ ساندر لاند ، إنجلترا ١٨٨٣ م ــ كاراكاس ، فنزويلا ١٩٥٢ م ــ ليما ، بيرو ١٩٦٤ م ــ القاهرة ، مصر ١٩٧٤ م ، إلى آخره .

٤ ــ حوادث أخرى متنوعة من عام ١٩٥٩ ــ ١٩٧٨ م ، مع ذكر اليوم والشهر والسنة وبيان موقع الكارثة وظروف الحادث وعدد الضحايا .

وللكوارث أيضًا موسوعاتها



وقد لوحظ في تنظيم المعلومات الخاصة بهذه الأنواع من الكوارث أنه قد ذكر أمام كل كارثة منها السنة التي حدثت فيها الكارثة ، الأمر الذي لم يتحقق بالنسبة لما سبق أن ذكر من أنواع الكوارث الأخرى إلا خلال عمليات السرد .

وينتهي الكتاب بقائمة ببليوغرافية ثم كشاف بأسماء المدن والأماكن والسفن والأشخاص وعناوين الكوارث وغيرها في مزيج قاموسي مرتباً ترتيباً هجائياً .

مقارنة بين الكتب الثلاثة

ذلك هو عرض سريع لثلاثة من أوعية المعلومات تناولت كلها موضوعاً واحداً هو الكوارث . ضم الأول معلوماته بحيث يمكن للقارئ أن يفرغ منها دفعة واحدة شأنه في ذلك شأن أي كتاب آخر ، وجاء الثاني ليجمع بين نوعي الاستخدام بحيث يمكن قراءته قراءة كاملة أو قراءة الموضوع الواحد منه كاملاً ، كما يمكن في نفس الوقت استخدامه موسوعياً بفضل الكشاف الملحق في نهايته الذي ضم في ترتيب قاموسي أسماء الأشخاص والأماكن والسفن والطائرات وشركات الملاحة ووكالات الأنباء وعناوين الكوارث مشيراً إلى أرقام الصفحات التي وردت بها المعلومات . أما الكتاب الثالث فقد أعد ليصير مرجعاً يرجع إليه في استخراج معلومة أو أكثر بفضل الكشاف الهجائي الملحق وبفضل الترتيب الزمني لأكثر من ثلاثة أرباع محتواه ، الأمر الذي جعل من الترتيب الهجائي مرة ثم الترتيب الزمني مرة أخرى مدخلين مختلفين يتيحان للباحث سرعة وسهولة في استرجاع أية معلومة يريدها فضلاً عن أن الكشاف الهجائي وحده وهو الذي يحوي في ترتيب هجائي كل الأسماء التي وردت في الموسوعة يعد بمفرده مفتاحاً لمداخل متنوعة وكثيرة تقود في النهاية إلى المعلومة أو مجموعة المعلومات المراد معرفتها .

عناوين الإثارة

بقيت بعض عناوين الإثارة التي اتخذها كل من الكتاب الأول والثاني افتتاحيات أو عناوين لبعض الكوارث مثل : دعهم يأكلون الكعك ــ لا تلعب بأدوات الكيمياء ــ سأعود ثانية ــ الأيام الأخيرة لمدينة بومبي ــ الموت في الضواحي ، وعناوين أخرى مماثلة ، مما يصلح مانشتات للصحف ، وفي تقديري أنه لا الكتاب الأول ولا الكتاب الثاني استطاع أن ينجو بنفسه من هذه الإثارة في العناوين ، ذلك أن كلاً منهما استمد مادته من المصادر الطبيعية لمثل هذه الأمور وهي الصحف والدوريات ، في حين راح الكتاب الثالث ينهل مباشرة من معين **دائرة المعارف البريطانية** ، وملفاتها ، وهو معين خلا على وجه التقريب من شوائب الإثارة الإعلامية فيما عدا بعض العبارات التي وردت على ألسنة بعض المذيعين وهم يصفون بشاعة ما يرونه بعيونهم مثل : « أنا ذاهب بعيداً للحظة حتى لا أرى المنظر » ، أو « سوف أتوقف عن الحديث لأني فقدت صوتي » . . فيما عدا ذلك مضى كل شيء بموضوعية تامة أعانهم عليها الخبرة الطويلة في إصدار وتجديد معلومات أعرق موسوعة معارف في عالمنا المعاصر .

اللؤلؤة والقرصان

بقلم: جهاد عبد الجبار الكبيسي

تحركت الثلة معبأة بالحقد. مثلها مثل عشرات غيرها. الأمر الصادر إليها، اجتثاث كل نبت أخضر. والهدف النهائي، الوصول إلى **اللؤلؤة**.

ميدان العملية مساحة مخيم. بكل ما يشتمل من كائنات. قال **القرصان الأعور** ذو الوجه الشائه لأتباعه: أطلق في المخيم يدكم، وأحل كل محرم لكم، لا تبقوا على محارة، صغيرة أو كبيرة، من أجل أن تأتوني باللؤلؤة.

تمددت أذرع الأخطبوط وانتشرت. كل تلتف حول بيت. تعتصره، تهصره، تمتص دمه.

سكون الليل عميق. الظلمة مظلة. ونفوس الساكنين آمنة مطمئنة. الأجساد المكدودة المعذبة ما بين استلقاءة للراحة، وانهماكة في تناول لقمة.

لحاف الظلمة يتشقق بحد نصال القرصان. يتعرى المستور، ينكشف المخبوء. تفزع الأجفان المتعانقة على حلم الخلاص وتتباعد. جدران البيت النائم على الرعب تتصدع. يتخلخل الباب وينخلع. جند القرصان تقتحم الممر. يلقاهم **شيخ عجوز** مشمر الساعدين، تتقاطر حبات ماء الوضوء منهما. ليس في الفم أسنان، وشعيرات الرأس بلونها تشي بقرب التحامها بالكفن.

يدنو الجند منه. تتوهج الفرحة في عيني أحدهم **«في هذا الرأس تُختزن اللؤلؤة»**. بيديه القاسيتين يرفع بندقيته، وبكعبها يضرب رأس الرجل العجوز. يترنح، يسقط. يعاود الضرب. تتكسر الجمجمة، تتناثر جوانبها. يختلط المخاطي اللبني بالسائل الأحمر. لكن اللؤلؤة لا تكون هناك.

يراود الأمل رأس آخر. يتجه إلى الأب المحتضن طفله يطعمه. تسطع الفرحة في عينيه **«في هذا الصدر تُختزن اللؤلؤة»**. والأب يهم بإبعاد صغيره عن حضنه يشق حد السكين مدخلاً في صدره. رأس النصل ينكش في القاع، وحدة القلب تتحول مزقاً، ومعها يتفجر الدم فوّاراً. لكن اللؤلؤة لا تكون هناك.

ثالث يتوهم الذكاء في نفسه. يتجه إلى الأم الحاملة جنيناً في داخلها، وهي تجدل شعور الصبر في ابنتها، تلتمع الأسنان فيه فرحة **«في هذا البطن تُختزن اللؤلؤة»**. تمر السكين خاطفة تشطر البطن نصفين، تندلق الأحشاء ومعها الجنين مخضلة بالدماء، لكن اللؤلؤة لا تكون هناك.

يتوسل رابع بدهائه. يستدعي المكر المختزن في أعماقه. ومن احتياط رصيده في أسلافه. أحد لم ينتبه لتلك المحارة الفتية **«لربما فيها تكمن اللؤلؤة»**. تخالط الشهوة فرحته، فيتوجه إلى الصبية. من شعور الصبر المجدول من رأسها يجذبها، يطرحها أرضاً. المحارة غضة لا تحتاج في فضها لآلة.

تتدفق الدماء طاردة معها عصي الجرائم، يتجمع الدم حول الجسد الرافض أحمر قانياً، لكن اللؤلؤة لا تكون هناك.

لم يعد في البيت من يمكن أن تكون اللؤلؤة معه. الكل مذبوح. مبعثر الأشلاء. ولا أثر للؤلؤة عند أحد. يصرخ أحد الجند وهو يدور حول نفسه بكأس الدم: **قرصاننا الأعور أباح لنا كل محرم، وشريعتنا الناقة أجازت لنا كل وسيلة من أجل الغاية، وهنالك ما يزال طفل، فلعل عنده تكون اللؤلؤة.**

تساءل واحد: **جسده صغير، فأين يمكن أن تكون مخبأة؟**

يجيب آخر: **حطمنا الرأس، مزقنا الصدر، بقرنا البطن، خرقنا الجسد، لكننا لم نعثر عليها. ما عاد أمامنا غير العنق. فليُذبح هذا الطفل من الوريد** «ففيه ستكون اللؤلؤة مخبأة».

أمسكوا بالطفل، طرحوه، جثم على بطنه ذو كرش. وقبض أعجف على رأسه. اختلج الجسد الصغير. حاول أن يصرخ. لكن السكين كانت أسرع من انفراجة شفتيه. قطعت حبال الصوت، ومعها جُزرت كل حبال الأمل الأخرى.

تلوح شرايين العنق المجزورة باقة ورد حمراء، تلتحم بغصن أخضر. لكن اللؤلؤة لا تكون هناك.

بطلوع النهار تتراجع خفافيش الليل. ينضو المخيم عن جسده عباءة الليل السوداء، ليتبدى مع إطلالة الصبح بفستان أحمر.

يعود أتباع القرصان خائبين. يكونوا قد فعلوا كل شيء. إلا الذي جاءوا من أجله.

ليلة العرس

بقلم: حسين عيد

الصوت :

غربت الشمس . غادر أبو العروس البيت مرتدياً جلبابه النظيف الأبيض . عقد يديه وراء ظهره . مشى في الحارة ببطء .. كان يعرف أن أعين الجيران تراقبه ، فخطط لمشيته أن تكون متمهلة ، مشبعة بالكبرياء .

رأى بجوار البيت أخاه ، جالساً مع بعض المدعوين . بجوارهم عند الناصية ، ربضت سيارة الجار الذي تطوع بتزيينها بالأشرطة الملونة والبالونات ، حتى تليق بتحركات العروس .

ألق التحية عليهم . تحول للناصية الأخرى .. كانت أنوار الفرح منتشرة ، على الجانبين بطول الحارة . بينما رصت صفوف الكراسي على الأرض في خطوط متعرجة . وأمامه مباشرة ، تشكل المسرح من عربتين خشبيتين .

« والله ليلتك مفترجة يا بنتي ! » .

همس الرجل لنفسه . ثم صرخ في أكبر أبنائه : **أين الكهربائي يا ولد ؟! .**

اقترب ابنه منه : ذهبت إليه مرتين .. لكنه لم يأت بعد .

ـ يجب تجهيز مكبرات الصوت للعمل .. ماذا ننتظر ؟! .

قال الابن بهدوء : **يا بابا أختي عند الكوافير .. ما زال في الوقت متسع .**

هدر الرجل ثانية : يجب أن تذهب إليه الآن .. يجب أن يغمر الفرح الحي كله ! .

هز الشاب رأسه . ابتعد غير مقتنع .. **« لماذا يصرخ أبي فيَّ أمام الجيران ؟ .. لماذا ؟! » .**

مشى . ناداه عمه : **ابحث عن الكهربائي يا ابني .. يجب أن يكون كل شيء جاهزاً .**

أومأ برأسه مطيعاً .. **« لماذا اعتاد الجميع اليوم على إصدار الأوامر فقط ، دون الاهتمام بتنفيذها .. منذ الصباح وأوامرهم لا تنتهي .. افعل هذا .. احضر ذاك .. تعال هنا ... » .**

سقط في لجة الحي حيث الظلام .. كانت بعض أنوار شاحبة تنبعث من أماكن متفرقة .. تحرك بجوار جدران البيوت خشية انزلاقه في بؤرات المياه الملونة ، المتفشية في الطرقات الضيقة . فاجأته تلاوة قرآن تنبعث من بيت قريب . أيقن أن هناك مكبراً للصوت معلق فوق رأسه مباشرة . صدق ظنه . بينما انبعثت أنوار قوية من نافذة مجاورة .. **« لعلها حالة وفاة ! » .**

ابتعد مسرعاً .. **« ماذا سيحدث عندما ترتفع موسيق الفرقة الصاخبة من خلال مكبرات ؟ » .**

تطلع حوله .. كان الظلام عندئذ يخيم على الحي .. بينما بدت البيوت في هياكلها الشبحية كأنها تنتحب .

أوسع خطواته ، نحو دكان الكهربائي ، كمن يهرب .



البالونة :

من أوحال الطابق الأرضي أتيت ، خارجاً من باطن الأرض . جذبتني الأضواء القوية .. شاهدت أرض الحارة تنظف للمرة الأولى منذ زمن ..

كنسوا الأرض . هبت زوبعة الأتربة . رشوها بالماء . هدأ كل شيء .. بذل إخوة العروس وأصدقائهم جهوداً جبارة ..

نصبوا عربتين خشبيتين متجاورتين . صفوا الكراسي الصفراء .. صعدت على العربتين . قفزت منها للأرض مرات ومرات . مثلنا على المنصة مشاهد عنيفة . تصارعنا . لعبنا كثيراً .. سأمت اللعب بعد فترة .. في الحقيقة جذبت سيارة كبيرة بيضاء انتباهي ، عندما توقفت قرب الناصية ، كانت مغطاة بأشرطة عريضة بيضاء وحمراء ، بينما ارتفعت بينها بالونات ملونة .. أربع في المقدمة ، واثنتان في المؤخرة .

هجرت الصحاب . تسللت من وراء البيوت . خضت في مستنقعات الأوحال . أصبحت خلف السيارة . كان يجلس بجوارها عدد من الرجال .

انهمكوا في الحديث، كانوا يلوحون بأيديهم ويدخنون السجائر.

انحنيت لأسفل. تكورت حول نفسي، خشية أن يراني أي منهم. تلصصت بهدوء بجوار السيارة. لامست جسمها البارد. مددت يدي. كانت الشرائط المزركشة مثبتة على سطح





السيارة بشرائط صغيرة لاصقة . نزعت أول شريط لاصق . ارتفع الشريط في يدي . . كان ملمسه ناعماً ، أحمر اللون . جذبت جزءً آخر ، والشريط يطول في يدي حتى وصلت إلى أول بالونة . . كانت خضراء اللون ، عليها رسوم لحصان يلهث . أمسكتها . قبضت على حافتها بعنف . . عندئذ سمعت صوتاً مرتفعاً مفاجئاً . جفلت . تجمدت في مكاني . هربت البالونة من يدي . هل اكتشفوا أمري ؟! .

رفعت بصري للجالسين . كانوا يتناقشون بحماس . . خطوت ثانية للأمام . جذبت البالونة لأسفل من خيطها الرفيع . . احتضنتها برفق .

بدأت أنزع بقية الشرائط الملونة واحداً واحداً . . بهدوء وثقة .

الرقص :

التأم شمل مجموعة من شباب الحي في الموعد المحدد . . كانوا نحيفي القوام ، طويلي الشعور ، متقاربي الأعمار ، ربما لم يتجاوزوا العشرين عاماً . . حمل أحدهم تحت إبطه طبلة ، بينما أمسك ثلاثة من زملائه بثلاثة دفوف مستديرة في أيديهم .

انتحوا جانباً من الحارة . تجمع حولهم شباب الحي . بدأوا عزفهم اللاهث المحموم ، انطلق أحدهم يغني بينما يردد الآخرون مقطعاً ثابتاً من الكلمات على فترات منتظمة .

فجأة حزم أحدهم وسطه . بدأ جسده النحيل يتمايل ، ويهتز يميناً ويساراً على إيقاع الدفوف والتصفيق المنتظم . . وكلما ازداد التصفيق ازدادت حمّى حركاته . . وسط إيقاع عنيف صاخب .

عندئذ تدخل أبو العروس ، قائلاً : **هيا اذهبوا إلى الكوافير . . فالعروس على وشك أن تخرج .**



يجب أن تكون زفتكم لها في شوارع الحي حديث الناس في الأيام القادمة .

توقف الإيقاع المجنون . توجه العريس إليهم بصحبة مجموعة من بنات صغيرات ، ذات فساتين بيضاء طويلة ، حاملات لشموع عملاقة مزركشة بشرائط بيضاء .

تحرك الموكب نحو الكوافير ، لإحضار العروس .

العجوز :

أيقظتني اندفاعات الزغاريد ، التي اقتحمت علي فراغ حجرتي . . ثمة فرح ما يجري . . من من بنات الحارة ستتزوّج ؟! . . من ؟! .

« لم يعد يطرق بابي أحد ليخبرني ! » .

تحاملت . هبطت من سريرها بصعوبة . . « أحفظ أماكن الأشياء . اعتدت عليها . ثمة مائدة صغيرة أمام السرير . . » .

لمستها . استندت إليها . مشت تجاه باب بلكونة الغرفة . . **« بصيص الضوء ينبعث من هناك ! » .**

تحاملت على الحائط . دخلت البلكونة . . **« أشعر بساقيَّ لا تقويان على حملي . . أتحرك بصعوبة شديدة » .**

جلست على عتبتها . كان وراءها مخزون من الأخشاب والكراسي المهملة . . أشعر بالأنوار في عيني .

« تزوجت في القرية . . كانت أضواء المشاعل تغمر المكان : ظهرت انعكاساتها على مياه الترعة الراكدة .

انطلقت الأعيرة النارية . انتفض كلب هارباً . . » .

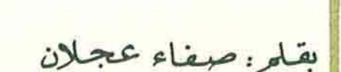
مددت ساقيها . أسندت ظهرها إلى حافة الباب . وصلتها همهمات أحاديث عبر الهواء . أمسكت قلة الماء بجوارها . تناولت جرعة . . « **وزعت الشربات على الأهالي في فرح ابنتي الوحيدة . . شربت شرباتها . .** » .

وضعت القلة بجوارها . . « بعدها أظلم المكان ! » .

ارتفعت دقات الدفوف عنيفة ، فوارة ، تعلن مقدم العروس . . بينما أغمضت العجوز عينيها ، بدا أن الضوء قد آذى بصرها الكليل . انكمشت حول نفسها ، حتى يخيل لمن يراها أنها نائمة .

لكنها كانت تتابع ما يحدث بأذنيها ، وهي تناجي وحيدتها .

الأبله



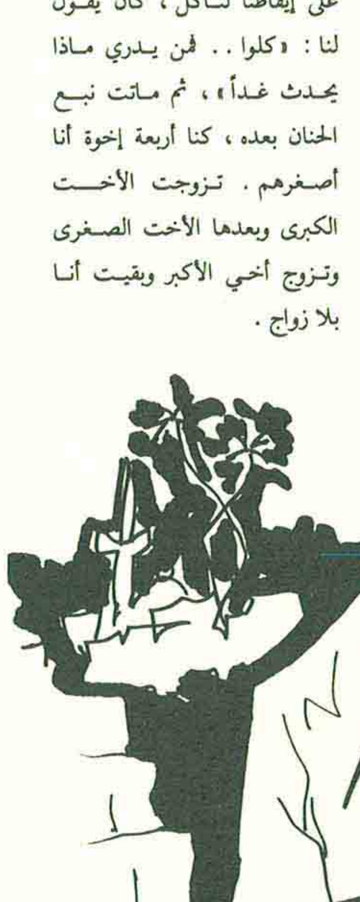
بقلم : صفاء عجلان

كان يطوف الشوارع نصف عريان ، نصف مجنون ، نصف يقظان ، كانت البلدة الريفية الصغيرة كلها تعرفه ، تناديه يا أبله . عندما تحدق في وجهه ستلمح أمارات حزن دفين ترتسم في عينيه ، وبصمات الحزن واليتم والعذاب رسمت أخاديد غائرة على جبهته العريضة المتصلة بصلعة لامعة ، أحياناً كان يضحك بلا سبب ، ويتجهم بلا سبب ، دوماً يتحرك وقد تهدلت كتفيه كأن هماً كبيراً تنوءان به .

كان يستيقظ في الصباح الباكر جداً ، ربما لأنه لم يكن ينم كخلق الله ، يعانق الشمس ، يحتضنها ، **وينادي يا أمي .. يا أمي** ، وفي الليل تتجمع أحزانه كلها وتتركز في بؤرة واحدة فيتكوّم ملتصقاً بأقرب جدار في محاولة للهرب من عذابه وآلامه .

الكل يتحاشاه ، ينفر منه لأنه أبله ، وبلدتنا لا تحب البلهاء لا تأمن لهم ، ربما كنت أنا الوحيد ـ لأني غريب عنها ـ الذي أهش له وأرحب به ، وكان هو الآخر يطمئن إليّ ويأنس بي ، لهذا كان دوماً يثرثر معي . كان يعرف موعد جلستي المعتادة بعد انتهاء العمل بمقهى المحطة ، فكان يأتي كأنه على موعد معي ، يجلس على الطوار كقط أليف فأطلب له الشاي ، أحاول عبثاً أن أدعوه للجلوس على أحد الكراسي ، فيضحك ضحكته الغريبة الأقرب إلى العواء ويغمغم : **أفضل أن أجلس هنا قريباً منك .**

في ذلك اليوم الذي اختفى فيه بعده ، أمسك بكوب الشاي الساخن بين راحتيه وبلا مقدمات قال : «**كانت أمي تقاسي عذاباً مريراً بعد موت أبي المفاجئ ، لم تتحمل المسكينة مواصلة السير بعده وحدها على درب الآلام والفقر ، تركتنا ذات ليلة ولحقت به ، مات الأب الحنون** الذي كان يعود كل ليلة من عمله متعباً وهو يحمل أكياس الطعام والفاكهة ويصر على إيقاظنا لنأكل ، كان يقول لنا : «كلوا .. فمن يدري ماذا يحدث غداً» ، ثم ماتت نبع الحنان بعده ، كنا أربعة إخوة أنا أصغرهم . تزوجت الأخت الكبرى وبعدها الأخت الصغرى وتزوج أخي الأكبر وبقيت أنا بلا زواج .



الأبله

كنت أعمل في «**ورشة**» لصنع الأحذية وتصليحها، احدودب ظهري لكثرة ما رتقت من أحذية أهل هذه البلدة،

وذات يوم ضربت صاحب الورشة «علقة» ساخنة بلا سبب. الحقيقة أني كنت رأيت قبلها بيوم في منامي حلماً غريباً، رأيت أني أضرب صاحب الورشة «علقة» وأفتتح بمدخراتي ورشة صغيرة لنفسي.

وبالفعل افتتحت بمدخراتي «ورشة» صغيرة كبرت مع الأيام وصارت من أكبر «ورش» الأحذية وأحسنها بالبلدة. توالت مكاسبي، أصبحت إنساناً مرموقاً بعد أن كنت نكرة من النكرات أعيش في الظلام، أرتق الأحذية. بدأت أنتقي ملابسي بعناية، وأغشى مجالس الأثرياء،

أنتقي كلماتي بحساب، أضحك بصوت عال، نسيت الفقر والفقراء.. كان لا بد أن أتزوج فتزوجت. كانت «عاملة تشطيب» بأحد مصانع الملابس الجاهزة، انتزعتها من وسط العاملات وجعلت منها «ست بيت» تأهبت لمعانقة الحياة الحافلة العريضة. ولكن أنّى للحياة أن تسير على وتيرة واحدة، أو تعطي الإنسان كل ما يريد.

أطل إخوتي برؤوسهم، وتسللوا كالحيّات السامة إلى حياتي. في البدء حاولوا فرض الوصاية عليَّ لأني أصغرهم وهم يعرفون مصلحتي أكثر مني، ولما لم تجد حيلهم، اتهموني بالسفه والتبذير، وأشاعوا في البلدة بضرورة الحجر عليَّ. ثم تطورت الأمور.. أشاعوا أني مجنون.. الظلم تفرع وأصبح شجرة مثمرة، تفرع منها ألف فرع وألف ذراع كبلتني بالقيود، ولا أدري كيف استمالوا زوجتي فانضمت إليهم، صدقتهم وهجرتني هي الأخرى وباتت مثلهم تردد في كل مكان بأنني مجنون وتختلق القصص لتدلل على جنوني.

إلى أن كان ذات صباح.. أفقت من أحزاني وهمومي على صوت رقيب الشرطة يسألني: «**هل أنت ماهر مكاوي؟**» فأجبت «نعم يا سيدي أنا ماهر مكاوي»، قال: «معي إعلان من المحكمة.. وقّع هنا بالاستلام، الجلسة اليوم..»، وقّعت بالاستلام.

القضية يا سيدي.. الحقد، الغل، الطمع، مجنون، سفيه، مبذر، مطلوب الحجر عليه. قال أحد إخوتي أمام القاضي وأمام جمع كبير من أهل البلدة: «أخي مجنون.. الجنون وراثي في عائلتنا.. أمي كانت مجنونة مثله... دست السم لأبي.. سامحها الله.. قتلته لأنها ترغب في الزواج من غيره، لكنها لم تعش لتحقق حلمها».

وأصرخ في المحكمة: لا، لا، لا... أمي بريئة... أمي كانت صابرة... طاهرة... شريفة... أمي أعقل النساء... لا أصدق، لا أصدق... وأصرخ وأصرخ وأصرخ ويتحول صراخي إلى عواء فيضحك إخوتي ويضحك أهل بلدتي.. واحد فقط لم يضحك... القاضي.. الذي دق بالمطرقة على المنضدة وأعلن تأجيل النطق بالحكم إلى نهاية الجلسة.

ومن يومها لم أدخل المحكمة.. أخذت أطوف على أهل البلدة بيتاً بيتاً لأقنعهم أن أمي بريئة... لم تدس السم لأبي، ولم تكن مجنونة».

وضع الأبله كوب الشاي على الأرض.. وحيّاني في احترام شديد، ابتلعه الظلام.. ومن يومها لم يعد أحد يراه في البلدة، أثار اختفاء الأبله بعض الأقاويل.. ولكن سرعان ما نسيته البلدة مثلما نسيت أحداث كثيرة أخرى.



الحادث

بقلم: صالح عبد الرحمن العليان

تزاحمت الأفكار في رأسه تريد الخروج من سن قلمه المتحرك .. لتنتقل إلى صفحات بيضاء ، فتنقلب زرقاء متناسقة .. يستطيع أن يملكها كل متصفح لها ، لقد تحولت من شيء معنوي مدخر ، إلى مادي محسوس ، وهكذا فقد امتلأت الصفحة الأولى ، والثانية ، وعبد الله وجلٌ جداً ، وجلٌ من ضياع تلك الأفكار وانقطاع سلسلتها ، ومن ثم يصعب عليه تجميعها ، وصياغتها على النحو الذي يراه .

ابتسم ابتسامة الواثق من تدوين ما يجول بخاطره .. ونسي ما قد يحصل فيبتر أفكاره ويشتتها .. لقد توقف قلمه عن الكتابة وحاول فيه بشتى الطرق ولم يفلح .. سأل نفسه قائلاً : كل شيء توقعته إلا توقفك أيها الخبيث .

أمسك به بشدة ، ثم قذفه في سلة المهملات ، بعد أن ألحقه ببضع كلمات لاذعة .

وأطرق يفكر ثم قال بصوت مرتفع : وجدتها .. سأذهب إلى المكتبة المجاورة وأشتري عشرين قلماً .

خرج مسرعاً دون أن يكمل لباسه ، ولما عبر الشارع العام **أحس بتغير طارئ** ، وشعر كأنه يعيش في جو مخالف لما اعتاد عليه ، جعله يسأل نفسه قائلاً : **ما الذي طرأ عليّ ؟** .. فعلاً سؤال لا إجابة له عنده .



الحادث

وأخذ هذا التغير يزداد بشكل يحسه فشعر كأنه يحلق في ليل حالك، وسماء خالية من النجوم، فوق مدينة كبيرة جداً،

تبدو حمراء ملتهبة، وقطع الشرر ترتفع فجأة في السماء، ثم تنفجر بصوت يصم الآذان، فتتبدد إلى **قطع صغيرة، وأصوات غريبة، ومزعجة جداً، تلي ذلك الانفجار لتزيد الجو رعباً وغموضاً.**

ثم انقلب الجو هذا إلى جو يسوده الهدوء قليلاً لا يسمع فيه أي صوت، سوى صوت خافت كنقيق الضفادع يسري هنا وهناك، لا يدري ما كنهه، ولكن يحس براحة عند سماعه له لأنه يشعره بأنه ليس وحيداً في هذا المكان الغامض، أحس بعد ذلك **بلمسات خفيفة في موضع من جسمه** لا يستطيع تحديده وكأنها أنامل ناعمة تريد مداعبته لتسري عنه، وتذهب ما به من حيرة.

وارتفع صوت متواصل كطنين الذباب كأنه يخرج من أذنيه، وبدأ لا يسمع ما يخيل إليه، أنه يهمس به.. فشعر بضيق وملل قاتلين.. حاول أن يتحرك يمنة ويسرة فلم يستطع، وبدأ الغيظ يغلي في صدره كبركان ثائر أغلقت فوهته.. أين المفر؟... كيف السبيل؟.. أسئلة ارتفعت في مخيلته.. لا إجابة عليها.. **إنه الموت.. الموت الذي لا يرحم أحداً إذا دنا منه.**

أيقن بعد ذلك أنه لا سبيل سوى الاستسلام فلم يعد يملك القدرة على درء ما داهمه، فأحس كأنه وسط قارب صغير في بحر لجي لا يعرف له اتجاهاً ولا طريقاً يرسيه على شاطئ أمين.

يرتفع فجأة ليناغي نجوم



السماء، ثم يهبط به إلى القاع ولا يهدأ لحظة واحدة فتمخضت معدته **عن زبد، شعر به يرتفع شيئاً فشيئاً حتى ملأ فمه وضيق مجرى نفسه..** ثم انقباضات شديدة في أمعائه رافقت خروج ذلك الزبد وارتفاع واضح في درجة حرارته صاحب ذلك صداع كاد أن يشطر رأسه إلى شطرين، ثم رعشة لا ترحم أصابت أطرافه، تلا ذلك عرق بارد تصبب من جميع أجزاء جسمه.

أحس بخروج ما كان يتفاعل في داخله مع خروج ذلك العرق فشعر بقليل من الهدوء والراحة، قذف في روعه الأمل في البقاء والعودة إلى الحياة من جديد، وكل ساعة تمر يحس بحال أحسن من ذي قبل، ويدنو شيئاً فشيئاً من معنى الحياة، حتى وقف على نقطة فاصلة بين ما عاشه في رحلته الغامضة، وبين معنى الحياة الصحيح.

خطا خطوة واحدة انتقل بعدها إلى معنى الحياة الذي كان يأمله، وقد فارق تلك الحياة الرهيبة.. فوجد نفسه **مغلق العينين قد استلق على ظهره، وجسمه قد أصابه فتور**، كأنه محمل بحمل لا طاقة له به.. فتح عينيه قليلاً ليبصر ما حوله.. فسمع صوتاً يقول: **الحمد لله**.. ولم يستطع تمييز ما يحيط به لوجود غمامة بيضاء، تحول بينه وبين ما بجانبه.. **فأخذ الغبش يزول شيئاً فشيئاً حتى استطاع أن يعرف ما يراه**، ثم أدار بصره قليلاً إلى اليمين فرأى والدته بجانبه، فارتفعت آهة من ثغره الفاتر، جعلتها تنهال عليه بالقبلات الحارة وتخضب خده بالدموع الساخنة، مرددة الحمد لله.. الحمد لله.

وأعقبها والده بعدد من **قبلات الأبوة الحانية لتعطيه جرعات واقية من الوحشة والعزلة وتقربه إلى الأنس، والدفء، والحنان، والرحمة**... حتى ينهض من فراشه سليماً معافى كامل الحيوية، ليكمل مشوار حياته ويملأ صفحة عمره بالأعمال النافعة.

ثم استفتح حياته هذه بسؤال وجهه إلى والدته أراد أن يعرف سر ما حدث له، فجاء ردها بأنه حادث بسيط وقع له عند عبوره الشارع.





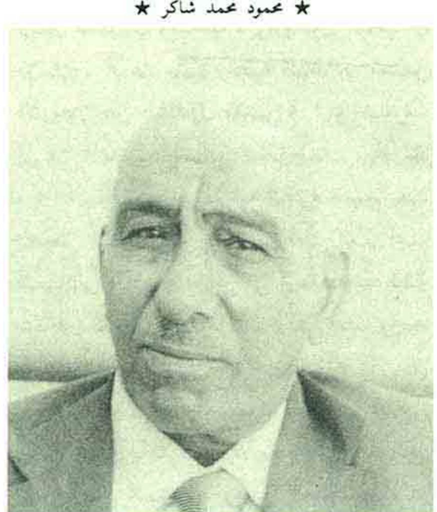
طبقات الشعراء

تأليف: محمد بن سلام الجمحي * بقلم: د. كامل السوافيري

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري، ولد بمدينة البصرة سنة ١٣٩ هجرية، وتلق العلم على أيدي شيوخ الحديث والأدب، وأخذ عنه شيوخ العلم والأدب والحديث. وممن تلق العلم عنهم: الخليل بن أحمد، وسيبويه، ويونس بن حبيب، وأبو عبيدة، والأصمعي.

وممن أخذ العلم عنه في عصره الإمام أحمد بن حنبل، وابنه عبد الله، وأبو العباس ثعلب، وأبو حاتم، والرياشي، والمازني، وأبو خليفة الجمحي ابن اخته الذي روى عنه كتاب «طبقات الشعراء». وتضفي كتب التراجم على محمد بن سلام هالة من التقدير والإكبار حين تنعته بأنه أحد الإخباريين والرواة، وبأنه من النحاة واللغويين. كما تؤكد انحداره من بيت توارث أهله العلم والفضل والأدب والرواية.

* محمود محمد شاكر *



ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره ابيضت لحيته ورأسه، ويذكر أحد معاصريه أنه قدم عليهم سنة ٢٢٢ هـ، فاعتل علة شديدة فما تخلف عنه أحد وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم وكان من جملة من أهدي إليه **ابن ماسويه**، فلما جسَّه ونظر إليه قال له: لا أرى بك من العلة ما أرى بك من الجزع، وإني أرى في عرقك من الحرارة ما إنْ سلمت من العوارض بلَّغك عشر سنين. فوافق كلامه قدراً، وعاش ابن سلام بعد ذلك عشر سنين حيث وافته منيته سنة اثنتين وثلاثين ومائتين هجرية، وهي السنة نفسها التي رحل فيها الخليفة الواثق عن دنيانا، وبويع فيها المتوكل، ورحل ابن سلام عن الدنيا بعد أن عمّر وعاش ثلاثاً وتسعين سنة، إذ كان مولده في سنة ١٣٩ هـ، وكانت وفاته في سنة ٢٣٢ هـ.

اسم الكتاب وطبعاته

في الصفحة السابعة من مقدمة كتاب «طبقات فحول الشعراء» الذي نشرته **دار المعارف** بشرح وتحقيق العالم الجليل الأستاذ **محمود محمد شاكر** يقول المحقق:

«طبع كتاب «طبقات الشعراء» أول مرة

طبقات الشعراء

بمطبعة بريل في مدينة **ليدن** (سنة ١٩١٣ ـ ١٩١٦ م)، تولى نشره **يوسف هل** وقدم له بالألمانية، وذكر أنه طبع هذه النسخة عن نسختين من كتب شيخ العربية **محمد محمود بن التلاميد التركزي** الشنقيطي، الأولى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٦، أدب ش)، كتبت في سنة ١٣٠٣ هـ، نقلاً عن نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف بك **بالمدينة المنورة**، والأخرى منقولة عنها أيضاً، وكتبت في سنة ١٣١٠ هـ، محفوظة بدار الكتب برقم (٣٧، أدب ش).

ثم نشر الكتاب نفسه **حامد عجان الحديد الكتبي**، وطبعه في مطبعة السعادة في القاهرة في سنة ١٩٢٠ م».

ونص النسختين السابقتين يختلف عن نص النسخة التي شرحها المحقق لأنه مختصر أو ناقص مما حدا به أن يصحح اسم الكتاب فيجعله «طبقات فحول الشعراء» بدلا من «طبقات الشعراء» أولا، وثانياً لأنه ينقل أخبار **أبي الفرج الأصفهاني مؤلف كتاب الأغاني** التي أسندها عن **أبي خليفة** إلى ابن سلام في مواضعها التي ظن أنها أحق بها، وثالثاً أن ينقل الأخبار التي رواها **المرزباني** في كتابه «الموشح» عن **إبراهيم بن شهاب عن أبي خليفة** عن ابن سلام، ورابعاً أن ينقل أخباراً أخرى عن **أبي القاسم الزجاجي** في أماليه بعد أن محص الأدلة على صحة ما ذهب إليه، وبهذه التصحيحات والإضافات أصبح كتاب «طبقات فحول الشعراء» في ستمائة صفحة من القطع الكبير، وأصبح يعادل مثلي كتاب «طبقات الشعراء» في طبعاته السابقة التي تحدثنا عنها. ومن الأسباب التي جعلت المحقق يعدل عن تسمية الكتاب طبقات الشعراء إلى طبقات فحول الشعراء ما يلي:

١ ـ أن اسم طبقات الشعراء لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة، فإنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء بل اختار عدداً معلوماً أربعين شاعراً في طبقات الجاهليين، ومثلهم في طبقات الإسلاميين، وأربعة في طبقة أصحاب المراثي، واثنين وعشرين في طبقة شعراء القرى العربية، وثمانية في طبقة شعراء اليهود.

٢ ـ أنه رأى ابن سلام قد استخدم اللفظ المطابق لمعنى ما أراد من كتابه إذ قال في ص ٢٢: فاقتصرنا من **الفحول** المشهورين على أربعين شاعراً.

٣ ـ أنه رأى أبا الفرج قد استخدم الكلمة في موضعين أحدهما في ترجمة **المخَبَّل السعدي** والأخرى في ترجمة **عبيد بن الأبرص**.

وفي سنة ١٩٧٤ م، أعاد المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر نشر كتاب طبقات فحول الشعراء في سفرين كبيرين طبعتها مطبعة المدني بالقاهرة، وذكر أنه بعد أن ظفر بصورة المخطوطة قرأ اسم الكتاب طبقات فحول الشعراء، وقال: إن ابن سلام كان من أهل جيل يحسنون اختيار ألفاظهم للدلالة على معانيهم ومقاصدهم حيث نظر في الشعراء المشهورين المعروفين في الجاهلية والإسلام والمخضرمين، فاقتصر على ما لا يجهله عالم بأمر العرب فنزلهم منازلهم، ثم عاد مرة أخرى فاصطفى من الشعراء المشهورين المعروفين **الفحول** منهم.

ثم عاد مرة ثالثة فاصطفى من هؤلاء **الفحول** أربعين شاعراً في الجاهلية، **وأربعين** شاعراً في الإسلام. ثم عاد مرة رابعة فنظر في **شعر الأربعين من الفحول** فانتهى في تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج سماها طبقات. ثم عاد مرة خامسة فألّف من **تشابه شعره منهم** بعد الفحص والرواية عمن مضى من أهل العلم أنهم أشعر العرب **طبقة فجعل** كل أربعة منهم طبقة متكافئين معتدلين ونبّه على أن تقديمه اسم واحد منهم على صاحبه ليس حكماً له بالتقدم على من يليه في طبقته، فهم جميعاً سواء ولكن لا مناص من أن يبتدئ بأحد هؤلاء الأربعة فابتدأ به غير مقدم له على أصحابه. وهذا الاحتراس وحده دليل على شدة التحرج في هؤلاء الشعراء، وهو لا يتحرج هذا التحرج إلا إذا كان لهؤلاء الشعراء صفة تميِّزهم عن سائر شعراء العرب، وهذه الصفة ولا ريب هي **أنهم فحول طبقتهم** في طبقات الشعر التي أشار إليها[1].

وحرصاً من المحقق على أن يجنب العلماء ما وقع من أخطاء في الطبعة الأولى، ودعوتهم إلى اعتماد الطبعة الثانية قال في ص ٧٠ من مقدمة الطبعة الثانية ما نصه بالحرف الواحد:

مقدمة هذه الطبعة «**وكنت أتوهم أن الذي نقلته مطابق كل المطابقة لما في المخطوطة التي غاب عني أصلها فلما جاءت مصورة المخطوطة وقابلتها بما طبعته في سنة ١٩٥٢ م، تبيَّن لي أني وقعت في أخطاء ومن أجل هذا فأنا لا أحل لأحد من أهل العلم أن يعتمد بعد اليوم على الطبعة الأولى من طبقات فحول الشعراء مخافة أن يقع بي في زلل لا أرضاه له، وأضرع إلى كل من نقل عن هذه الطبعة شيئاً أن يراجعه على هذه الطبعة الجديدة لينفي عن نفسه وعمله العيب الذي احتملت أنا وحدي وزره**»[2].

وفي الطبعة التي صدرت سنة ١٩٧٤ م، وجدنا المحقق الباحث قد أضاف للطبعة السابقة إضافات جديدة غيَّرت من ترتيب فقرات الكتاب، وترقيم تلك الفقرات. ونكتفي بالفقرة التي كان رقمها في طبعة ١٩٥٢ م، (٢٦) وصار رقمها في طبعة ١٩٧٤ م، (٣١)، وهي التي يقول فيها ابن سلام: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء»[3].

موضوع الكتاب

يقول ابن سلام: «ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها، إذ كان لا يُحاط

بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب » .

« وفصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء » ، « وقد اختلف الناس والرواة فيهم فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ في كلام العرب والعلم بالعربية إذا اختلف الرواة فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين » .

إذن فالغاية التي قصد إليها ابن سلام من كتابه أو الموضوع الأساسي هو أن يتحدث عن الشعراء ، ويصنفهم ، وينزلهم منازلهم ، ويؤلف ممن تشابه شعره مع غيره طبقة ، ويحتج لكل شاعر بما وجد له من حجج ، وما قال فيه العلماء وأهل البصر في الشعر .

وتحقيقاً لذلك قسم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين وجعل أهل الجاهلية في شعر طبقات كل طبقة من أربعة شعراء **فالطبقة الأولى :**

امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى . والثانية : أوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكعب بن زهير ، والحطيئة . والثالثة : النابغة الجعدي ، وأبو ذؤيب الهذلي ، والشماخ بن ضرار ، ولبيد بن ربيعة . والرابعة : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدي بن زيد . والخامسة : خداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وأبو يزيد السعدي ، وتميم بن مقبل . والسادسة : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة بن شداد ، وسويد بن أبي كاهل . والسابعة : سلامة بن جندل ، والحصين بن الحمام ، والمتلمس ، والمسيب بن علي . والثامنة : عمرو بن قميئة ، والنمر بن تولب ، وأوس بن غلفاء الهُجيمي ، وعوف بن عطية . والتاسعة : ضابئ البرجمي ، وسويد بن كراع ، والحويدرة الذبياني ، وسحيم عبد بني الحسحاس . والعاشرة : أمية بن حرثان ، وحريث بن محفض ، والكميت بن معروف ، وعمرو بن شأس .

واتبع ابن سلام طبقات فحول شعراء أهل الجاهلية بثلاث طبقات هي أولا : طبقة **أصحاب المراثي** الذين عد منهم **متمم بن نويرة ، والخنساء ، وأعشى باهلة** . ثانياً : طبقة **شعراء القرى** العربية وهي خمس : **المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين** . ثالثاً : طبقة **شعراء اليهود** .

وانتقل ابن سلام بعد ذلك إلى طبقات الإسلام ، وجعلهم كأهل الجاهلية من عشر طبقات كل طبقة أربعة رهط متكافئين متعادلين .

الطبقة الأولى : من فحول الإسلام هم : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والراعي النميري .

الطبقة الثانية : البعيث ، والقطامي ، وكثير عزة ، وذو الرمة .

الطبقة الثالثة : كعب بن جعيل ، وعمر بن أحمر الباهلي ، وسحيم الرياحي ، وأوس بن مغراء القريعي .

الطبقة الرابعة : نهشل بن حري الدارمي ، وحُميد بن ثور الهلالي ، والأشهب بن رميلة ، وعمر بن لجأ التيمي .

الطبقة الخامسة : أبو زبيد الطائي ، والعجير بن عبد الله السلولي ، وعبد الله بن همام السلولي ، ونفيع بن لقيط الأسدي .

الطبقة السادسة : عبيد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص الأنصاري ، وجميل بن معمر ، ونصيب .

الطبقة السابعة : المتوكل الليثي ، ويزيد بن ربيعة بن مفرغ ، وزياد الأعجم ، وعدي بن الرقاع .

الطبقة الثامنة : عقيل بن علفة المري ، وبشامة بن الغدير ، وشبيب بن البرصاء ، وقراد بن حنش .

الطبقة التاسعة : الأغلب العجلي ، وأبو النجم العجلي ، والعجاج بن رؤبة ، ورؤبة بن العجاج ، ويلاحظ أن الأربعة رجاز .

الطبقة العاشرة : مزاحم بن الحارث العقيلي ، ويزيد بن الطثرية ، وأبو دؤاد الرؤاسي ، والقحيف بن سليم العقيلي .

منهجه وموازينه النقدية

يعد ابن سلام أول ناقد متخصص في القرن الثالث الهجري ، ويعد أول من أفرد النقد الأدبي بدراسة مستقلة تقوم على أسس ، وتخضع لمنهج ، وفقاً لموازين ومعايير خاصة ، وكتابه طبقات الشعراء أو طبقات فحول الشعراء هو أول كتاب نقدي وصل إلينا ، وكان النقد الأدبي قبل ابن سلام موضع عناية النحاة ورواة الأخبار ، وعلماء اللغة ، ومؤرخي الأدب فجاء ابن سلام وجعل من الناقد الرجل الوحيد المتخصص في تقويم الشعر والبصر به والذي من حقه وحده أن يصدر حكمه على الشعر بالجودة أو الرداءة فيقبل حكمه .

والناقد ليس رجلاً نحوياً ، ولا راوية للمأثور من الأدب والأخبار ، ولا قطباً من أقطاب اللغة يعرف معاني المفردات كما أوردتها المعاجم ، ولا عالماً بالصرف أو العروض فحسب ولكنه كل أولئك وألزم من ذلك وقبله بشيء ليس في الكتب وهو الذوق المرهف والقلب الحساس ، وقديماً **قال الجاحظ : « طلبت الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام**

طبقات الشعراء

والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب» .

وقد اعتمد منهج ابن سلام في نقده للشعر على الدعامات الآتية :

● **الأولى :** التأكد من صحة نسبة النص إلى قائله وهذه مسألة بالغة الأهمية في القرنين الثاني والثالث الهجريين اللذين عاش فيهما ابن سلام ، وأخذ العرب يراجعون الشعر دون أن يكون أمامهم دواوين مدونة ، أو صحائف مكتوبة مما دفع بعض الرواة ليتزيدوا في الأشعار ، وينتحلوا الشعر على ألسنة بعض الشعراء .

ومن المبادئ الهامة في النقد أن يتأكد الناقد من صحة نسبة النص للشاعر ليستطيع الحكم على شعره بالقوة أو الضعف على ضوء أن النص منسوب للشاعر حقيقة وليس منحولا عنه ، ولا مزيفاً عليه .

● **الثانية :** أنه جعل للشعر صناعة لا يتقنها إلا أهل العلم بها كما يتقن كل صاحب صناعة صناعته ، وكما يميِّز الصراف الجيد من الرديء من الدنانير والدراهم . وفي ذلك يقول : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ، وما تثقفه الأذن وما تثقفه اليد ، وما يثقفه اللسان» وينهي ذلك بقوله : «فكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به» .

● **الثالثة :** أنه فطن إلى الشروط التي يجب أن تتوافر في الناقد من بصر بالشعر ، وعلم بأبوابه ومسالكه ، وذوق مصفى ودُربة ومعرفة ، يقول : «قال قائل **لخلف [الأحمر]** : إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . فقال له : إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته فقال لك الصراف إنه رديء هل ينفعك استحسانك له» ؟ وهذا يعني أن النقَّاد هم صيارفة الشعر الذين يملكون وحدهم الحكم عليه ، وتمييز الجيد والرديء منه .

● **الرابعة :** أنه حين صنف الشعراء في طبقات ، وفاضل بين هذه الطبقات في تقديم طبقة ، وتأخير أخرى لم يخضع في هذا التصنيف لهواه ، وإنما راعى في التصنيف والتفاضل ثلاثة مبادئ أو موازين هي : الزمان والمكان والفنون الشعرية ، فمن حيث الزمان قسمهم إلى أهل جاهلية وأهل إسلام ، ومن حيث المكان قسمهم إلى شعراء للعرب بعامة ، وشعراء لأقاليم الخاصة جمعهم في باب شعراء القرى ، ومن حيث تفضيل طبقة على طبقة وشاعر على شاعر جعل من موازينه في المفاضلة أولا كثرة شعر الشاعر ، ولم يقف عند الكم وحده وإنما نظر إلى الكيف حيث اشترط ثانياً جودة شعر ذلك الشاعر بعد كثرته ، واشترط ثالثاً تعدد الأغراض والفنون الشعرية التي تناولها الشاعر في شعره ، فمن قال في الفخر والحماسة والمدح والرثاء ، والغزل والنسيب مقدم على من أجاد في المديح فحسب أو في الرثاء فقط .

فضله وريادته

بقي بعد ذلك واجب الإشادة بجهود محمد بن سلام الجمحي في النقد الأدبي عند العرب ، وتقرير أنه كان رائداً في ذلك الطريق الصعب ، وأنه أول ناقد اختط لنقده منهجاً ووضع موازين ومعايير للمفاضلة بين الشعراء ، وأنه كان القدوة للنقَّاد الذين جاءوا من بعده ، فأخذوا عنه واستفادوا من مناهجه .

كان ابن سلام أول ناقد عربي وضع منهجاً لنقده ، وتنبه قبل أكثر من ألف عام إلى ما تنبه إليه النقَّاد في العصر الحديث من الإنجليز والفرنسيين والألمان الغربيين بوجه عام الذين رفعوا من شأن الناقد «**هيبوليت تين**» لأنه تحدث في نقده عن الزمان والمكان والبيئة .

ونحن الآن في نقدنا الحديث عندما نوازن بين شاعر وشاعر لا نعدو معايير ابن سلام . فنحن عندما نفاضل بين الشعراء نضع أمامنا أولا : وفرة شعر الشاعر أو كثرته . وثانياً : قوة الشعر أو جودته من الناحية الفنية التي تشمل الصياغة والخيال والفكرة والعاطفة . وثالثاً : اتساع طاقة الشاعر ، وإجادته في الغزل والوصف والطبيعة والتأمل الذاتي أو ما سماه ابن سلام تعدد الفنون والأغراض الشعرية .

ومما يرفع من مكانة ابن سلام في نقده لفحول الشعراء الذين عرض لهم أنه كان يسوق لكل شاعر طائفة من قصائده الجيدة ، وأبياته المقلدة أي حكمه وأمثاله التي يستشهد بها ، وينقل أقوال من سبقوه من العلماء والأدباء والرواة الذين استجادوا شعره ، وتحدثوا عنه ولعل ذلك هو السبب الذي حدا به لعدم ذكر الشعراء الذين عاشوا معه في عصره أمثال **مروان بن حفصة وأبي نواس وأبي تمام** .

ولعلنا قد سلطنا الأضواء في هذه السطور على رائد النقد الأدبي عند العرب محمد بن سلام الجمحي ، وعلى كتابه العظيم «طبقات فحول الشعراء» أول كتاب في النقد وصل إلينا ، ووفيناه بعض ما يستحقه من إعجاب وتقدير .



الهوامش

(١) طبقات فحول الشعراء ، ط ٢ ، السفر الأول ، المقدمة ، ص ص ٢٢ ــ ٢٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني ، القاهرة سنة ١٩٧٤م ، المقدمة ، ص ٧٠ .

(٣) ص ٢٤ ، مطبعة المدني .



أجهزة كهربائية



أميتر Ammeter :

جهاز يُستخدم لقياس شدة التيار الكهربائي الذي يمر في الأجهزة أو الدوائر الكهربية ، وهو يوجد في عدة أنواع ، أشهرها النوع ذو القلب الحديدي المتحرك ، الذي يتكوّن من ملف يرتكز بين قطبي مغناطيس دائم ، وحينما يسري التيار الكهربي المراد قياس شدته خلال الملف ، فإنه يؤدي إلى إنشاء مجال يتبادل الفعل مع مجال المغناطيس الدائم ، ويركب بالملف المتحرك مؤشر يبيّن مقدار شدة التيار بالأمبير ، وذلك على تدريج معاير يركب على سطح الجهاز ، وتكون قراءة التدريج إما بالأمبير أو مضاعفاته أو كسوره ، وعادة ما يوصل الأميتر على التوالي في الدائرة الكهربية .

أومتر Ohmmeter :

جهاز يُستخدم على نطاق واسع في مجال **الهندسة الكهربية** ، وذلك لقياس مقاومة الموصلات والمواد العازلة لمرور التيار فيها ، وتكون قراءة مقياسه إما بالأوم أو مضاعفاته أو كسوره .



بيرومتر Pyrometer :

جهاز يُستخدم **لقياس درجات الحرارة العالية** مثل درجات الأفران المستخدمة في الصناعات الكيميائية والتعدينية ، وتوجد منه بعض الأنواع التي تعمل بوسائل كهربية **كالمزدوجات الحرارية** Thermocouples ، والتي يتم توصيلها بجهاز **فولتميتر** لقياس درجات الحرارة بصورة مباشرة .



جهاز شائع استخدامه **لقياس سرعة الدوران في المحركات والآلات الكهربية** ، وذلك عن طريق عد لفات الدوران في الدقيقة الواحدة .

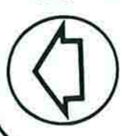
ثرموبيل Thermopile :

جهاز يُستخدم **لقياس درجات الحرارة** في الأماكن التي يصعب استخدام الترمومترات فيها ، وهو يتكوّن من عدد من **المزدوجات الحرارية** تتكوّن من قضبان متتالية من **الأنتيمون والبزموت** متصلة ببعضها البعض بكيفية مناسبة وموصلة **بجلفانومتر** ، ويقوم الثرموبيل بتحويل الحرارة إلى طاقة كهربائية بصورة مباشرة يمكن قياسها بواسطة الجلفانومتر .



جرس كهربي :

جهاز صوتي له مطرقة تتحرك بالتأثير **الكهرومغناطيسي** عند تمرير التيار الكهربي في الجهاز ، وحين تصطدم المطرقة بطاسة موجودة في الجهاز فإنها تحدث صوتاً ، وباستمرار تدفق التيار ، يستمر رنين الجرس .





جهاز قياس حثـي Induction Instrument :

جهاز يُستخدم **لقياس التيار الكهربـي المتردد**، تعتمد نـظرية تشغيله على التأثير **الحثي** المتبادل بين التيارات الـدوامية المتـولدة في عضـو دوار وبين المجالات المغناطيسية المتغيـّرة الناتجة من مغناطيسين كهربيين يمـر بملفاتها تياران مترددان، بينهما إزاحة في الطور، ومن أمثـلة هـذا الجهـاز **الواطمتر الحثي والعداد الحسي**.



خلية قياسية Standard Cell :

يطلق عليها أيضاً اسم **خلية الكادميوم** Cadmium Cell، وهـي خلية ابتدائية تتميـّز بأن قوتها الدافعة الكهربية تـظل ثـابتة لفـترة طـويلة تحت ظروف التشغيل المتغيرة، فهـي تعطي جهداً ثابتاً مقـداره ١,٠١٨٦ فولت عند درجة حرارة ٢٠ مئوية، ولهذه الخليـة مقـاومة داخليـة كبـيرة جداً، ويجب ألا يؤخذ منها إلا تيارات كهـربية متنـاهية في الصـغر، وفي حدود أجزاء من المليون من الأمبـير، وقد أطلـق عليهـا اسـم الخليـة القياسية نظراً لاستخدامها في جميع مجالات البحث العلمي، وذلك لمقارنة أجهزة القياس والتجارب بها.



دينامو (مولـّد كهربـي) :

آلة **لتحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية**، والمبـدأ الرئيسي لتشـغيل أي مولـّد كهربـي يـرتكز على حقيقـة أن أي مـوصل كهربائي يتحرك في مجال مغناطيسي فإن الموصل يتولـّد فيه تيـاراً كهـربياً، والموصلات التي يولـّد فيها التيار تلف على هيئة ملفات داخـل مشـقبيات موجودة بعضو الإنتاج (بوبينة) المصـنوع مـن رقـائق والمركب في محملـين يسمحان له بالدوران في المجال المغناطيسي بسرعـة عـالية، ويـوجد المجـال المغناطيسي بين قطع الأقطاب المثبتة في الإطار الحديدي للمولـّد، ويمـكن استخدام أي نوع من المحركات لإمـداد المولـّد الكهربـي بـالقوى الـلازمة لإدارته، وهنـاك وسائل مختلفة تستخدم لجمـع الـكهرباء النـاتجة داخـل المولـّد، فإذا كان التيار الناتج تياراً مبـاشراً، تقـوم حلقـة فصـل Commutator بإخراج التيار الكهربـي من المولـّد، وفي حالة توليد التيار المتردد، تستخدم حلقات الانزلاق والفـرش الـكربونية لجمـع التيـار وإخراجه.



جهاز القياس ذو القصبة المهتزة :

Vibrating – Reed Electrometer

جهاز يُستخدم **في قياس التيار الكهربـي المتردد**، وهـو مـزوّد بقصبة مهتزة، وتعتمد حساسية هذا الجهـاز على الفـترة الحـرة لـلاهتزاز الميكانيكي للقصبة، والتي تتفـق مـع فـترة التيـار الكهربـي المتردد المراد قياسه.



رادار Radar :

تعتبر كلمة (رادار) اختصـاراً للعبـارة الإنجلـيزية Radio Detecting and Ranging التي تعني «**الـكشف وتحـديد الموقـع بـالراديو**»، ويُستخدم هذا الجهاز في الكشف عن الأجسـام البعيـدة وتحـديد مـواقعها واتجاه حركتها، وذلك بإرسال مجموعة من موجات الراديو الدقيقة المتناهية الصغر في مجال يتراوح طوله بين بضعة سنتيمترات ومتر واحـد، فيعـكس الهدف الحزمة، ويستخدم مبين أنبوبة أشعة إكس كاثـودا لقيـاس الـوقت الذي تستغرقه الموجات منذ لحظة إرسالها إلى حين استقبال صـداها، ولما كان اتجاه الموجات وسرعة سريانها معلوماً، يمكن حسـاب بعـد الهـدف، ويتم إرسال مئات من نبضات الموجـة القصـيرة في كل ثـانية، في الـوقت الذي يدور فيه **هوائي Antenna** مما يسـمح لعـامل الـرادار أن يغـطي مساحات كبيرة.

ويُستخدم الرادار في بعض الطائرات المقاتلة، وذلك لتحديد مـواقع الطائرات التي تدنو منه، وكذلك يُسـتخدم في المطارات لتـوجيه أجهـزة هبوط الطائرات في الأيام التي لا تتضح فيها الـرؤية، نتيجـة للضبـاب أو العواصف الرملية، كما يمكن استخدامه لتحديد ارتفـاع الـطائرات، وفي رسم خرائط طوبوغرافية للأرض، ويرجع الفضل في اختراع هـذا الجهـاز

إلى المخترع البريطاني الشهير **سير روبرت واطسن واط WATT** .



مزدوجة حرارية Thermoconple :

عنصر حسّاس **للتغيّر في درجات الحرارة** ، يتكوّن من سلكين معدنيين أو سبيكتين مختلفتين كالصلب ومادة الكونستنتان Constantan ، أو سبيكة الكروم والألمنيوم ، ويتصل السلكان مع بعضهما البعض من أحد الأطراف ، وتسمى نقطة التقائهما بالوصلة الساخنة Hot junction بينما يبقى الطرفان الآخران للسلكين غير متصلين ، ولذلك يمكن توصيلهما بأحد أجهزة القياس ، كمقياس **فرق الجهد الكهربي** Potentiometer الذي يمكنه قياس فرق الجهد أو القوة الدافعة الكهربية التي تتكوّن بين طرفي السلك عندما توضع الوصلة الساخنة في الوسط المراد قياس درجة حرارته ، سواء أكان هذا الوسط سائلاً أم غازاً ، حيث يتولّد تيار كهربي في الدائرة نتيجة لتغيّر درجة الحرارة عند نقطة اتصال المعدنين المختلفين معاً ، **وتعتبر المزدوجة الحرارية من أشهر أجهزة قياس درجة الحرارة المستخدمة بكثرة في كثير من الصناعات البترولية والكيميائية** ، وهي تركب عادة على خطوط المواسير التي ينتقل خلالها زيت البترول أو الغاز الطبيعي أثناء عمليات المعالجة أو التكرير ، ويتم توصيلها عادة بجهاز قياس فرق الجهد الكهربي الذي يمكن معايرته بحيث تكون القراءات الناتجة منه بدرجات الحرارة المئوية أو الفهرنهيتية .



سيكلوترون Cyclotron :

جهاز **يُستخدم في منشآت البحوث الذرية** ، اخترعه العالم **أ . و . لورنس** ، وذلك لإكساب الجسيمات الذرية الدقيقة **كالبروتونات والديوتيرونات** عجلة تزايدية تعطيها طاقات عالية ، بحيث ترسم حلزوناً في مجال مغناطيسي ، وذلك بواسطة مصدر كهربائي لتيار متردد يغذي إلكترودين ، ويكون التردد بحيث تنعكس قطبية الإلكترودين في اللحظة التي تصل فيها الجسيمات إلى منتصف المسافة حول دائرتها .



شاحن بطاريات Battery Charger :

وحدة **لشحن البطاريات** تتكوّن من مصدر تيار مستمر أو مصدر تيار متردد ، ومقومات لتحويل التيار المتردد إلى تيار مستمر ، ومقاومته متغيّرة لضبط تيار الشحن اللازم للبطارية ومرحل زمني لتحديد الزمن اللازم لشحن البطاريات ، وأجهزة لقياس التيار والجهد الكهربي .



صمّام ثنائي Diode :

صمّام إلكتروني اخترعه المهندس الإنجليزي **جون أمبروز فلمنج** (١٨٤٩ ــ ١٩٤٥ م) ، وهو يتكوّن من آنود واحد وكاثود واحد فقط ، والكاثود إما أن يكون فتيلاً من التنجستن الثوريومي في الأنواع التي تسخن بصورة مباشرة ، أو أن يكون أسطوانة من النيكل المطلي بالأكسدة في الأنواع التي تسخن بصورة غير مباشرة ، وذلك عن طريق إمرار تيار كهربائي يؤدي إلى انطلاق الإلكترونات الحرة من سطح الكاثود ، ويجذب الآنود هذه الإلكترونات ، وبذلك ينساب التيار الكهربي من الكاثود إلى الآنود ، ولا يسمح الصمّام الثنائي إلا بمرور التيار الكهربي في هذا الاتجاه فقط ، وقد اخترعت بعد ذلك أنواع أخرى من الصمّامات ، كانت كلها تطويراً للصمّام الثنائي ، من أمثلتها **الصمّام الثلاثي** Triode **والصمّام الرباعي** Tetrode **والصمّام الخماسي** Pentode .



مضخم Amplifier :

جهاز كهربائي **يحوّل الإشارات الكهربية الصغيرة الداخلة إليه إلى إشارات كبيرة** لا تختلف في شكلها عن شكل الموجة الداخلة ، ويتكوّن المضخم عادة من دائرة كهربائية واحدة أو أكثر لصمّام **ثرميوني** كالصمّام الثنائي ، وهناك مضخم يعرف باسم **المضخم المغناطيسي** ، يُستخدم للتحكّم في مفاتيح الإضاءة الأوتوماتيكية ومجموعات التحكّم الميكانيكية .

وينقسم مضخم جهاز الاستقبال بالراديو إلى قسمين أو ثلاثة أقسام : **مكبر التردد اللاسلكي** الذي يضخم قوة إشارات التردد اللاسلكي ، **ومكبر التردد الأوسط** في بعض أنواع أجهزة الاستقبال الخاصة ، **ومكبر التردد السمعي** الذي يغذى به صمّام الخرج بإشارات التردد السمعي أو الصوتي ، وقد **استخدمت المضخمات على نطاق واسع كإحدى وسائل تضخيم الإشارات الكهربية والسمعية في معظم خطوط الاتصالات التليفونية .**



محوّل الطاقة Transducer :

جهاز **يُستخدم لتحويل الإشارة الواصلة إليه من صورة إلى أخرى** ، مثل النوع الذي يحوّل إشارة ضغط الهواء الواصلة إليه إلى إشارة كهربية يمكن استخدامها لتشغيل مضخة أو صمّام يتحكّم في سريان سائل أو غاز يتدفق خلال ماسورة مثلاً ، ومن أمثلة محولات الطاقة أيضاً الميكروفون الذي يقوم بتحويل التغيّر في مستوى الصوت إلى تغيّر في كمية الطاقة الكهربائية ، والجرس الذي يقوم بتحويل الطاقة الكهربائية الواصلة إليه إلى إشارة صوتية مسموعة .



عدّاد الأمبير ساعة :

عدّاد يُستخدم **لقياس كمية كهرباء التيار المستمر** بالأمبير ساعة ، وهو يمكن استخدامه لقياس **قيمة الطاقة** التي يتم استهلاكها بالكيلوواط ساعة مباشرة ، وذلك حين يوضع على مصدر كهربائي ذي جهد ثابت .



مفتاح غماز Tappet Switch :

مفتاح كهربائي يتم تشغيله آلياً بواسطة حركة الآلة التي يتحكّم في إدارتها ، وهو غير مفتاح التوقيت Time Switch ، فالأخير يتضمن ساعة أو آلة مشابهة يمكن ضبطها **بحيث توصل أو تقطع دائرة كهربية في وقت معيّن .**



فلتامتر Voltameter :

جهاز يُستخدم **لقياس شدة التيار الكهربي** ، يعتمد تشغيله على التحليل الكهروكيميائي ، وهو نوعان : الأول : **الفلتامتر الحجمي** وفيه تقاس شدة التيار الكهربي بدلالة حجم المادة الناتجة عن عملية التحليل . والثاني : **الفلتامتر الوزني** وفيه تقاس شدة التيار بدلالة وزن كمية المادة الناتجة عن التحليل الكهربي .

فلتمتر Voltmeter :

جهاز يُستخدم **لقياس فرق الجهد الكهربي بين نقطتين ، أو لقياس القوة الدافعة الكهربية** ، وهو إما أن يكون من النوع **الكهرواستاتيكي** أو من النوع **ذي الصمّام** ، وهو عموماً يزوّد بمقياس مدرج بالفولت أو مضاعفاته أو كسوره ، ويتكوّن من أميتر ذي ملف متحرك موصل على التوالي مع مقاومة .



قابس ومقبس Plug and Socket :

وسيلة مكوّنة من جزءين : أحدهما قابس والثاني مقبس ، ولكل منهما ملامسات معدنية مرتبة بحيث تعشق بعضها ببعض ، لتكون وسيلة **يمكن استخدامها لفصل أو وصل الأجهزة الكهربية بمصادر التيار الكهربائي .**



كولومتر Coulometer :

خلية إلكتروليتية **تُستخدم لقياس كمية الكهرباء** ، وذلك بمعلومية كمية المادة الناتجة عن التحليل الكهروكيميائي ، ويطلق على هذا الجهاز اسم **فلتامتر .**

كاميرا تحليلية Image dissector :

كاميرا إلكترونية **تُستخدم في تلفزة الأفلام** حيث يكون مصدر الضوء على درجة عالية من التركيز .



لوحة مفاتيح التحكّم Control Board :

لوحة توزيع تحتوي على عدة مفاتيح وأجهزة بيان مناسبة **للتحكّم في أجهزة الوصل والقطع** المركبة في مكان بعيد عنها ، كما قد تشتمل أيضاً على وسائل تشغيل مختلفة وعلى أجهزة القياس وغيرها ، وقد تزود برسم توضيحي ، يبيّن توصيلات الدائرة الكهربية التي يتم التحكّم فيها .



محوّل كهربي Transformer :

وسيلة تُستخدم **لرفع أو خفض التيار أو الجهد المتردد أو المتقطع** ، وهو يتكوّن أساساً من ملفين أو دائرتين متشابكتين مغناطيسياً ، أي لهما مجال مغناطيسي مشترك ، عن طريق قلب حديدي في معظم الأحيان ، وهو يصمّم بحيث يكون قادراً على تحويل التيار الكهربي المتردد ذي الشدة والجهد الكهربائي المعروفين إلى تيار آخر يختلف عنه في الشدة والجهد ، ولا يمكن تحويل التيار المستمر إلا إذا تم قطعه بواسطة جهاز آخر مماثل ، ويكون التيار الناتج عن المحوّل من النوع المتردد دائماً ، كما يطلق اصطلاح (المحوّل) أيضاً على الجهاز الكهربي الذي يُستخدم لنقل الطاقة من دائرة إلى دائرة أخرى عند نفس التردد .

مرحل Relay :

وسيلة كهربية **يمكنها أن تفتح أو تغلق الملامسات الكهربائية** التي عن طريقها يتم التحكّم في فتح أو إغلاق دائرة كهربية ، وبهذه الطريقة ، يمكن استخدام المرحل للتحكّم في دائرة كهربية ما ، بواسطة إحداث تغيّر في نفس دائرة المرحل ، وتعتبر المرحلات من الأجهزة **الشائع استخدامها في عمليات التحكّم في كثير من الأجهزة والآلات الكهربائية ، خاصة أجهزة التحكّم في التدفق والضغط ودرجات الحرارة وغيرها .**



منظم الجهد Voltage Regulator :

جهاز **يُستخدم لتغيير الجهد الكهربائي في دائرة أو تنظيمه أوتوماتيكياً** بحيث يبقى ثابتاً عند قيمة معينة مرغوبة ، من أشهر أنواعه **المحوّل الذاتي والمنظم ذو الملف المتحرك .**



هيدرومتر Hydrometer :

جهاز يُستخدم **لبيان ما إذا كانت البطاريات مشحونة كهربياً أم لا** ، وهو يُستخدم عادة مع بطاريات الرصاص والحامض - Lead Acid Battery ، حيث يقيس كثافة الإلكتروليت النوعية ، والإلكتروليت هو محلول حامضي أو قلوي يتفكّك إلى جسيمات مشحونة كهربياً ويكون قادراً على توصيل التيار الكهربي ، أما الكثافة النوعية فهي النسبة بين كثافة سائل ما وكثافة الماء ، ويتكوّن الهيدرومتر عادة من أنبوبة زجاجية مدرجة مغلق أحد طرفيها ، بينما يتصل الطرف الآخر بمستودع من المطاط يوضع في السائل المراد قياس كثافته النوعية ، وهناك نوع آخر يحتوي على عوامة داخلة بحيث ترتفع أو تنخفض تبعاً لكثافة السائل النوعية .



واطمتر Wattmeter :

جهاز قياس **يُستخدم لبيان قيمة القدرة الكهربية** ، وهو يزود بمقياس مدرج بالواط أو مضاعفاته أو كسوره ، وفي حالة استخدامه في الدوائر الكهربية للتيار المستمر يجب أن تكون قراءات الجهاز متناسبة مع حاصل ضرب شدة التيار الكهربي في الجهد ، أما في الدوائر الكهربية للتيار المتردد ، فعندئذ يجب أن يؤخذ في الاعتبار عامل القدرة Power factor الذي يساوي النسبة بين القدرة الكلية بالواط إلى الفولت أمبير الكلي ، (والفولت أمبير) هو وحدة القدرة الظاهرية ويساوي حاصل ضرب الجهد في التيار .

مناقشات

وتعليقات

امرأة تحكم اليمن .. تعقيب على تعقيب التعقيب

حينما كتبت **الدكتورة فضيلة عبد الأمير الشامي** بحثاً بعنوان (**أروى : امرأة تتولى الحكم في اليمن**) ، نشرته لها **مجلة (المورد)** في المجلد الثامن ، العدد الثالث سنة ١٣٩٩ هـ ، (١٩٧٩) م ، فلما قرأته وجدت فيه من الأخطاء التاريخية ما لا يحسن السكوت عليها حتى لا تؤخذ مأخذ القضايا المسلم بها . أما الأخطاء في الأسماء والمُسميات وفي تحديد الجهات ، وأيضاً في الإعراب فشيء كثير .

وقد تناولت أبرز الأخطاء الهامة ، وعقبت عليها برفق مبيناً في ذلك وجه الصواب ، وأرسلت ما كتبته إلى **الأستاذ عبد الحميد العلوجي رئيس تحرير مجلة (المورد)** لينشره فيها حيث نشر فيها مقال الدكتورة الشامي . وانتظرت نشره طويلاً ولكنه ـ في حدود علمي ـ لم ينشر ولسبب لا أعلمه حتى اليوم ، مع أن رئيس تحرير مجلة (المورد) أخبرني حينما جاء إلى صنعاء أنه استلم تعقيبي فاضطريت إلى إرساله إلى **مجلة (الفيصل)** التي سارع رئيس تحريرها **الأستاذ علوي الصافي** ـ مشكوراً ـ إلى نشره في العدد الثامن والثمانين شوال سنة ١٤٠٤ هـ ، واعتبرت أن واجبي قد انتهى عند ذلك الحد .

وإذا بصديقي **الدكتور عارف تامر** يكتب في مجلة (**الفيصل**) في العدد الرابع والتسعين في باب (**مناقشات وتعليقات**) تعليقاً اعترض فيه على ما جاء في تعقيبي على كلام الدكتورة الشامي مؤيداً لها بعد أن مهَّد لذلك بقوله : « إن معرفته لها تعود إلى ما يقرب من السبعة أعوام عندما كانت في صدد إعداد أطروحتها للدكتوراه في **جامعة عين شمس** عن موضوع (**القرامطة**) » ، ثم يقول : « وفي ذلك الوقت قرأت لها فعرفت أنها باحثة ذات ضمير حيّ ، ويهمها إظهار الحقائق التاريخية المجردة ، والحصول على حرية الكلام والاعتقاد دون قيد أو شرط » .

ولم أكن أعلم بما كتبه الدكتور تامر إلا بعد أن كتب إلى **القاضي العلامة عبد الرحمن بن يحيى الأرياني** من دمشق يخبرني بموضوع اعتراض الدكتور تامر على تعقيبي في مجلة (الفيصل) فبحثت عن هذا العدد ، وأخذت في قراءته عسى أن أجد فيه ما يصحح كلامي أو يدحض حجتي فلم أجد فيه شيئاً ذا بال ، واحترت هل أرد عليه ؟ أم أضرب عن ذلك صفحاً وبخاصة وقد حدد الدكتور تامر موقفه مما خطّأت الدكتورة الشامي فيه بقوله : « أجل ليعذرني الأستاذ الأكوع إذا ما قلت له بصراحة : إني أخالفه فيما ذهب إليه حول **ملكة اليمن الصليحية** ، والتسمية التي أطلقها عليها . . . فكلمة « **سيدة** » معراة من ال التعريف لا يمكن أن تكون اسماً عربياً له معنى (تأمل . .) كما لا يمكن القبول به أو الاعتراف به (تأمل . .) بالرغم من وروده في **كتاب (عيون الأخبار) و (نزهة الأفكار)** » .

ومع هذا الإصرار الشديد من الدكتور تامر على عدم تقبل المناقشة فلم أجد بداً من معاودة الكرة فللقارئ حق عليّ في جلاء غموض الموضوع وتوضيح المسائل المختلف عليها .

وقبل أن أناقش الدكتور الفاضل فيما اعترض فيه على تعقيبي أشكره كثيراً على ما صدَّره في كلمته من ثناء عليَّ لا أستحقه ، فما أنا إلا طالب علم أحاول بتوفيق من الله وهدايته البحث عن الحق أينما كان فأسعى إلى بلوغه حتى لو كان عند من أختلف معه رأياً أو عقيدة ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ؛ إذ ليس من العدل والإنصاف أن يكون التباين في العقيدة أو في المذهب سبباً لرفض قبول الحق مهما كان مصدره ، كما لا يليق بالمرء العارف أن يتعصب لمذهبه أو عقيدته فيما فيه مجافاة للحق أو بُعْدٌ عن الصواب ، فأحياناً يكون الحق مع أصحاب مذهب ما فلا يعترف به الآخرون ، وقد يتعصب المرء أحياناً لمذهبه وهو يعلم أن في بعض مسائله ما يخالف أدلة الكتاب والسنَّة كما أشار إلى ذلك **الإمام الشوكاني في كتابه (البدر الطالع) ٢٩٢/١** في ترجمة **صديق بن علي المزجاجي** فقال : « وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني ـ أي ابن الإمام الشوكاني ـ وبينه ـ أي بين صديق المزجاجي ـ مراجعة في مسائل ، واعترضت على مسائل من فقه الحنفية ، وأوردت الدليل ، وما يزال يتطلب المحامل لما يقوله الحنفية فلما خلوت به ، قلت له : أصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً حازماً ؟ فإن مثلك في علمك بالسنَّة لا يظن به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقال : لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل ، وإن قال به من قال ، ولا أدين الله بما يقوله **أبو حنيفة** وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح ، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر » .

ومعنى هذا أن الدفاع عن المذهب قد يحمل صاحبه أحياناً على أن يجادل بالباطل ، وأن يتمسك بغير الحق فلا حول ولا قوة إلا بالله . . نرجو الله الهداية وأن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أجل . . لقد اعترضتُ على الدكتورة الشامي لأنها ذكرت أن اسم الملكة الصليحية هو (**أروى**) وقلت في تعقيبي على ما كتبت : « **إن الصحيح في اسمها هو «سيدة» وليس (أروى)** » .

وقد اعتمدت في التأكيد على أن اسمها العلم هو « سيدة » على شواهد وأدلة وبراهين كثيرة منها : شيوع اسم « سيدة » على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل منذ عصرها وإلى قبل ثلاثين سنة من تاريخنا ، ولم يكن أحد

مناقشات وتعليقات

يعرف لها اسماً آخر غير هذا الاسم . وذكرت للدكتورة الشامي أن هذه الملكة محاسن باقية إلى اليوم فإذا ذكرها أحدٌ فإنه يقول : «صَلَبَة السيدة» «درجة الألف للسيدة» «مُدَرَّج السيدة» «جامع السيدة في جبلة» ، كما ذكرت للدكتورة الشامي أيضاً أن آلة التعريف الداخلة على «سيدة» هي للتحلية كما يقول العلماء ، وكما هو الحال في الأعلام التي تقبل دخولها عليها مثل الحسن والحسين والقاسم والمحسن والمطهر ، ثم شيوع اسم (سيدة) في كثير من نساء اليمن فلا تخلو أسرة من الأسر المشهورة قديماً أو حديثاً إلا وفيها من نسائها من سميت بـ«سيدة» . وأغلب الظن أن منشأ هذه التسمية بدأت من أيام **السيدة بنت أحمد** تَيامناً وإعجاباً باسمها لأنها كانت ملكة ، ولها شأن كبير مثلما هو الحال في النساء اللاتي سُمين **ببلقيس** لأنه كان اسم ملكة اليمن الأولى .

ومنها ما اتفق عليه المؤرخون اليمانيون من أن اسمها العلم هو «سيدة» ابتداء من **عُمارة اليمني** الذي أدرك عصر السيدة بنت أحمد ، ثم رحل إلى **مصر** فعاش في كنف **الدولة الفاطمية** ، وكان له دور في محاولة إرجاع الحكم للفاطميين في مصر من الأيوبيين ، ولما فشلت هذه المحاولة قتل سنة ٥٦٩ هـ ، لأنه كان شديد الحب للفاطميين الذين كانوا هم ورجال دولتهم يعلمون من أمر **الدولة الصليحية في اليمن** التي هي امتداد لعقيدتهم ونفوذهم ، ويعرفون أسماء دعاتها وقادتها ورجالها والمخلصين لها والمناوئين لها ، وكانوا هم الذين يرسلون السجلات بولاية من يتم تنصيبه داعياً في اليمن ، ومع هذا فقد كان عمارة يعلم أكثر مما يعلم الفاطميون بأحوال اليمن باعتبارها بلده ، ويعرف تاريخها معرفة تامة مكنته من أن يكتب تاريخها عن دراية ، وهو في مصر ، فلو كان للملكة الصليحية اسم غير اسمها (سيدة) لذكره في تاريخه ، وقد خصّ هذه الملكة بجزء كبير من تاريخه ، وعقد لها عنواناً وهو (**أخبار الحرة الملكة الصليحية**) ، ثم بدأ بذكر اسمها فقال : اسمها : سيدة بنت أحمد بن محمد .

ثم المؤرخ **عمر بن علي بن سَمُرَة** من أعلام المائة السادسة في كتابه (**طبقات فقهاء اليمن**) **والجَحوري** من أعلام المائة السابعة في كتابه (**روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسرار**) ، **وإدريس بن علي بن عبد الله الحَمزي** المتوفي سنة ٧١٤ هـ ، في كتابه (**كنز الأخيار في معرفة السيَر والأخبار**) ، **ومحمد بن يوسف الجندي** الموفي بعد سنة ٧٣٠ هـ ، في كتابه (**السلوك في طبقات العلماء والملوك**) ، **وعبد الرحمن بن عمر الحُبَيْشي** المتوفي سنة ٧١٢ هـ ، في كتابه (**الاعتبار في ذكر التواريخ والأخبار**) ، **وعلي بن الحسن الخزرجي** المتوفي سنة ٨١٢ هـ ، في كتابه (**طراز أعلام الزمن**) الذي يُدعى (**العقد الفاخر الحسن**) ، وفي كتابه (**العسجد المسبوك**) و (**الكفاية والأعلام**) ، **والحسين بن عبد الرحمن الأهدل** المتوفي سنة ٨٥٥ هـ ، في كتابه (**تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**) ، **وعبد الرحمن بن علي الديبع** المتوفي سنة ٩٤٤ هـ ، في تاريخه (**قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون**) ، **وعبد الله الطيب بن عبد الله بامخرمة** المتوفي سنة ٩٤٧ هـ ، في (**ثغر عدن**) .

ولم أكتف بهذا القدر من المراجع فحسب بل أضفت إلى ذلك بعض كتب **الإسماعيلية** لتقوم به الحجة على حد قوله تعالى ﴿ **فشهد شاهد من أهله** ﴾ مثل كتاب (**عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار ووصية علي بن أبي طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار**) ، و (**نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار**) كلاهما لمؤرخ الدعوة الطيبية المستعلية في اليمن الداعي **عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن حاتم الأنف القرشي** المتوفي سنة ٨٧٢ هجرية .

وما دامت هذه المراجع كلها لم تكن كافية في نظر الدكتور عارف تامر لتزحزحه عن موقفه في أن اسم الملكة الصليحية هو «سيدة» وليس (أروى) ربما لأن أصحابها في تقدير الدكتور تامر لا يحتج بكلامهم ، وربما لأسباب أخرى فليسمح لي الدكتور الفاضل أن أذكره **بوصية السيدة بنت أحمد** وهي موجودة في كثير من كتب الإسماعيلية المستعلية بما في ذلك كتاب (**الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن**)[1] **للدكتور حسين الهمداني** وهو الذي أشاع اسم (أروى)[2] في اليمن بعد انتشار كتابه منذ ثلاثين عاماً .

وقد أورد الوصية بنصها وفصها من ص ٣٢٣ ـ ٣٢٩ وهذه الوصية إذا لم تكن السيدة قد كتبتها بقلمها فإنها قد كتبت لها واطلعت عليها ولا يمكن للكاتب أن يكتب اسمها «سيدة» وهو غير اسمها الصحيح . ونص ديباجيتها وهو موضع الشاهد فيها ، كما يقول علماء العربية : «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، هذا ما أوصت به أمة الله وأمة أوليائه **سيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم**» ، ثم ساقت بعد ذلك ما أوصت به .

ثم أتبع الدكتور الهمداني هذه الوصية بكلام لصاحب العيون كشهادة على صحة ما جاء في الوصية وعلى أن اسمها «سيدة» ونصه : «ويقول

مناقشات وتعليقات

صاحب العيون ٧/٦٨ ـ ٢٢٠ نقلاً عن مصدر معاصر لم يذكره . .

« أخرجت الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، عصمة المسترشدين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين وكافلة أوليائه المؤمنين « **السيدة بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي** » مد الله في عمرها جميع هذه الأشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة عن الحرة الملكة السيدة الرضية ولية أمير المؤمنين السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي » .

وفي مكان آخر من هذه الشهادة ما لفظه : « وجعلت الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم أنشأ الله في أجلها ولي وصيتها هذه والقائم بها والمنفذ لها بعد غيبتها السلطان الأجل **أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحي** » .

ثم ذكرت في موضع آخر ما نصه : « وحرَّمت الحرة الملكة « السيدة » ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي » طول الله في عمرها وصيتها أن تغير عما ذكرته في كتابها هذا أو تبدل أو تنقص أو تحول عما شرطته في كتابها هذا .

فما رأي الدكتور عارف في وصيتها وهل اسم (سيدة) مما يقبل التأويل حتى نقول إنه (أروى) ؟ .

ثم دليل آخر ، وهو سيرة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي ، فلا تذكر الملكة الصليحية فيها إلا باسمها الصريح وهو « سيدة » وهذه السيرة هي سيرة زوجها وليس فيها ذكر لأروى إطلاقاً فإذا لم يكن هذا كله مقنعاً للدكتور عارف فما بقي عليَّ إلا أن أهديه تحيات **أبي الطيب** الذي يقول :

فليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

أما ما بقي من اعتراضات الدكتور عارف على ما عقبت به على الدكتورة الشامي فقد أقرني في بعض ما اعترضت عليها مؤيداً لي ، وسكت عن أمور مع أنه كان من حقه أن يبدي رأيه فيها ليستفيد القارئ . والله الموفق للصواب .

القاضي
إسماعيل بن علي الأكوع
صنعاء ـ اليمن

الهوامش

(١) أطلعني الدكتور حسين الهمداني على مسودة هذا الكتاب ، فصححت له أشياء في الكتاب ، وبخاصة أسماء البلدان ولما طبع قدم لي نسخة مهداة منه وكتب عليه : « هدية يسيرة إلى صديقنا الفاضل الكريم القاضي إسماعيل الأكوع ، تقديراً لمساعدته في تأليف هذا السفر ، ورمزاً لأواصر الوطنية والمحبة المخلص حسين الهمداني القاهرة سنة ١٩٥٦ م » ، مكتفياً بذلك عن ذكر اسمي في المقدمة ضمن أسماء من ساعدوه .

(٢) سألت صديقي الأستاذ الدكتور عباس بن حسين الهمداني عن أول من أطلق على السيدة بنت أحمد اسم أروى فقال : إنهم البهرة في الهند ، فقلت في نفسي لعله التبس عليهم الأمر فسموا السيدة بنت أحمد الملكة الصليحية أروى باسم أروى ابنة علي بن عبد الله الصليحي زوج المنصور بن المفضل بن أبي البركات .

قنبلة هيروشيما

ورد في العدد (٨٠) صفر ١٤٠٤ هـ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣ م ، صفحة (١٢) من مجلة « **الفيصل** » ، باب « **نافذة** » مقال صغير للسيد مجدي عبد العظيم عثمان تحت عنوان « بوب أثرلي . . . والندم » ، استنتجت من خلاله أن الطيار الذي ألقى **القنبلة الذرية** في السادس من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٤٥ م ، يسمى « **بوب أثرلي** » ولم يذكر صاحب المقال المرجع الذي استقى منه معلوماته ، حول هذا الموضوع ، ولا أظن أنها معلومات صحيحة ، لأن الطيار الذي ألقى القنبلة الذرية على مدينة **هيروشيما** هو « **بول تيبتس جيروم** » والطائرة التي كان راكباً على متنها ، هي من نوع « ب ٢٩ » . وعلاوة على هذا ، أن الطيار لم يكن يعلم أن الأمانة التي بين أيديه « هي قنبلة ذرية » ، وبالتالي لم يكن يعرف شيئاً عن نتائج هذه القنبلة . والجدير بالذكر أن القنبلة الذرية كانت التجربة الأولى من نوع هذه القنبلة في **صحراء المكسيك** ، وأضيف أن الهيئة التي أمرت بإلقاء القنبلة على هيروشيما لم ترسل الطيار وحده ، بل أرسلت ثلاث طائرات : الأولى والثانية كانتا للتجسس ، والثالثة هي التي كان على متنها الطيار والقنبلة .

ورد ذلك في كتاب « **الحرب العالمية الثانية** » لمؤلفه « **رمضان لاوند** » ، وبالضبط فصل « القنبلة الذرية » .

محمد أمزا
تطوان ـ المغرب





● **الأخت ماجدولين صباح ، القصور ـ سورية :**

شكراً لكل ما جاء في رسالتك ، ونعتذر عن الرد على ما جاء بها لعدم صحتها . . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

● **الأخ حسن أبو حديد ، دمشق ـ سورية :**

كل ما ذهبت إليه ليس صحيحاً . . ونستغرب أن يكون أسلوب رسالتك صورة طبق الأصل ـ تقريباً ـ من أسلوب نوع معين من الرسائل .

● **الأخ أبو المجد عبد العليم ، القاهرة ـ مصر :**

لأن المجلة لا تنشر شعر الأغاني العامي فنرجو قبول عذرنا لعدم نشر كلمات الأغنية « عشرة زمان » . . ولك تحياتنا .

● **الأخ فريد عبد الرحمن الحموري ، إربد ـ الأردن :**

بإمكانك إرسال قيمة الاشتراك السنوي الموضحة بالصفحة الثالثة شيكاً بالريال السعودي ، باسم مجلة « **الفيصل** » ، وسوف تصلك المجلة على عنوانك .

● **الأخ محمد محمد جاد شطا ، فارسكور ، دمياط ـ مصر :**

شكراً على ما جاء برسالتك سائلين الله أن يوفقنا لما فيه الخير . . وما ذلك على الله بعزيز .

● **الأخ ياسين خضير الدوري ، بغداد ـ العراق :**

مرحباً ، بعتابك . . ولا لظنك لأن بعض الظن إثم . . وعدم فوزك في المسابقة ليس بيدنا فهناك عملية فرز للفائزين ، ومن ثم تتم القرعة . . وليس شرطاً فوز كل متسابق إجابته صحيحة ١٠٠٪ لأن مئات المشتركين في المسابقة أجوبتهم صحيحة ١٠٠٪ لكن الجوائز محدودة رغم كثرتها . . فاطمئن يا أخانا ، ولا تذهب بك الظنون مذاهب غير صحيحة . . ولك من قبل ومن بعد شكرنا وتقديرنا .

● **الأخ محمد عبد المنعم مبروك خلف الله ، المنوفية ـ مصر :**

شكراً لمشاعرك نحو المجلة . . واقتراحك تخصيص باب للفنون كالسينما والمسرح والتليفزيون والإذاعة شيء جيد ، لكن المجلة تحرص أن تنشر من حين لآخر دراسات عميقة وموسعة عن هذه الفنون ، وهو ما دأبت عليه . . وهذا هو الأسلوب الذي سارت عليه المجلة منذ صدورها .

● **الأخ عبد الرحمن محمد الصالح ، ثادق ـ السعودية :**

ليس شرطاً أن تأتي إلى الرياض لاستلام قيمة أي شيك يرد إليك من أية جهة ، لأن الشيك يصرف في أي بنك أو مصرف في أية مدينة أو قرية سعودية .

● **الأخت سوسن طرابلسي ، دمشق ـ سورية :**

شكراً لمشاعرك الطيبة نحو المجلة . . وكان بودنا نشر قصيدتك النثرية لما فيها من المعاني الجميلة إلا أن المجلة لا تنشر ما يسمى بالشعر المنثور . . نتمنى لك التوفيق والنجاح .

● **الأخ عدنان رزق جاموس ، درعا ـ سورية :**

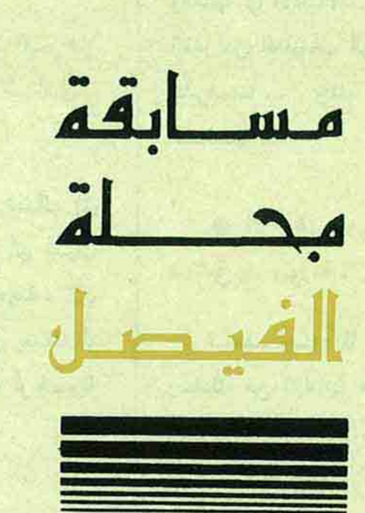
شكراً لمشاعرك الطيبة نحو ما يكتبه رئيس تحرير هذه المجلة . . لكن الكتابة عنه في المجلة أمر لا يقره شخصياً ، فهو يرى أن أعمال الإنسان تدل عليه ، وهو لا يستسيغ أن يكتب عن شخصه في مجلة يشرف عليها . . ويكفي أن نقول لك إنه من مواليد عام ١٣٦٣ هـ ، ويحمل ليسانس حقوق . . ومن مؤلفاته المطبوعة « مطلات على الداخل » ومحاضرتان إحداهما بعنوان « الأديب . . وموقفه من الحدث التاريخي والنضالي » والثانية بعنوان « الأدب العالمي . . والعالمية في الأدب » . . وهذا هو القدر من المعلومات التي سمح لنا بنشرها . . ولك تحياته الشخصية .

● **الأخ فراس محمد ، دمشق ـ سورية :**

نأسف جداً لما جاء في رسالتك من اتهامات عجيبة . . وكان بودنا نشرها لولا أننا اعتدنا في هذه المجلة تجاوز الإساءات ، وعدم إشغال القارئ بأمور جانبية . . ونحن نشك في صحة اسمك لأن صاحب الخط الذي كتبت به الرسالة أصبح معروفاً لدينا . . فهو يكتب رسائل بأسماء وهمية يضمنها شيئاً من ظنونه ووساوسه . . ونأسف لأنه أحد الكتَّاب ، فالخط خطه والأسلوب أسلوبه ، وإذا تكررت ـ وقد تكررت ـ فسوف نكشف اسمه للقراء . . ونأمل أن يتقي الله ويصحو ضميره ليقلع عن هذا الأسلوب .

● **الأخ عوض الباري الخليفة أحمد ، الخرطوم ـ السودان :**

الكتب التي تريدها تستطيع أن تطلبها من السفارة السعودية في السودان ، أو من وزارة الإعلام بالرياض ، لأن المجلة ليس من اختصاصها توزيع الكتب . . ولك شكرنا وتقديرنا واعتزازنا بمشاعرك .



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.

السؤال الأول :

اذكر أسماء العلماء الثلاثة الذين فازوا بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ.

السؤال الثاني :

إلى أي تاريخ يرجع علاج الوخز بالإبر .. أو كما يسمى العلاج بالإبر الصينية .. ومتى كتب أول سجل طبي صيني مدوّن به أول نجاح عرف للوخز بالإبر؟

السؤال الثالث :

ماذا تعني هذه المصطلحات الكيميائية :

الحموض النووية ـ الخميرة ـ الألبومين ـ التيآمين.

السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

كاتب الحي ـ ابن حزم خلال ألف عام ـ التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ـ معجزات قلب القرآن ـ تنظيم النسل وموقف الشريعة الإسلامية منه.

السؤال الخامس :

اختلفت الآراء حول تعليل اسم منطقة «سيناء». اذكر ثلاثة منها؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٩٨)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

● أجوبة مسابقة العدد (٩١) ●

ج ١ أول قائد في العالم، سُكّت صورته على عملة معدنية، هو **الإسكندر المقدوني**، الملقب **بالإسكندر الأكبر**. وقد كانوا قبل ذلك يرسمون على العملة صوراً. وتعتبر بريطانيا أول دولة تصنع العملة الورقية في أوائل القرن الحالي مكان العملة المعدنية.

ج ٢ فن «**المقامة**» شكل أدبي عربي.. نشأ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، على يد **أبي الفضل أحمد بن الحسين**، المعروف **ببديع الزمان الهمذاني** (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ).

ج ٣ سميت «**دومة الجندل**»، إحدى مدن منطقة **الجوف** التاريخية في **المملكة العربية السعودية**، بهذا الاسم، نسبة إلى «**دوما**» أحد أبناء **إسماعيل** عليه السلام، الذي هاجر من تهامة واستقر فيها وبنى حصناً. أما كلمة «**الجندل**» المضافة إلى الاسم، فقيل إنها نسبة إلى **الصخر** الذي تتميّز به هذه المدينة، والمعروف «بالجندل»، وقيل إن ذلك نسبة إلى أحد حكامها السفاحين الذي كان **يجندل** الكثير من خصومه.

ج ٤ يبلغ عدد المسلمين في العالم (٦٧٨) مليوناً تقريباً.

ج ٥ العالم الذي فصل علم «**الصرف**» عن علم «**النحو**» هو الإمام المازني، أستاذ **المبرِّد**. وأول كتاب أُلِّف في علم الصرف، بعد استقلاله كان من وضع الإمام المازني، الذي اشتهر باسم «**تصريف المازني**».

● نتيجة مسابقة العدد (٩١) ●

● فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخ **غـرّاز الشريف**، الجزائر ـ ولاية جيجل، الطاهير.

● وفازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت **ثريا محمد عبد الله**، مصر ـ القاهرة، شبرا.

● وفازت **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخت **نورة عبد الله الحفير**، المملكة العربية السعودية ـ الرياض.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من المغرب ـ تسهان، ناحية الناظور، إعدادية بودينار، الأخ سوسع عبد السلام.

● من الأردن ـ إربد، الأخت أسمهان شريف عبد الهادي أبو الرُّب.

● من الإمارات العربية ـ الشارقة، ص. ب (٢٢٥١)، الأخ عبد المجيد آزر علي.

● من سورية ـ دمشق، الأخت ميادة موسى شحاده.

● من السودان ـ الخرطوم، بواسطة بهاء الدين أحمد الباقر ببنك السودان، الأخ أحمد الباقر سراج الدين.

● من مصر ـ سوهاج، سفلاق، الأخ عصام عبد الله عبد الجليل.

● من المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة، الأخت ابتسام عوض السيد.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من مصر ـ دقهلية، أجا، ٢٠ ش السمايرة، الأخ راغب مصطفى عبد الهادي.

● من الجزائر ـ ولاية غرداية، المنيعة، ص. ب (٦)، الأخ دويدة عبد الرحيم.

● من الكويت ـ الرميثية، الأخت سمية أحمد رامي علي.

● من فرنسا ـ تولوز، شارع نازاريه، الأخ فيالا محمد.

● من البحرين ـ المنامة، الأخت بهية أحمد العليوات.

● من موريتانيا ـ نواكشوط، ص. ب (١٠٩١)، الأخ محمد بن محمد لقمان.

● من العراق ـ بغداد، حي الكفاح، زقاق ٧٧، الأخ مؤيد خضير علي.

● من اليمن ـ تعز، ص. ب (٦٨٧١)، الأخت وفاء أحمد علي الحمادي.

● من تونس ـ جندوبة، حي الرياض، الأخت قطاري فاطمة محمد.

● من قطر ـ الدوحة، مدرسة الصناعة الثانوية، ص. ب (٨٠)، الأخ صلاح الدين التكريتي بن عبد اللطيف.



كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

المسلمون تحت السيطرة الشيوعية

دراسة جادة من تأليف **الأستاذ محمود شاكر**، تناول فيها إلقاء الضوء على وضع المسلمين في الأمصار الإسلامية التي تخضع للعديد من الدول المعتنقة للنظام الشيوعي. يقع الكتاب في (١٤٤) صفحة من القطع المتوسط، أصدره **المكتب الإسلامي ببيروت**، وهذه هي الطبعة الثالثة.

الفكر الإسلامي بين المثالية والتطبيق تجربة عملية في بحوث ومذكرات

تأليف **كامل الشريف**، يضم الكتاب مجموعة مذكرات وبحوث يطرح المؤلف من خلالها مساهمات فكرية قيّمة نحو إيجاد الوسائل العملية الكفيلة بدفع مسيرة التحول الاجتماعي نحو **المنهج الإسلامي**. يقع الكتاب في (٢٥٢) صفحة من القطع المتوسط، أصدرته **وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالأردن**.

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

دراسة ميدانية أعدها **الدكتور نبيل صبحي الطويل** حول مظاهر الفقر والمرض والتخلف عند الكثير من الشعوب الإسلامية، وأثر ذلك في تهديد الوجود الإسلامي، الأمر الذي يستوجب تكافل الأمة المسلمة لدرء مخاطره. ترتيب الكتاب السابع ضمن سلسلة **«كتاب الأمة»** التي تصدرها **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر**. يقع الكتاب في (١٥٠) صفحة من القطع الصغير.

السبئيون وسد مأرب

بحث تاريخي شامل أعده **الأستاذ محمود جلال العلامات** عن **سد مأرب** مع دراسة مستفيضة عن تاريخ عرب الجنوب خلال فترة الحكم السبئي. اشتملت الدراسة على وصف تفصيلي لمنطقة مأرب مقروناً بالصور والخرائط والرسوم التوضيحية. صدر الكتاب ضمن **مطبوعات تهامة ـ جدة**. يقع الكتاب في (٢٣٨) صفحة من القطع الكبير.

العربي ومسيرة ربع قرن مع الحياة.. والناس.. والوحدة في دول الخليج العربي

عدد خاص صدر ضمن سلسلة **«كتاب العربي»** التي تصدر عن مجلة **«العربي»** الكويتية. تناول الكتاب رصد مسيرة الخليج العربي عبر التاريخ وما تحقق في المنطقة من تطور في مختلف الأنشطة، وذلك من خلال ما نشرته مجلة «العربي» من أحاديث واستطلاعات ومقالات في الشؤون الخليجية. يقع الكتاب في (٣٠٤) صفحات من القطع الصغير.

تلوث البيئة مشكلة العصر

تأليف **عبد الفتاح عبد الكافي**، تناول فيه إيضاح أسباب وعوامل تلوث البيئة ووسائل حمايتها، مع استعراض التنظيمات والتشريعات التي بذلتها الحكومة المصرية لمكافحة التلوث. صدر الكتيب عن **دار المعارف بمصر** ضمن **سلسلة «كتابك»**. يقع الكتاب في (٥٦) صفحة من القطع الصغير.

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

تأليف **مصطفى عبد اللطيف السحرتي**، وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب الذي يعتبر مرجعاً جيداً في النقد الأدبي الحديث، ويضم دراسة نقدية عن الشعر المعاصر ومذاهبه الأدبية من خلال عرض وتحليل نماذج من روائع الشعر العربي الحديث. صدر **الكتاب ضمن مطبوعات تهامة ـ جدة**. يقع الكتاب في (٢٥٨) صفحة من القطع المتوسط مع مقدمة قيّمة للأستاذ **عبد الله عبد الجبار** تقع في (٥٦) صفحة.

أسباب نزول القرآن الكريم

هذه الطبعة الثانية من كتاب **«أسباب نزول القرآن» لأبي الحسن علي بن الواحدي** الذي يعتبر من أهم الكتب التي أُلفت في أسباب نزول الآيات القرآنية، حققها **الأستاذ السيد أحمد صقر**، ويعتبر تحقيقه من أقوم تحقيقات الكتاب حيث تفادى النقص والأخطاء التي صاحبت الطبعة الأولى. صدرت هذه الطبعة عن **دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة**، وتقع في (٥٤٢) صفحة من القطع المتوسط.





المصنع السعودى لعصير الفواكه والمرطبات ـ جدة ـ محمود سعيد

RAUCH
راوخ
Apple Drink

RAUCH
راوخ
White Grape Juice

RAUCH!
راوخ
Peach Nectar
شراب الخوخ

RAUCH!
راوخ
Apricot Nectar
شراب المشمش

RAUCH
راوخ
Orange Drink

راوخ

قمة التذوق .. ونكهة الطبيعة
وسحرها الخلاب

عصيرات طبيعية ١٠٠٪

الاسراء